





تكنولوجيا النانو

من أجل غدٍ أفضل

تأليف: أ. د. محمد شريف الإسكندراني

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

عالم المعرفة

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

صدرت السلسلة في يناير 1978
أسسها أحمد مشاري العدواني (1923-1990) ود. فؤاد زكريا (1927-2010)

374

تكنولوجيا النانو

من أجل غدٍ أفضل

تأليف: أ. د. محمد شريف الإسكندراني



أبريل 2010



سلسلة شهرية يصدرها
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	دينار كويتي
الدول العربية	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	أربعة دولارات أمريكية

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	15 د. ك
للمؤسسات	25 د. ك

دول الخليج

للأفراد	17 د. ك
للمؤسسات	30 د. ك

الدول العربية

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولار أمريكي

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على العنوان التالي:

السيد الأمين العام
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب: 28613 - الصفاة
الرمز البريدي 13147
دولة الكويت
تليفون: 22431704 (965)
فاكس: 22431229 (965)
www.kuwaitculture.org.kw

ISBN 978 - 99906 - 0 - 306 - 4

رقم الإيداع (2010/006)

قبل أن تقرأ

تنعى سلسلة «عالم المعرفة» للأمة العربية قاطبة، الأستاذ الكبير الدكتور فؤاد زكريا الذي غيبه الموت في 12 مارس الماضي، عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عاما.

والراحل الكبير الذي كان واحدا من فرسان الفلسفة ورواد الفكر في مصر والعالم العربي، تجاوزت جهوده العلمية والفكرية دوره الأكاديمي والبحثي الذي خرج من عباءته العديد من تلاميذه ومريديه الذين سلكوا طريقه في البحث الجاد وإشعال مصابيح التنوير في محيطنا العربي، بل كان الرجل - رحمه الله - يؤمن بضرورة ألا يحصر المثقف الأكاديمي نفسه في دائرة «أسوار الجامعة»، فجعل من نفسه داعية للمستقبل، مبشرا بنهضة عربية طال انتظارها، وأطلق بين ربوع المجتمع العربي رياح الحداثة، ونشر في تربة الوطن الكبير بذور «التفكير العلمي»، فلم يكن يكف عن النضال الدائب على صُعد متباينة، إذ وقف بشجاعة ضد «ثقافة الاطمئنان» التي أدمنها كثيرون في مجتمعنا العربي ممن يلوذون بالماضي، ويستهينون بإنجازات العلم الحديث، ويكتفون بترديد الشعارات الجامدة التي تجاوزها الزمن، من دون بحث ولا تمحيص، كما لم يكن ليتوانى - في الوقت نفسه - في مجابهة أولئك الذين تستبد بهم الدهشة من «القشور الثقافية» الآتية من الغرب، عازفين أو عاجزين عن خوض أعماق الثقافة الغربية الحقيقية التي بنت حضارة وحققت تقدما.

ولم يكن الرائد الكبير، في معاركه الفكرية الكثيرة، يتسلح بعلم غزير ورؤية شاملة وعقل ناقد فقط، بل كان كذلك يحمل الكثير الكثير من صبر المحاربين وتواضع العلماء الحقيقيين، وسمو الزاهدين، ونبل الفرسان.

وإذا كان كثيرون في العالم العربي قد خسروا برحيل الدكتور فؤاد زكريا فيلسوفا عظيما، مناصرا للعقل، وداعية للعلم، ومحاربا من أجل تطوير الأمة، ومبشرا بمستقبل مغاير يستند إلى التفكير المنطقي بديلا من النظرة الخرافية للوجود والتاريخ، فإننا في سلسلة «عالم المعرفة» نفتقد بغيابه واحدا من مؤسسي السلسلة، التي ظل مستشارا لها منذ إطلاق عددها الأول في يناير 1978، حتى وفاته، فجعل منها سفيرا ثقافيا للكويت يطوف أرجاء عالمنا العربي الكبير، أول كل شهر، ينشر العلم النافع والثقافة الرصينة والفكر المتجه إلى المستقبل، وليس إلى الماضي.

رحم الله الفقيد رحمة واسعة، وألهم أهله وذويه ومحبيه والسائرين على دربه مزيدا من الصبر والسلوان.

المواد المنشورة في هذه السلسلة تعبر عن رأي كاتبها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلس

طُبع من هذا الكتاب ثلاثة وأربعون ألف نسخة

ربيع الآخر 1431 هـ ـ أبريل 2010

المحتوى

مقدمة

«سوف تؤتي الأبحاث العلمية الجارية حاليا وبكثافة، في دول العالم المهتمة بعلوم وتكنولوجيا النانو، ثمارها؛ لتصبح تلك التكنولوجيا المتقدمة هي القاسم المشترك في جميع الصناعات وجزءا مهما لا يمكن الاستغناء عنه أو تهميشه»

المؤلف

يقول توماس كارلايل: «إذا أردت أن تكون خليفة الله على الأرض حقا، فما عليك إلا أن تكون مبدعا». وعلى الرغم من أن إبداعات الإنسان في البداية كانت بسيطة متناسبة مع تواضع ظروف الحياة والمعيشة آنذاك، فقد تعاظمت خلال الثورات الصناعية الكبرى التي حولت مجرى الأمور في العالم، وبدأ على أساسها جنوح الغرب في تصنيف العالم إلى دول الشمال الغنية، ودول الجنوب المتواضعة. وقد كان «وليم جيمس» محقا حين قال: «الإنسانية لا تفعل شيئا، إلا بمبادرات المبدعين الكبار والصغار الذين تقلدهم البقية منا، إنها العامل الوحيد الفاعل في التقدم الإنساني، فالأفراد العباقرة يدلون على الطريق الصحيح، ويضعون

المخططـــات التـــي يتبناهـــا العامة ويجنـــون ثمارها». وعبقريـــة المبدعين والمخترعين وإنجازاتهم الخلاقة ليست مجرد وحي يغيب عنه الكد والكفاح، بل هـــي تفكير إبداعي ممزوج بالكفاح والمثابرة، كما عبر عن ذلك «توماس أديســـون» حين قال «العبقرية هي 1 في المائـــة إلهاما و99 في المائة جهدا وعرق جبين».

الثورات الصناعية الكبرى في تاريخ البشرية

منذ ما يقرب من ســـبعة آلاف سنة مضت، بدأ الإنسان في ترك حياته البدائيـــة البســـيطة، واتجه إلى صنع الحضارة في مجـــالات مختلفة مثل الزراعة والري وتشـــييد المســـاكن وغير ذلك. ونتيجة لهذا، تحول المجتمع البشـــري تحولا جذريا من كونـــه مجتمعا بدائيا، ليغـــدو مجتمعا حكوميا بيروقراطيا تسوده النظم والقوانين

بدلا من الأعراف. ومنذ نهاية القرن الســـابع عشر إلى وقتنا الحاضر دأب الإنســـان في اســـتخدام مصطلـــح «ثـــورة Revolution» للتعبير عن التحـــولات الجذرية في المجتمع، والناجمة عن مخرجات الفكر البشـــري المتمثـــل في الابتـــكار والإبداع التكنولوجي الذي يمـــس كل نواحي الحياة، بدءا من ثورة المحركات البخارية وقطارات السكك الحديد وصناعة الغزل والنســـيج، وانتهاء بثورة الحاســـبات والمعلومـــات، والتكنولوجيا الحيوية، وأخيـــرا بتفجيره ثورة تكنولوجيـــة جديدة تعرف بـ «ثـــورة القرن الحادي والعشرين»، وهي تكنولوجيا النانو.

وليس ثمة شـــك في أن تلك الثـــورات التكنولوجية المتعاقبة لم تكن إلا حصيلة حصاد متراكم وطويل لخبرات وعلوم وإبداعات وابتكارات أسهمت في زرعها وإنمائها وترسيخ مفاهيمها كل من الحضارتين المصرية القديمة والعربية. وقد امتد طوفان العلم من المنطقة العربية إلى المناطق الإقليمية المتاخمـــة، وعلى الأخص في قـــارة أوروبا التي كانت تمـــر بفترات طويلة حالكة من تاريخها ســـادها الظلام والظلم والفقـــر والجهل والمرض. ومع انقشاع عصور الظلام، التي هيمنت على أوروبا في الفترة من العام 525م وحتـــى العام 1500م، بدأ عصر الإصلاح الديني في أوروبا الذي نادى به

مارتن لوثر (1483 - 1546) ليستنفر بذلك علماء القارة الأوروبية، كي يستفيدوا من مخرجات الحضارتين المصرية والعربية، وليصوغوا حياة جديدة قوامها العلم والتحديث.

وقد استمر العلماء في أوروبا منذ أواخر القرن السابع عشر في جهدهم وتطويرهم، ليمثلوا بذلك قاطرة التنمية المعتمدة على النتاج العقلي للإنسان، مما أدى إلى تحقيق نهضة كبيرة في بلدان القارة التي عانت من التخلف فترة زمنية طويلة امتدت عشرة قرون. وقد قامت الثورة الصناعية الأولى في بريطانيا في العام 1780، حيث أُدخلت أنظمة المحركات البخارية وصناعة النسيج ونهوض فرع الهندسة الميكانيكية. واستمرت هذه الثورة في التطوير والإبداع فظلت مهيمنة على اقتصاد العالم طوال ما يقرب من 60 عاما. وأعقبت هذه الثورةَ ثورةٌ ثانية استمرت أيضا مدة 60 عاما، حيث بدأت في العام 1840 واختصت بمجال السكك الحديد مولدة بذلك صناعة عملاقة هي صناعة الحديد والصلب، مما كان له المردود الاقتصادي الجيد بتنمية رؤوس الأموال، وفي التنمية البشرية على حد سواء. ولم تكن هذه الثورة حكرا على بريطانيا فقط، بل شاركت في تفجيرها دول أوروبية أخرى، منها فرنسا وألمانيا.

ولا شك في أن الثورات التكنولوجية العظيمة تعني زيادة في معدل إنتاج الابتكارات والاختراعات والإبداعات، المعضدة بالقوانين والسياسات المتكاملة لحماية حقوق الملكية الفكرية؛ لذا أدى هذا الإبداع التكنولوجي إلى تزايد ثروات البشر، خاصة بعد إبرام معاهدة باريس في العام 1802 التي أكدت أحقية الإنسان في أن يحتكر ويستثمر مخرجات فكره وإبداعاته العقلية، وكان ذلك بمنزلة البداية الفعلية لترسيخ مفاهيم قوانين حماية الملكية الفكرية وبراءات الاختراع.

ويجيء العام 1900 بعد مرحلة التشبع التي وصلت إليها الثورة الصناعية الثانية، فتنتقل هذه المرة عدوى تفجير الثورات الصناعية غربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، مما يُعد المرة الأولى في التاريخ التي تخرج فيها تلك الثورات الصناعية بعيدا عن بلدان القارة الأوروبية. واختصت الثورة الثالثة بمجالات متعددة مثل المحركات الكهربية، الكيماويات، صناعة السيارات. وإذا كانت الثورات الصناعية بمنزلة عدوى طيبة حميدة تصيب شعوب العالم المتطلعة

إلـــى الرخاء والتنمية، فلم يكن غريبا أن تشـــارك الولايات المتحدة الأمريكية دولا أخـــرى لها أعـــراق غير أوروبية، مثل اليابان التي تخلت عن سياســـاتها الاستعمارية، لتشارك في تفجير الثورة الصناعية الرابعة (1950 - 2000) الخاصة بمجـــالات الكمبيوتر وتكنولوجيا الاتصـــالات والمعلومات، وصناعة البتروكيماويات، تلك الثورة التي ما زلنا نعيش آثارها حتى يومنا هذا.

وبعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب العالمية الثانية، أيقنت الحكومات فـــي جميع أنحاء العالـــم، وخاصة الولايات المتحـــدة الأمريكية، أن ضخ الاســـتثمارات الكبيـــرة في مجال البحث العلمي يمكن أن يشـــكل أهمية بالغـــة في تضخم العائدات والثروات المبنيـــة على الناتج العقلي والعلمي للإنســـان، مما يعني فرض مزيد من النفوذ والسلطة على مناطق العالم الأقـــل تقدمـــا، أو على تلك الدول التي لا تُولـــي البحث العلمي الاهتمام والرعاية الكافيـــين. وقد برهنت الثورات الصناعية الكبرى على فشـــل الاعتماد على نظرية تراكم رأس المال في بناء وتطوير أي مجتمع والارتقاء باقتصاده، لذا فقد أضحى النتاج الذهني للإنسان في الابتكار والاختراع هو الطريق الوحيد لتحقيق التطور والنهوض اقتصاديا واجتماعيا.

وبعد تلك السلســـلة من الثورات والانتفاضات العلمية المتلاحقة والتي أدت إلى إحداث ثورات في مجالات الطب والدواء والمواد والطاقة والكمبيوتر وتكنولوجيا المعلومات، تأتي «تكنولوجيـــا النانو Nanotechnology» التي كثيـــرا ما يتردد صداها على مســـامعنا في هذه الأيـــام، حيث تؤدي هذه التكنولوجيا المتقدمة الدور الرئيسي الأول في النهوض الاقتصادي المبني على المعرفة، ومن ثم فقد لُقبت باسم «تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين» الذي نحن على مشارف بداية عقده الثاني.

وتوجـــد تكنولوجيـــا النانو بالفعل في كثير من الأشـــياء التي من حولنا بصورة أو بأخـــرى حيث يتعاظم تطبيق تلك التكنولوجيا الجديدة يوما بعد يوم. وســـوف تؤتي الأبحاث العلمية الجارية حاليا وبكثافة، في دول العالم المهتمة بعلـــوم وتكنولوجيا النانو، ثمارها؛ لتصبح تلك التكنولوجيا المتقدمة هي القاســـم المشترك في جميع الصناعات وجزءا مهما لا يمكن الاستغناء عنه أو تهميشـــه. ففـــي مجال الصحة والطب، ومع التقـــدم في تكنولوجيا التشـــخيص، ســـوف يتمكن الأطباء من تقـــديم الرعاية الصحيـــة الكاملة

المتمثلة في الفحص الطبي الدقيق، وذلك بهدف إيجاد الدواء المناسب الذي سوف يصمَّم خصيصا لكل مريض على حدة، وفقا للتركيب الجيني، وذلك بهدف تجنب الآثار الجانبية غير المرغوب فيها. وفي مجال المجتمع والبيئة والطاقة الجديدة والمتجددة سوف تغير تكنولوجيا النانو من الاعتماد على مصادر الطاقة التقليدية - مثل البترول والغاز الطبيعي والفحم - إلى مصادر بديلة Alternative Energy متنوعة وغير ضارة بالبيئة مثل الخلايا الشمسية Solar Cells. وكذلك سوف تؤدي الدور الأعظم في تحويل استغلال الطاقات النظيفة المتولدة من طاقات الرياح والأمواج، والطاقة الحرارية الأرضية من حلم راودنا خلال القرن العشرين المنصرم إلى حقيقة وواقع نعيشه خلال السنوات العشر المقبلة من القرن الحالي. وسوف تتيح تكنولوجيا النانو الاستفادة الكاملة والفعالة من الطاقة الهيدروجينية، وذلك باستخدام مواد نانومترية جديدة تتميز بشراهتها البالغة في امتصاص غاز الهيدروجين وتخزينه، مما يعني التقدم في صناعة بطاريات وخلايا الوقود الهيدروجيني. هذا بالإضافة إلى أن تلك التكنولوجيا سوف تمكننا من التغلب على مصادر التلوث ومكافحتها من خلال استخدام أفضل وأكثر فعالية للموارد ومصادر الثروة الطبيعية المتاحة لنا.

وكنتيجة لإعادة هيكلة البنية الذرية Atomic Structure التي توجد عليها المواد وتصغير جزيئاتها وحبيباتها Grain Refining، تُخلَّق الآن مواد جديدة تُدعى المواد النانوية Nanomaterials التي تتمتع بخواص وخصال فريدة غير موجودة في المواد التقليدية ذات الجزيئات أو الحبيبات الكبيرة Large Grain Materials، مما يفتح الباب لها، كي تطبَّق في صناعات جديدة ومتقدمة.

ولتكنولوجيا النانو عديد من التطبيقات الواسعة في مختلف القطاعات، مما يعني المزيد من الكفاءة والاستخدام الأمثل للموارد، مؤثرة في ذلك تأثيرا إيجابيا على مواطني المجتمعات المتقدمة من البلدان المؤمنة بدور يؤديه العلم في سبيل تحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية. أما تلك الدول المنكوبة بأمراض التخلف عن التحديث التكنولوجي، أو تلك التي لا تتبنى خُططا قومية لتكنولوجيا النانو من الدول النامية، فسوف تكون ضحية للتخلف في المجالات الصحية والبيئية وفي جميع المجالات الأخرى، مما يؤدي إلى

ضعف ثم انهيار في اقتصادها القومي، لتصبح بعد ذلك صيدا ثمينا للدول التي بـــدأت منذ فترة وجيزة بناء صروح التكنولوجيا النانوية. وهذا بطبيعة الحال ســوف يؤدي إلى تعزيز وترســيخ الفجوة التكنولوجية، بالإضافة إلى تعميق الفجوة الاجتماعية بين الدول الغنية وبعض الدول النامية.

هذا الكتاب

يتألف هذا الكتاب من ثلاثة أبواب، تحتوي على أربعة عشــر فصلا. ويمثل الباب الأول مدخلا ميســرا لعلم وتكنولوجيا النانو، ويقدم الفصل الأول منه عرضا عاما شــاملا لتلك التكنولوجيا، مســتعرضا نشــأتها، وتطبيقاتهــا المتنوعة فــي المجالات المختلفة، بينما يقــدم الفصل الثاني خلفية ميســرة عن أهمية المواد بالنسبة إلينا، وعن تطور العلوم الطبيعية الذي أدى إلى تغيير مفهومنا عن المادة وخواصها. أما الفصل الثالث، فهو يتحدث عمــا تمثلة الذرة والجزيئات من أهمية كبيرة في تحديد صفات العناصــر والمركبــات، وكيــف أن التلاعب بها يؤدي إلــى تغيير في تلك الصفات، ثم يصل الباب الأول إلى نهايته في الفصل الرابع، باســتعراض شامل للمواد التي نستخدمها في حياتنا اليومية، وكيف تطورت.

ويفتتــح الباب الثاني، الذي يدور محــوره حول كيفية الربط بين علم النانــو، وتكنولوجيته، بالفصل الخامس الذي يركــز على المواد النانوية، وتصنيفاتهــا والخواص الفريــدة التي تتمتع بها. وفــي إطار محور هذا الباب، يعرض الفصل الســادس، بكثير من التفصيل والإيضاح، التقنيات المختلفــة المُتبعة فــي إنتاج المــواد النانوية، كما يعرض أيضــا التقنيات الخاصة باختبارات تلك المواد. ونظرا إلى أهمية الكربون ومواده النانوية، مثل أنابيبــه النانوية، في التطبيقات النانو تكنولوجية، فقد خُصصت له مساحة الفصل السابع بأكمله. ويعرض الفصل الثامن نماذج وأمثلة لمواد نانوية متنوعة، موضحا طرق إنتاجها وأهميتها التكنولوجية.

وقد خُصِّص الباب الثالث، الأخير، من الكتاب لعرض ومناقشة بعض من التطبيقــات المبنية على تكنولوجيا النانو، وذلك في مجالات مُختارة، كالطــب والرعاية الصحية (الفصل التاســع)، والزراعة والغذاء (الفصل العاشر)، وحماية البيئة والتصدي لملوثاتها (الفصل الحادي عشر)، ومجال

صناعة الإلكترونيات (الفصل الثاني عشر)، وصناعة الحساسات وأجهزة الاستشعار (الفصل الثالث عشر). ويختتم الكتاب أبوابه وفصوله بالفصل الرابع عشر، الذي يقدم البعد الاجتماعي والاقتصادي لتكنولوجيا النانو، وآثارها الاجتماعية على العالم، مستعرضا المنافسة الشرسة القائمة بين الدول المنتجة لهذه التكنولوجيا، والأنشطة العلمية والبحثية لها في هذا المجال، كما يناقش هذا الفصل، المردود الاقتصادي والاجتماعي لهذه التكنولوجيا المتقدمة وكيفية الاستفادة من مخرجاتها المبتكرة في البلدان العربية والدول النامية الأخرى، من أجل النهوض باقتصادها وتضييق الفجوة التكنولوجية القائمة بين معسكري دول الشمال المتقدم والجنوب النامي. ويوضح الفصل كذلك، الموقف الحالي لدول العالم العربي من تكنولوجيا النانو، وكيف يجب اعتبارها واحدة من الأدوات الاستراتيجية المهمة في دعم وتعزيز خطط التنمية الوطنية.

والكتاب يحوي بين دفتيه الكثير من النتائج البحثية والتطبيقية الخاصة بعدد وافر من العلماء العاملين في مجال تكنولوجيا النانو، على مدار الثلاثين عاما الماضية. ومن أجل تعميم الفائدة المرجوة من قراءة هذا الكتاب، فقد صيغ بأسلوب سهل مبسط، يتناسب مع القارئ المثقف من خارج التخصص. كما روعي أن يوضح الكتاب أساسيات هذه التكنولوجيا من خلال الاستعانة بكثير من الأشكال والرسوم التوضيحية التي تخدم هذا الغرض. وقد تم تجميع المصطلحات التقنية والفنية الخاصة بموضوع الكتاب، في صورة معجم مُصغر، جرى إلحاقه ودمجه في نهاية الكتاب.

وأود أن أعرب عن جزيل شكري وعظيم امتناني وتقديري لكل من شجعني على إنجاز هذا الكتاب، وأخص بالشكر والتقدير السيدة الفاضلة الأستاذة الدكتورة فريدة العوضي - الأستاذ بكلية الطب جامعة الكويت، المستشار الأول للمدير العام لمعهد الكويت للأبحاث العلمية، وكذلك السيد الدكتور محفوظ تادرس، والسيد الدكتور عبد المنعم مصطفى، المستشاران الأولان للمدير العام لمعهد الكويت للأبحاث العلمية، لتشجيعهما ومساندتهما المستمرة لي. وخالص الشكر والثناء إلى جميع زملائي بإدارة البيئة، دائرة النظم المتقدمة. كذلك أود أن أشكر جميع زملائي الباحثين والعاملين بدائرة التكنولوجيا الحيوية، وأخص بالذكر منهم الدكتورة صباح المؤمن، والدكتور محمد بلبع، لعظيم ومفيد مناقشاتهما العلمية المثمرة.

ولا تفوتني فرصة توجيه أعظم آيات الشكر والعرفان لكل من ساهم في صنع عقل وخبرة مؤلف الكتاب، من الأساتذة العلماء الأجلاء بجامعتي الأزهر والقاهرة، وجامعة طوهوكو باليابان.

وأود أن أخص بالذكر الأستاذ الدكتور كينجي سوزوكي Prof. Dr. Kenji Suzuki، العالم الذائع الصيت، الذي تتلمذت على يديه الكريمتين، ثم شرُفت بالعمل تحت قيادته لمعهد بحوث المواد بجامعة طوهوكو باليابان. لقد تعلمت منه كيف يكون العالم متواضعا، خلوقا، محبا لمن معه، متعاونا، فخورا بنفسه وبتخصصه، لا يرتدي إلا حُلته ولا يعمل إلا في تخصصه. وتحية شكر وتقدير للعالم الشهير الأستاذ الدكتور سوميو إيجيما، المُبدع، حاصد الجوائز العالمية، الذي عرفت منه أسس علم وتكنولوجيا النانو، ورأيت في كفاحه العلمي المشرف، النموذج والقدوة لكل باحث طموح.

بقي لي أن أتقدم بخالص آيات الشكر والامتنان، إلى معهد الكويت للأبحاث العلمية، على كل ما يقدمه من دعم وتشجيع دائم لأسرة المعهد الحبيبة، من الباحثين والعاملين، من أجل مواصلة مسيرة المعهد المهمة الرامية إلى دعم وتعزيز الاقتصاد الوطني القائم على العلم والمعرفة.

أما أسرتي الصغيرة - أمي وأبي، زوجتي وأبنائي - الذين تعلمت منهم معاني الحب والتضحية، فتعلقت حياتي بحياتهم، فلهم مني كل الشكر والتحية، على تحليهم بالصبر ومساندتي طوال مشوار حياتي.

وأخيرا، أدعو الله عز وجل أن يكون هذا الكتاب مفيدا وممتعا للقراء الأفاضل، من عشاق سلسلة كتب «عالم المعرفة» المتميزة والمهمة.

والله الموفق،،،

أ. د. محمد شريف الإسكندراني

الكويت

يناير 2010



الباب الأول

مدخل إلى علم وتكنولوجيا النانو

white

1

النانو بين الحقيقة والخيال

«أضحت تكنولوجيا النانو بمنزلة بحر علمي مترامي الأطراف تمتزج مياهه الساخنة بالإنجازات العلمية المثيرة بالمياه العذبة لينابيع العلوم الأساسية والهندسية والطبية وغيرها من أفرع العلم والمعرفة»

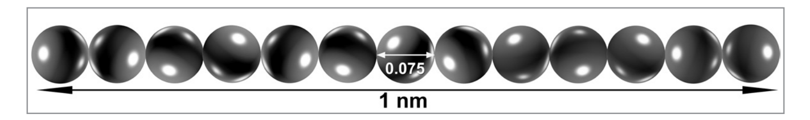
المؤلف

نانو Nano، كلمةٌ صغيرة مكونة من أربعة حروف، تزايد شغف العالم بها في الآونة الأخيرة بعد أن أشرقت في سماء حياتنا اليومية منذ بداية هذا القرن. وقد أدت الاكتشافات الباهرة والتطبيقات التكنولوجية المختلفة والإنجازات المتعلقة بالنانو إلى سطوع نجمها يوما بعد يوم، وسنة بعد أخرى، فباتت أغنية نتغنى بها، بعد أن ظلت طويلا ضربا من ضروب الخيال أو مجرد حلم داعب خيال العلماء، وحرك أقلام مؤلفي قصص أفلام وروايات الخيال العلمي.

ما المقصود بالنانو؟

كلمة النانو هي بادئة منحوتة من اللغة اليونانية القديمة وتعني «قزم Nanos»[1]، وفي مجال العلوم يعني النانو جزءا من مليار

(جزءا من ألف مليون). فمثلا، نانو ثانية (Nanosecond، وحدة لقياس الزمن وتُختصَــر لتصبح Nano Sec) تعني «واحدا على مليــار من الثانية الواحدة». وبالمثل، يستخدم النانومتر Nanometer، الذي يختصر بالحروف اللاتينية إلى nm، كوحدة لقياس أطوال الأشــياء الصغيرة جدا التي لا تُرى إلا تحت المجهر (الميكروســكوب) الإلكتروني. وتُســتخدم هذه الوحدة للتعبير عن أبعاد أقطار ومقاييس ذرات وجزيئات المواد والمركبات والخلايا والجســيمات المجهرية مثل البكتيريا والفيروسات. والنانومتر الواحد يساوي جزءا من ألف مليون (مليار) جــزء من المتر، أو بتعبيــر آخر، فإن المتر الواحد يحتــوي على مليار جزء من النانومتــر [2]. وللمقارنة، فإن النانومتر الواحد يعادل قياس طول صف مكون مــن 13 ذرة من ذرات غاز الهيدروجين [3] إذا ما تخيلنا أنها وُضعت متراصة بعضها بجوار البعض، كما هو مبين في الشكل (1 - 1).



الشكل (1 - 1) : رسم تخطيطي يوضح صفا أفقيا مكونا من 13 ذرة من ذرات الهيدروجين البالغ قطر الواحدة منها 0.75 نانومتر، افتُرِضَ وضعها بعضها بجوار البعض. وكما هو مبين في الشكل، فإن مجموع مقاييس أقطار هذه الذرات المتجاورة يبلغ نانومترا واحدا [4].

ولبيان وحدة النانومتر المستخدمة في قياس أبعاد أطوال الأشياء الصغيرة جدا، وإدراك مدى تناهي صغر أحجام ومقاييس الأشــياء التي يمكن التعبير عنها باستخدام هذه الوحدة، لعل من المُجدي أن أدعو القارئ الكريم لإلقاء نظرة سريعة على صور بعض الأشياء المعروفة لنا، والتي تتباين أبعادها وأحجامها، كما هو موضح في الشكل (1 - 2) فعلى سبيل المثال، إذا ما أردنا قياس قطر شــعرة واحدة من شعر الإنسان، فسنجد أنه يتراوح بين 60 و120 ميكرومترا (الميكرومتر، هو وحدة لقياس أطول الأشياء الصغيرة، ويساوي جزءا من مليون جزء من المتر الواحد، وهذا يعني أن الميكرومتر الواحد يساوي 1000 نانومتر)، أي أن قطر شعرة الرأس يعادل 60000 إلى 120000 نانومتر. هذا بينما يبلغ

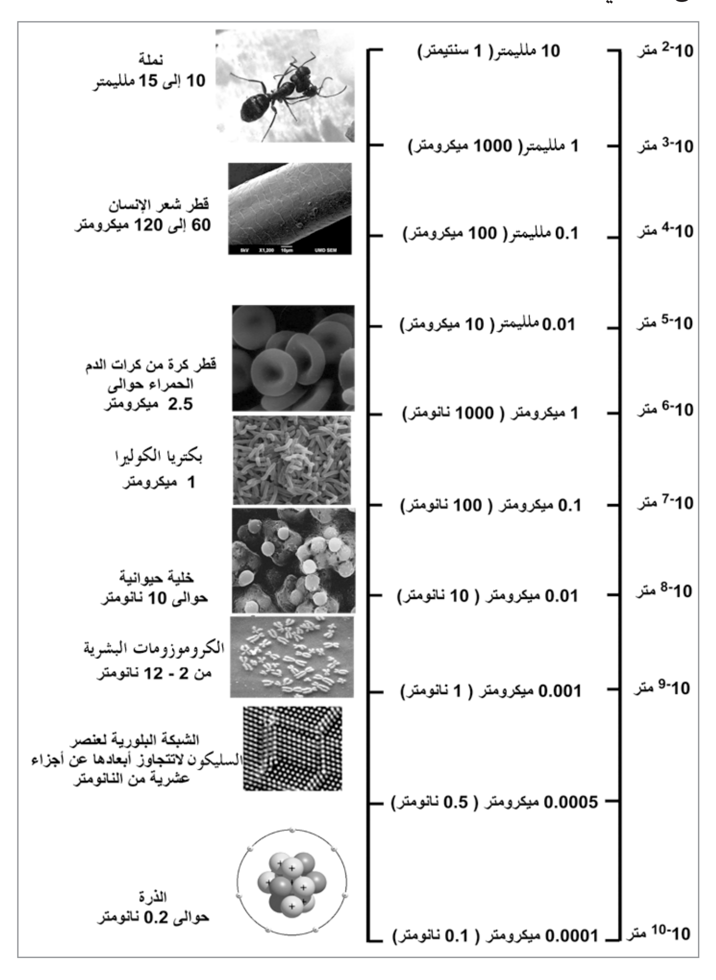
قطر كرة من كرات الدم الحمراء للإنسان نحو 2.5 ميكرومتر أي ما يعادل 2500 نانومتر، بينما يبلغ مقياس أطوال بكتيريا الكوليرا نحو 1 ميكرومتر وهو ما يعادل 1000 نانومتر.

الميكرو والنانو

من الجدير بالملاحظة، أنه قبيل انطلاق ثورة تكنولوجيا النانو في بداية هذا القرن، انصب اهتمام الصناعات الكهربية والإلكترونية على كيفية تصغير المواد المستخدمة في منتجات ومخرجات هذه الصناعات إلى مستوى الميكرومتر، وذلك بعد أن أدركوا أهمية تصغير مكونات الأجهزة الإلكترونية لإنتاج أجهزة أصغر حجما، وأعلى جودة وكفاءة، وأرخص سعرا. ومن ثم، بات العالم يتغنى بالميكرومتر الذي استنبطت أو استُوحيت منه كثير من الألفاظ اللغوية التي لم يكن لها وجود قبل ذلك الحين؛ مثل الميكروسكوب، الكائنات الدقيقة Microorganisms، الميكروويف، الميكروفون، وغير ذلك من المصطلحات التقنية الشهيرة المرتبطة بوحدة الميكرومتر. هذا وقد أيقن عالم صناعات الحواسب والهواتف النقالة وغيرها من الأجهزة الإلكترونية المتقدمة أن الشرائح والرقائق الإلكترونية الميكرومترية قد وصلت إلى أقصى قدرتها، ولن يكون في الإمكان إنتاج شرائح أكثر تقدما بحيث تحتوي على أضعاف الترانزستورات الموجودة إلا إذا صُغِّرت المكونات المؤلفة للترانزستورات إلى ما هو أدنى من الميكرومتر. وقد أدى التمكن من تصغير مكونات الترانزستورات لمستوى النانو إلى تضاعف كبير في سرعة وكفاءة الحواسب، وزيادة قدراتها في تخزين المعلومات والبيانات، وأدى ذلك أيضا إلى تصغير أحجامها والنزول بأسعارها، مما كان له أبلغ الأثر في انتشارها على النحو الذي نراه اليوم.

وبالمثل فقد تطورت صناعة الهواتف النقالة وأصبحت أقل حجما ووزنا وأكثر كفاءة، فزادت قدراتها في تخزين وحفظ البيانات والمعلومات إلى أضعاف ما كانت عليه في فترة التسعينيات من القرن الماضي. وقد أصبح ذلك حقيقة نلمسها الآن بعد أن صُغِّرت مكوناتها الإلكترونية إلى مستوى النانو، فأضحت أكثر سرعة، مما أهلها لأن تؤدي أدوارا وظيفية متعددة، مثل الدخول إلى الشبكة العنقودية، إرسال واستقبال الرسائل الإلكترونية، معالجة

الصور والوسائط البصرية والسمعية، استخدامها في معالجة البيانات والأشكال وكتابة التقارير والرسائل، فأضحت بهذا حاسبا آليا محمولا في جيوب ملابسنا. هذا وقد وُظِّفت حديثا تلك الهواتف النقالة كمساعدات رقمية شخصية Personal Digital Assistance، PDA، وإدخال نظام تحديد المواقع العالمي GPS ، Global Positioning System عليها.



الشكل (1 - 2) : مقارنة بين مقاييس أبعاد عدد من الأشياء المعروفة لنا مُقدرة بوحدات قياس أطوال مختلفة، المتر، السنتيمتر، الملليمتر، الميكرومتر والنانومتر [4].

المواد النانوية

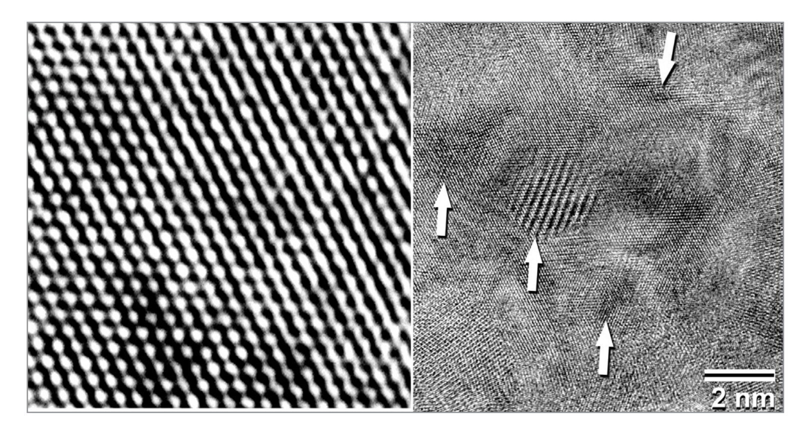
يمكننا تعريف المواد النانوية Nanomaterials بأنها تلك الفئة المتميزة مـن المواد المتقدمة التي يمكن إنتاجها بحيث تتراوح مقاييس أبعادها أو أبعاد حبيباتها الداخلية بين 1 نانومتر و100 نانومتر، كما هو مبين في الشـكل (1 - 3). وقـد أدى صغر أحجام ومقاييـس تلك المواد إلى أن تسـلك سـلوكا مغايرا للمواد التقليدية كبيرة الحجم التي تزيد أبعادها علـى 100 نانومتر، وأن تتوافر بها صفات وخصال شـديدة التميز لا يمكن أن توجد مجتمعة في المواد التقليدية. وتُعد المواد النانوية هي مواد البناء للقرن الحادي والعشرين ولبناته الأساسية والركن المهم من أركان تكنولوجيـات القرن الحادي والعشـرين (تكنولوجيا النانو، التكنولوجيا الحيويـة، تكنولوجيا المعلومات والاتصـالات) والتي تُعتبر معيارا لتقدم وحضارة الأمم ومؤشرا لنهضتها.

وتلقـي الفصول التالية لهـذا الفصل، مزيدا مـن الضوء على تلك المواد، وطرق تحضيرها وتوظيفها في التطبيقات المختلفة.

هذا، وتتنوع المواد النانوية من ناحية المصدر، حيث تختلف باختلاف نسـبها، كأن تكـون مواد عضويـة أو غير عضوية أو مـواد طبيعية أو مُخلقـة. هذا وتُعد جميع أنواع المواد الهندسـية المعروفة مثل العناصر الفلزيـة وسـبائكها Metal and Metal Alloys، أشـباه الموصـلات Semiconductors، والأكاسـيد والمعـادن Oxides and Minerals، وكذلـك البوليمـرات Polymers تعد بمنزلة المـواد الأولية التي تعتمد عليهـا تكنولوجيا النانو فـي تحضير وإنتاج المواد والأجهـزة النانوية. وتمنـح المادة الصفة «النانوية» إذا ما كانت مقاييس أحد أبعادها - بعد واحد على الأقل - ما دون 100 نانومتر.

وتتأثـر جميع الأنظمـة، سـواء كانـت أنظمة بيولوجيـة أو كيميائية أو فيزيائيـة بالتغييرات التـي تطرأ على أبعاد وأحجـام المواد، بل ويمتد هـذا التصغير ليهيمن على النمط الذي تسـلكه هذه المـواد النانوية في التفاعلات الكيميائية والبيولوجية المختلفة. فعلى سبيل المثال فإن حواجز الدم الواصل للمخ Blood-Brain Barrier المكلفة بصدّ وحجز أي أجسـام

غريبــة من أن تصل إلى المخ من خلال الــدورة الدموية، تقف عاجزة عن منع جسيمات المواد النانوية من أن تصل إلى المخ، على الرغم من أن نظام الحجــز أو المنع هذا يعمل بكفاءة مع الأجســام الكبيرة نســبيا التي تصل أحجامهــا إلى عدة ميكرومترات، لذا فقد اســتُفيد من هذه الظاهرة في تخليق عقاقير وجســيمات دوائية تصل مباشــرة إلــى المخ بهدف توصيل الــدواء إليه أو إزالة تجلط دموي بــه من دون أن يتم اعتراضها أوحجبها. إذن نستطيع القول إن صغر أحجام هذه المواد النانوية قد أهلها لأن تخدع حواجز الدم الواصل إلى المخ، وأن تتسلل من خلالها كي تصل إلى الهدف وتتعامل معه تعاملا مباشرا.



الشكل (1 - 3): توضح الصورة التي على يمين الشكل صورة مأخوذة بواسطة الميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة High-Resolution Transmission Electron Microscope، HRTEM لعينة مؤلفة من مجموعة حبيبات نانوية لسبيكة فلزية من سبائك الزركونيوم - نيكل - ألومنيوم $Zr_{60}Ni_{25}Al_{15}$ تم تحضيرها بواسطة مؤلف هذا الكتاب مع فريق عمله في العام 2003. ويلاحظ بالشكل أن أبعاد أقطار الحبيبات المشار إليها بالأسهم لاتتجاوز 3 نانومترات. وتوضح الصورة التي على اليسار مدى الاتساق والترتيب الذري الداخلي لحُبيبة من تلك الحبيبات (5).

لا شك في أن تلك الصفات والخواص غير المسبوقة قد أهلت المواد النانوية لاعتلاء قمة هرم المواد الجديدة، فأصبحت قاســما مشــتركا فــي الصناعات والتطبيقات المختلفة، حيث تعاظــم تأثيرها منذ أوائل

هــذا القرن لتمثل ثــورة تكنولوجية أطلق عليها اســم تكنولوجيا النانو Nanotechnology. وتوظف المــواد النانوية في مختلف المجالات، مثل مجال الطب وصناعة الأدوية والعقاقير الطبية، مجال العلاج والفحص الطبــي، وكذلك في مجال الحفاظ على البيئة ومعالجة الملوثات البيئية وإزالتها. ويمتد توظيف المواد النانوية لتدخل في صناعة مكونات أجهزة الحاســبات الآلية، الإلكترونيات والحساســات Sensors الدقيقة. هذا بالإضافة إلــى دخولها في صناعة الأدوات المختلفــة والمعدات الثقيلة والخفيفة على حد ســواء. ويعد مجال الطاقة الجديدة والمتجددة أحد أهم المجالات المســتفيدة، حيث يتحقق الاعتماد على المواد النانوية في تصنيع الخلايا الشمسية Solar Cells وبطاريات الوقود Fuel Cells.

ماهية التكنولوجيا؟

أضحى لفظ «تكنولوجيا» من الألفاظ الأكثر شــيوعا وتداولا من قبــل رجل الشــارع العادي بجميــع فئاته وشــرائحه، وعلى اختلاف خلفياتــه وثقافاتــه، وذلك منذ نهاية الحــرب العالميــة الثانية قبيل ســنوات قليلة من بداية منتصف القرن العشــرين وحتى يومنا هذا. وعلــى الرغم من هلامية المعنى ومطاطيتــه، فإنه أصبح معيارا عند رجل الشــارع ليقيس به مدى تقدم الدول وقوتها، ومؤشرا على متانة اقتصادهــا وهيمنتهــا على مجريــات الأمور في العالم وسياســاته وتطويعها وفقا لمصالحها وأمانيها، ومن ثم، فقد اكتســى هذا اللفظ فــي كثير من الأحيان معاني أخــرى تختلف في كثير من الأحيان عن المعنى الأساســي المراد له.

وفي غياب تعريف محدد للفــظ «تكنولوجيا» ونتيجة للتداول الخاطئ للفــظ، فقد يظن البعــض أن العالم لم يعــرف التكنولوجيا إلا من خلال تلك الإنجازات العلمية العملاقة والتطبيقيات الحديثة التي شهدها عالمنا خلال الســتين عاما الماضية، مثل التكنولوجيا الحيوية Biotechnology، تكنولوجيا هندســة المكونات الوراثية Genetic Engineering، تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات Communication and Information Technology،

التكنولوجيات الدقيقة Micro-technologies، وتكنولوجيات الإلكترونيات الدقيقة Micro-electronics، وأخيرا تكنولوجيا النانو Nanotechnology، وهذا مخالف للحقيقة.

وإذا ما اتفقنا على أن التكنولوجيا بمعناها المبسط تعني مجموعة المهارات والتقنيات الرامية إلى تطويع النظريات وتطبيق نتائج البحوث العلمية من أجل وضع حلول فريدة ومتميزة لمشكلة ما، أو الحصول على منتجات حديثة قائمة على النتاج العقلي والذهني للإنسان، فسوف يتضح لنا من هذا التعريف، أن التكنولوجيا كظاهرة ليست جديدة أو حديثة، فلقد طوّع الإنسان منذ وجوده على سطح هذا الكوكب الكثير من تجاربه ونتاج خبراته العملية، التي تطورت بعد ذلك لتكون مخرجات تعتمد على العلم والتجريب، لإيجاد حلول فريدة تمثلت في تشييده للمأوى وتوظيفه أدوات بدائية فعالة لتنفيذ أعماله. هذا بالإضافة إلى تمكن الإنسان من استخراج المعادن من تحت سطح الأرض وتجهيزها ثم تخليصها من الشوائب العالقة بها أو الداخلة في تركيبها، ثم تمكنه من الحصول على مسبوكات فلزية وذلك عن طريق الصهر، ثم تشكيلها في صور مختلفة تناسب كل تطبيق على حدة، وإلى غير ذلك من استخدامات مهمة كانت السبب في تمكن الإنسان من التغلب على الصعاب والمشاكل اليومية التي واجهته على مدار ما يقرب من مليون سنة هي عمره على كوكب الأرض. إذن فظاهرة التكنولوجيا في حد ذاتها ليست بجديدة وإنما الجديد فيها هو اللفظ فقط وهذا على النقيض من المفهوم المُترسخ عند البعض [6].

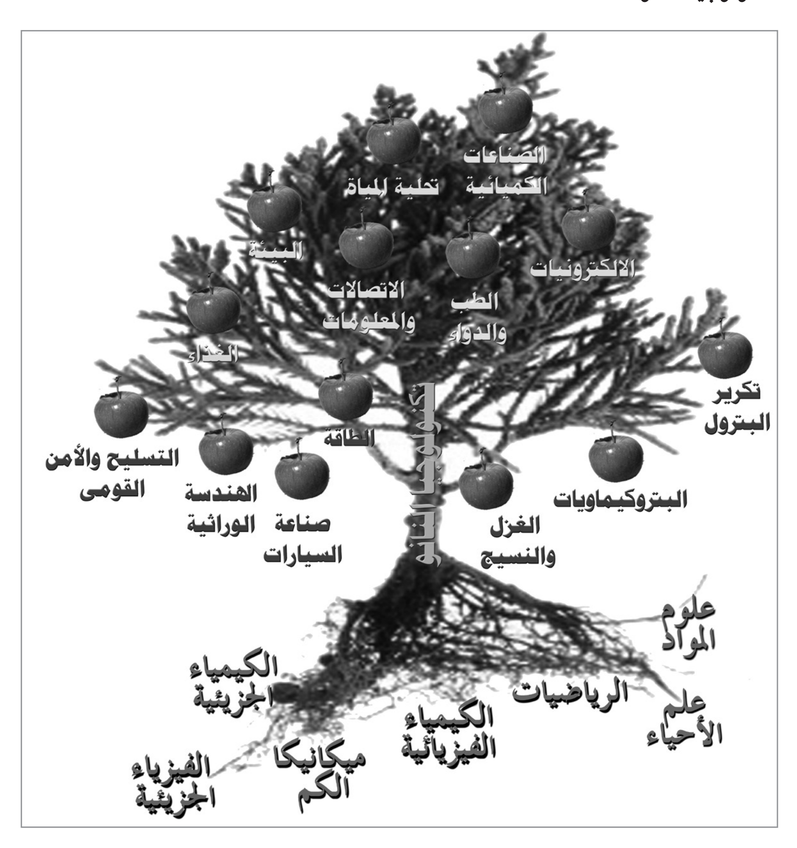
علم النانو وتكنولوجيا النانو

ربما لم تحظ أي تكنولوجيا سابقة باهتمام وترقب كمثل الذي حظيت به تكنولوجيا النانو Nanotechnology التي تعد وبحق تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين، والمفتاح السحري للتقدم والإنماء الاقتصادي المبني على العلم والمعرفة [7].

ويُقصـــد بعلم النانو Nanoscience ذلك العلم الذي يعتني بدراســـة وتوصيف مواد النانو وتعيين خواصها وخصالها الكيميائية، الفيزيائية، والميكانيكية مع دراسة الظواهر المرتبطة الناشئة عن تصغير أحجامها. وغني عن البيان أن تصغير أحجام ومقاييس المواد إلى مستوى النانومتر ليس هدفا في حد ذاته، بل هو فلسفة علمية راقية وانقلاب نوعي وعلمي على كلاســـيكيات وثوابت النظريات الفيزيائية والكيميائية، يهدف إلى إنتاج فئة جديدة من المواد تُعرف باسم المواد النانوية لتتناسب خواصها المتميـــزة مع متطلبات التطبيقـــات التكنولوجية المتقدمة في هذا القرن وتعزيز الأداء على نحو فريد غير مسبوق [8].

وبينمـــا يبدو تعريف علم النانو أمرا ســـهلا، فـــإن وضع تعريف محدد لتكنولوجيا النانو يعد أمرا أكثر صعوبة، وذلك نظرا لتشـــعبها ودخولها في المجالات التطبيقية المختلفة، حيث إن كلا من هذه المجالات ينظر إلى هذه التكنولوجيـــا من وجهة النظـــر الخاصة به. وعامة، فـــإن تكنولوجيا النانو يمكـــن تعريفها بأنها تلك التكنولوجيا المتقدمة القائمة على تفهم ودراســـة علـــم النانو والعلوم الأساســـية الأخرى تفهما عقلانيـــا وإبداعيا مع توافر المقـــدرة التكنولوجية على تخليق المواد النانوية والتحكم في بنيتها الداخلية عـــن طريق إعادة هيكلة وترتيب الذرات والجزيئات المكونة لها، مما يضمن الحصول على منتجات متميزة وفريدة تُوظف في التطبيقات المختلفة [9].

وبهذا أضحـــت تكنولوجيا النانو بمنزلة بحر علمي مترامي الأطراف تمتزج مياهه الســـاخنة بالإنجازات العلميـــة المثيرة، بالمياه العذبة لينابيع العلوم الأساسية والهندسية والطبية وغيرها من أفرع العلم والمعرفة. ولم تكـــن لتكنولوجيا النانو أن تبلـــغ ماوصلت إليه اليوم إلا من خلال اختراع وابتـــكار عدة تقنيات فريدة كان من شـــأنها أن تُمكن تلـــك التكنولوجيا من التحكم في البنية الجزيئية Molecular Structure والتلاعب بذرات المادة وتصميمها وفقا للغرض التطبيقي المراد. وانطلاقا من هذا المفهوم، فـــإن تطبيقات تكنولوجيا النانو لا تقتصر على فرع واحد بعينه من أفرع العلـــوم أو الهندســـة أو الطب، بل تمتد تطبيقاتها لتشـــمل جميع الفروع والتطبيقات (الشكل 1 – 4).



الشكل (1 – 4) : ينتسب علم وتكولوجيا النانو في جذوره إلى العلوم الأساسية التي أنبتت جذعه الذي منه تفرعت أغصانه المثمرة لتظلل كل التطبيقات المختلفة (4).

يخطـــئ من يتصـــور أن تكنولوجيا النانو هي مجرد أداة أو وســـيلة للحصول على مُنتج متميز! ولعل من الإنصاف أن نعترف بأنها أرقى من هذا بكثير، فكما ذكرنا من قبل أنه في غياب تلك التكنولوجيا وتقنياتها مـــا كان لنا أن نحقق تلـــك الطفرات الجبارة والقفـــزات العملاقة في دنيا عالم الاتصالات والمعلومات وما كان لنا أن نتبحر لنســـبح في المياه

العميقة للهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية. في غياب تكنولوجيا النانو لم يكن للعالم أن يحقق تلك الإنجازات المتلاحقة في عالم الطب والدواء ومكافحة السرطان ودحره في مرقده، كما لم يكن مُمكنا لنا أن نطوع ذرات المواد الكيميائية لأن تبحر خلال الشرايين الدموية متخذة في ذلك قواربها من كرات الدم الحمراء حتى تصل إلى الخلايا العليلة في الجسم، كي تقدم لها الأمل والعلاج، لم يكن في استطاعة العالم أن يتحدث عن إمكان توظيف الخلايا الشمسية والمواد النانوية المخزنة لغاز الهيدروجين في مجال توليد الطاقة الشمسية وتصنيع بطاريات الهيدروجين لولا تلك الوثبات التكنولوجية الرائدة التي سخرتها لنا تكنولوجيا النانو في مجال الطاقة الجديدة والمتجددة. هل كان لنا أن نستخدم تلك الأجهزة الصغيرة المحمولة بين كفوف أيدينا والتي بها نستطيع تحديد مكاننا وإحداثياته وتهدينا لسلوك الطريق الصواب خلال رحلاتنا في الطائرات والسفن والسيارات؟ هل كان للبشرية أن تنعم بشرب مياه عذبة نقية خالية تماما من الأملاح والشوائب والبكتيريا لولا استخدام المُرشحات النانوية المنقية المياه؟ وماذا عن تنقية المياه الجوفية من السموم الكيميائية لمخلفات الأسمدة بواسطة المواد النانوية؟

نبذة تاريخية

خمسون سنة في طريقها للمضي على صيحة عالم الفيزياء الأمريكي الشهير البروفيسور ريتشارد فينمان Richard Feynman بأن « هناك متسع كبير في القاع! There's plenty of room at the bottom». كانت هذه الصيحة عنوانا لمحاضرته التاريخية التي ألقاها في حفل أقامته الجمعية الأمريكية للفيزياء في مساء ليلة باردة من ليالي شهر ديسمبر 1959[10]، وفي حضور كوكبة من علماء الفيزياء الذين أتوا خصيصا لحضور تلك الاحتفالية المقامة تكريما له ولمجمل أعماله الإبداعية الأصيلة في علوم ميكانيكا الكم التي نال عنها جائزة نوبل في الفيزياء لعام 1965.

وقد أبــدع فينمان في محاضرته حيث أعطــى تصورا ثاقبا خلاقا ينبئ عن إمكانية تغيير خواص أي مادة وتعظيم سماتها، وذلك عن طريق إعادة ترتيب ذراتها بالشكل الذي يتأتى معه الحصول على تلك الخواص المتميــزة والمختلفة تماما عن ســماتها الأصيلة قبل إعادة هيكلتها، وقد أرجع إيمانه هذا إلى العلاقة المباشــرة التي تربط بين بنية Structure المادة وخواصها، ســواء كانت هذه الخواص خواص كيميائية تتعلق مثلا بالنشــاط الكيميائي، أو خواص فيزيائية مثل اللون والشفافية. أيضا، فإن الخواص الميكانيكية لأي مادة مثل الصلابة والمرونة وغيرهما تعتمد كذلك على البنية الداخلية للمادة وأماكن وجود ذراتها وعددها بشبكتها البلورية Crystal Lattice.

وعلى الرغم مما انفردت به تلك المحاضرة من تنبؤات مثيرة أشارت إلى قرب تفجير الإنسان لثورة تكنولوجية جديدة تُضاف إلى سجله من الثورات الصناعية، فإن ما أشار إليه فينمان لم يلق في حينه الترحيب المُنتظر، حيث وُصف منهاجه بأنه مجرد خيال علمي يتفوق فيه الجانب النظري على الواقع العملي [7]. وقد استند العلماء آنذاك إلى ما انتهوا إليه من أن تحريك ذرات أي مــادة، والتي تتضاءل أطوال أقطارها إلى ما دون النانومتر الواحد، يُعد أمرا مســتحيلا، وذلك نظرا إلى عدم توافر الوســيلة أو الأداة بالغة الصغر التي نســتطيع بواســطتها التقاط الذرات والتلاعب بهــا Manipulation لتحريكها من مواضعها الأصلية إلى مواضع أخرى، ثم دمجها مع ذرات لمواد أخرى لتكوين شــبكات بلورية من مواد نانوية الأبعاد متميزة الخواص عالية الأداء. وأزعم أن البروفيسور فينمان نفسه لم يكن يتوقع أنه بمحاضرته تلك قد أطلق الشــرارة الأولى لتفجير ثورة القرن الحادي والعشرين التي لقبها العالم الياباني نوريو تانيغوتشــي Norio Taniguchi في العام 1974 بلقب تكنولوجيا النانو Nanotechnology لتتوج بذلك كتكنولوجيا التصنيع الأولى للقرن الحادي والعشرين وكمعيار يقاس به تقدم الأمم.

وليس ثمة شــك في أن تلك المحاضرة قد تركت وراءها أسئلة كثيرة ومنطقية فرضت نفســها علينا، وذلك نظرا إلى ثقل وزن البروفيســور فينمان ومكانته العلمية المرموقة. وقد تمكن العالمان الفيزيائيان هنريتش

روهرر «Heinrich Rohrer وزميلـه بيننغ Gerd Binning»، الحاصلان علـى جائزة نوبـل في الفيزياء العـام 1986 والعاملان بشـركة IBM الأمريكية بفرع زيورخ بسويسرا، في العام 1981 من التوصل إلى اختراع نوع جديد من الميكروسـكوبات المعتمدة على المسح البحثي لذرات المادة وهو الميكروسكوب النفقي الباحث Scanning Tunneling Microscopy، حيث تمكنا به من التعامل المباشـر مع الذرات الأحادية للمادة وتحديد أبعادهـا الثلاثية، وذلك عن طريق إبرة دقيقـة التركيب والأداء زُود بها هذا الميكروسكوب تسـتطيع من خلال تطبيق شحنات إلكترونية سالبة استشعار الذرات الموجودة على الأسطح الخارجية للعينة المُراد توصيفها وتحديد شـكل وترتيب ذراتها (الشـكل 1 – 5)، ونُشر العمل كاملا بعد ذلك في العام 1986 [11].

وأسـتطيع القول هنا، إن هـذا الإنجاز العلمي الكبيـر قد أثلج صدر البروفيسور فينمان حيث أثبت صحة نظريته ووضع منتقديه من المتشككين فـي افتراضياته الرائدة في حرج بالغ، خاصة بعد أن تمكن البروفيسـور «إرك دريكسـلر Eric Drexler» في العام 1981[12] من نشـر أول ورقة بحثيـة في موضـوع يتعلق بتطبيقـات تكنولوجيا النانو بعـد جهد بحثي ومعملي متواصل استمر أربع سنوات متواصلة.

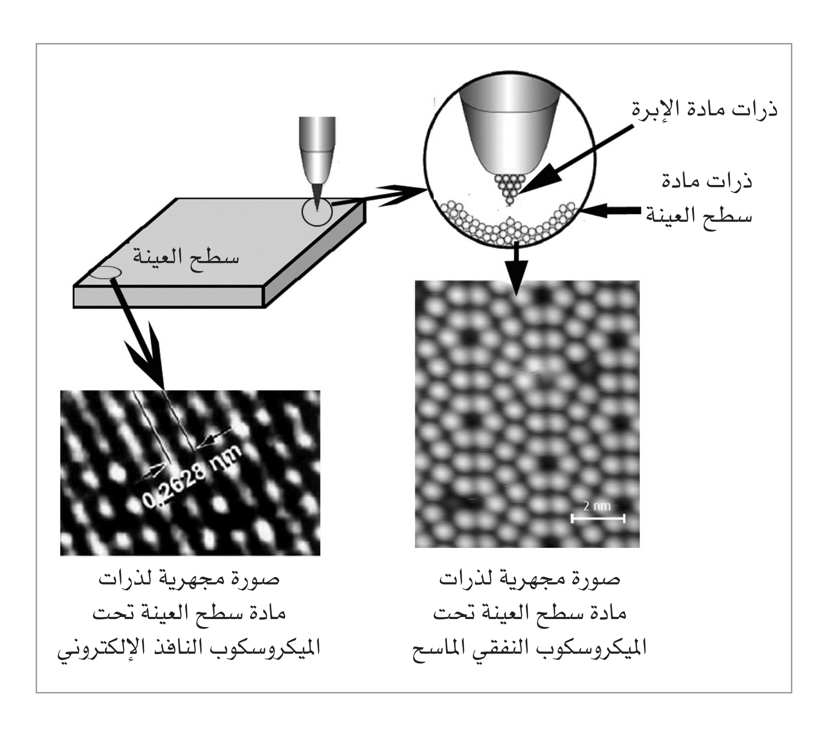
وكـم كنت أود أن يـرى فينمان، الذي تُوفي فـي العام 1988عن عمر يناهز السـبعين عاما، التجربة المثيرة الأولى من نوعها التي قام بها فريق بحثي بشـركة IBM في العام 1989 حين وظفوا الإبرة الدقيقة الموجودة بالميكروسـكوب النفقي الماسـح لالتقاط ذرات عنصـر «الزينون» الخامل وتحريكها بدقة متناهية لإعادة ترتيبها واحدة تلو الأخرى على سطح بارد من فلز النيكل، لتشـكل معا شـعار الشـركة مكتوبا بحروف قوامها ذري وأبعادها نانوية (الشـكل 1 – 6)!. ولعل نجاح هذه التجربة الرائدة، التي جاءت بمنزلة اعتذار عملي للبروفيسور فينمان عما ناله من نقد لاذع، قد فتحت البـاب لدخول العالم إلى عصر تكنولوجيا النانو والبدء في تصنيع أجهزة وأدوات لا تتجاوز أحجامها بضعة نانومترات، ولتتحقق بذلك نبوءة فينمان وتتأكد نظريته.

تكنولوجيا النانو: هل هي حقا تكنولوجيا حديثة؟

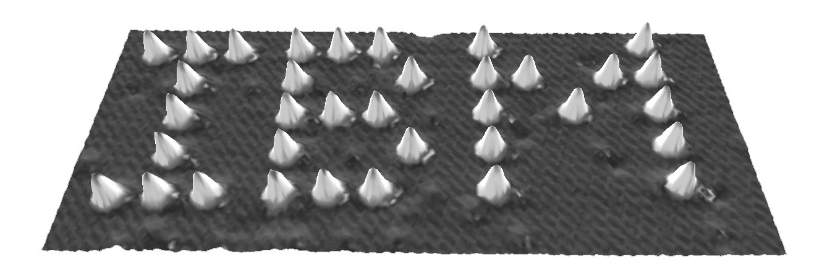
قد يندهش القارئ الكريم إذا ما علم أن استخدام المواد النانوية في بعض التطبيقات يرجع إلى عدة مئات من السنين، خاصة في مجال تحضير وتوصيف المركبات الكيميائية، وذلك نظرا إلى أن مقاييس وأبعاد كل الجزيئات Molecules المكونة للمركبات الكيميائية تكون في مستوى النانو! وقد تناول عالم الفيزياء والرياضيات الأكثر شهرة ألبرت آينشتاين Albert Einstein في جزء من برنامجه العملي برسالة الدكتوراه منذ ما يقرب من مائة عام كيفية انتشار وذوبان جزيئات السكر في الماء، حيث تمكن من حساب أبعاد جزيء واحد من السكر ووجد أنه لا يتعدى النانومتر الواحد. هذا الاكتشاف على الرغم من أهميته، لم يعد مثيرا في حد ذاته في مرحلتنا الحالية التي نعيشها اليوم حيث تم التعرف على أبعاد الجزيئات المكونة للمادة، وكذلك تم التعرف على كل الخلايا الحيوانية والنباتية والفيروسات والبكتيريا والجسيمات الدقيقة، وأدركنا تماما مدى تدنيها في الحجم إلى مستويات أقل من 100 نانومتر. والقارئ الكريم الذي أُتيحت له فرصة زيارة بعض الكنائس الموجودة بالبلدان الأوروبية، المنشأة في القرون الوسطى، ربما يكون قد شاهد نوافذ الزجاج الملُون Stained Glass Window الموجودة بها، والذي تتداخل فيه حبيبات نانوية من فلز الذهب الحر بأقطار مختلفة المقاييس. وكما هو معروف، فإن اختلاف طول قطر كل حبيبة من حبيبات فلز الذهب يُعطي لونا مغايرا وفقا لظاهرة التشتت أو التكسير الضوئي Light Scattering لسطح المادة، الذي يتسبب في كسب المادة للون الذي نراها عليه. لذا فإن ألوانها الظاهرة لنا تتدرج من الأصفر إلى البرتقالي إلى الأرجواني ثم إلى الأحمر والأخضر وفقا لطول أقطار حبيباتها.

وإذا كان الأمر هكذا فما الجديد أو الفريد إذن؟ الإجابة عن هذا السؤال تكمن في أن ما قام به العلماء السابقون لنا، وعلى الرغم من إبداعاتهم العلمية، كان مجرد رصد لظاهرة معينة أو ملاحظة ارتباط

ظاهرتين أو أكثر كل منهما بالأخرى. أما اليوم فإننا لا نكتفي فقط بدراسة تأثير صغر الحبيبات المكونة للمادة على الخواص المختلفة لها، وإيجاد التفسيرات والتبريرات العلمية لهذا الارتباط الوثيق فقط، بل لقد انتقلنا بالفعل إلى مرحلة جديدة ومهمة، وهي القدرة على إنتاج وتصنيع مواد وأجهزة نانوية متقدمة يتم توظيفها في كل المجالات التطبيقية. وكل هذا في الأساس يرجع فضله إلى علمائنا الأوائل الذين سبقونا في الملاحظة وفي بعض التطبيقات.



الشكل (1 - 5) : رسم توضيحي يبين الإبرة الإلكترونية المزود بها الميكروسكوب النفقي الماسح STM والتي تحدَّد بواسطتها أشكال وأحجام الذرات للمواد المختلفة. وهذه الإبرة تستخدم كذلك في تحريك وترتيب ذرات المواد المختلفة والتحكم في بناء شبكاتها وفقا للغرض المطلوب وللخواص المرجوة منها بعد إعادة هيكلتها [11، 13].



الشكل (1 - 6): شعار شركة IBM مكتوبا بذرات لعنصر الزينون المترسبة على سطح شريحة فلزية من النيكل [14].

إذن وكما سبق أن أشرنا إليه، فإن تصغير حجم وأبعاد الحبيبات المكونة لبنية أي مادة ليس هدفا أو غاية في حد ذاته، بل هو وسيلة وسبيل لتحسين الخــواص المختلفة للمادة تمكننا من توظيف التأثير الكمي المُكتســب لدى تلك المواد النانوية، والذي يتعاظم بتدني صغر حبيباتها ليهيمن على سلوكها ويعمل على تحســين صفاتها وخواصها البصرية والكهربية والمغناطيسية وجميع الخواص الأخرى بشكل متميز وغير مسبوق.



2

المادة: اللبنة الأولى للحضارة الإنسانية

«لأن كل هــذه الثورات وتلك النجاحـات المتواصلـة قد تفتقت عن تطبيقات المواد، فلم يكـن غريبا أن تشـغل المادة الحيز الأكبر من تفكير الفلاسفة قبل أن تشغل عقل وفكـر العلمـاء والباحثين، وذلـك لكونها تمثـل العالم المادي المحسوس لدينا»

المؤلف

على الرغم من أن هذا الكتاب وُضع كي يتناسب مع القارئ المُثقف المهتم بمتابعة الصيحات الأخيرة في دنيا التكنولوجيات المتقدمة وتطبيقاتها المثيرة والنافعة دون الدخول في التفاصيل الدقيقة لها، فإنه قد يكون من المفيد أن أقدم للقارئ في بداية هذا الكتاب استعراضا عاما ومراجعة سريعة على الأسس والمبادئ العلمية التي تأسس عليها علم النانو، وقامت عليها تكنولوجيته. لذا كان لزاما عليّ أن أقدم اعتذاري للقارئ الكريم الذي ربما كان يتوقع أن يبدأ الفصل الأول من هذا الكتاب في الإبحار مباشرة في محيط التطبيقات العملية لتكنولوجيا النانو. معذرة عزيزي القارئ إن كنت قد جنحت لما حدثتني إليه نفسي في

أن أسـطر هذا الجزء من الكتاب باسـتعراض عام وشامل لماهية المادة ومفهومهـا عبر التاريخ، وكيف تطورت بنا الحـال إلى إنتاج العديد من المواد الهندسـية Engineering Materials سواء التقليدية Traditional منها أو المتقدمة Advanced والتعرض لما تلعبه ذراتها في تحديد خواص وسمات المادة.

وأود أن أؤكد أنني لم أهدف على الإطلاق إلى الإطالة، أو إلى خلق نوع من التشـويق، بل كانت غايتي هي أن يشـاركني القارئ العزيز في اسـتعراض التطور التاريخي والفلسـفة في إنتاج وصناعة المواد، منذ العصر الحجـري وحتى عصر النانو. أتمنى أن أكون قد نجحت في أن أضع بين يديك خلفية مبسطة عن خواص واستخدامات الأنواع المتعددة من المواد، التي تعد خامات وأحجار بناء صرح تكنولوجيا النانو العظيم، علـى الرغم من إيماني بأن قراء هذه السلسـلة المتميزة من كتب عالم المعرفة تتوافر لديهم تلك المعلومات بصورة أو بأخرى. وكل ما أعدك به أيهـا القارئ الكريم ألا نطيل في رحلتنا هذه وألا نبحر إلى مياه العلوم الأساسية العميقة، بل سوف تكون رحلتنا سريعة - آمل أن تكون ممتعة ومفيدة - من خلال فصول هذا الجزء الأول من الكتاب الذي أعتبره - إن جاز لـي التعبير - مفتاح علم النانو وتكنولوجيته القائمة على ذرات المادة وجزيئاتها.

بقي لنا أن نسـأل هنا عن ماهية القوانـين الفيزيائية التي تخضع لها المواد النانوية وتسلك دربها؟ هل تتبع حركة تلك المواد نُظم وقواعد الحركة الكلاسيكية للمادة التي رسـخها العالم الشهير نيوتن، أم أنها تدور في فلك المفاهيم الفيزيائية الحديثة التي أسسـها ماكس بلانك قبيل انتهاء السـنة الأولى من القرن العشـرين بثلاثة عشر يوما؟ وإذا كانـت المواد النانويـة تخضع لقوانين الفيزيـاء الحديثة التي أدت إلى انطلاق ثورة الفيزياء الكبرى، فالسـؤال هنا يبرز حول ماهية الأسباب الجوهرية التي أدت إلى هذه الردة عن الكلاسـيكية ؟ من الطبيعي أن تعترض هذه التساؤلات مسـيرتنا في قراءة هذا الكتاب، الذي لم أود أن أضعـه في صـورة حقائق غير قابلة للنقـاش، ووجدت أنه من حق

القارئ الكريم أن يقف على خلفية الأسس الفيزيائية التي بُنيت عليها فلسفة تكنولوجيا النانو، وأن أضع بين يديه ما ذهب إليه العلماء من اتفاق واختلاف.

المادة

تؤدي المواد دورا مهما ورئيسيا في حياتنا، حيث لا ننتهي من استخدام المواد في كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية، متنقلين في ذلك من مادة إلى أخرى، ومن استخدام إلى آخر. ولعلي لا أكون مخطئا إن ظننت أن المواد هي صاحبة الدور الأكثر تأثيرا في إثراء ثقافة الإنسان وبناء حضارته. لذا فلم يكن غريبا أن يتم تصنيف وتقييم الدول وفقا لتقدمها في إنتاج واستخدام المواد بالتطبيقات الصناعية والتكنولوجية المختلفة، وعلى الأخص المواد الفلزية لسبائك الصلب. وعلى النقيض من البلاد النامية التي يستهلك الفرد الواحد فيها من منتجات الصلب المتنوعة أقل من 10 كيلوغرامات سنويا، فإن نظيره في الدول المتقدمة والدول الثرية يستهلك أكثر من 750 كيلوغراما سنويا.

وأحسب أن مؤشرات التنمية الاقتصادية والتقدم التكنولوجي في أي دولة لا ترتبط بهذا النمط الاستهلاكي من مخرجات ومنتجات المواد، بل ترتبط في المقام الأكبر بمدى تقدم الدول في إنتاج وتصنيع تلك المنتجات داخل الدولة ذاتها وثقة المستهلك بتلك المنتجات. وهذا بالطبع لا يتأتى من فراغ، بل يقوم على مدى مهارة حكومات الدول في وضع وحياكة خطط بحثية مُبتكرة وتفعيل سياسات الربط بين البحث العلمي والقطاعات الصناعية بحيث تتمكن الدولة من توظيف الإمكانات الإبداعية والابتكارية لأبنائها وتوجيهها نحو ابتكار تكنولوجيات حديثة وعمليات هندسية متطورة تعمل على تميز وتفرّد منتجاتها الصناعية.

وقد قاد التفكير الإبداعي الذي وهبه الله للإنسان إلى معرفة كيف يتدخل للهيمنة على البنية الداخلية للمادة وإعادة صياغتها وتعديل هوية عناصرها عن طريق إضافة ذرات من عناصر أخرى إليها أو

إقصاء ذرات مواد أخرى قد تكون متأصلة داخل هيكل المادة الأساسية. لذا فقد أدرك الإنسان منذ تلك اللحظة مدى الدور المهم الذي يؤديه هذا التدخل في تحسين صفات المادة وتعظيم خواصها وإيجاد آفاق تطبيقية جديدة ومبتكرة. وقد قاد التطور السريع في علم المواد (1) Materials Science إلى ميلاد عائلات جديدة من المواد، اتسعت وتباينت رقعة تطبيقاتها منذ اللحظة الأولى لبداية ظهور الإنسان على سطح الأرض، فأصبحت بمنزلة القاطرة التي دفعت البشرية نحو تحقيق ثوراتها الصناعية الكبرى التي أشرنا إليها سلفا في مقدمة هذا الكتاب.

ولقد كان لتلك الثورات أعظم الأثر في قيادتنا خلال العشرين سنة الأخيرة كي ننجح في تفجير ثورتين متتاليتين هما «التكنولوجيا الحيوية» ثم «تكنولوجيا المعلومات والاتصالات». وأخيرا، وليس بآخر أعلن الإنسان عن تفجيره لأعظم ثورة في التاريخ البشري وهي «ثورة تكنولوجيا النانو» التي أعارت اسمها لهذا القرن الذي نعيش فيه فلُقب «بقرن تكنولوجيا النانو». ولأن كل هذه الثورات وتلك النجاحات المتواصلة قد تفتقت عن تطبيقات المواد، فلم يكن غريبا أن تشغل المادة الحيز الأكبر من تفكير الفلاسفة قبل أن تشغل عقل وفكر العلماء والباحثين، وذلك لكونها تمثل العالم المادي المحسوس لدينا.

وتعد المادة المعول الرئيسي الأول في بناء الحضارة البشرية، حيث تحتل المساحة الأضخم لبرامج العلماء البحثية والتجريبية منذ أن فكر الإنسان في استخدام الأحجار والصخور إلى أن استخدم المواد النانوية في صنع حضارة القرن الحادي والعشرين.

تبين لنا مما سبق سرده، مدى أهمية المادة في صنع الحضارة وفي تقدم الأمم ونهضتها. ومن أجل هذا لا بد من وصفها ومعرفة خواصها التفصيلية حتى نستطيع أن ننتفع من مخرجاتها في التطبيقات المختلفة. وفي حقيقة الأمر، فقد مر وضع تفسير محدد وثابت عن ماهية المادة وما تحتوي عليه من جسيمات صغيرة بسلسلة طويلة من المراحل الفلسفية والفكرية والعلمية، حيث اختلف علماء كل مرحلة

عـــن زملائهم في المراحل الســـابقة والتالية لها في وضع تعريف للمادة وترســـيخ تفسيرات ثابتة ومحددة لســـلوكها وخواصها، واختلفوا أيضا فـــي تعريف ما تحتوي عليه المادة من جســـيمات غير مرئية وهوية تلك الجسيمات ودورها في تحديد سمات المادة وخواصها.

كلاسيكيات نيوتن لوصف المادة

علـــى الرغم من ذلك النقد التهكمـــي اللاذع الذي تعرضت له نظريات نيوتن الخاصة بتعريف العالـــم المادي وعلاقته بالزمان والمكان، فإن تاريخ العلم منذ أن عرف الإنســـان كيف تتحرك الأجســـام وكيف تسبح الأجرام الســـماوية في هذا الفضاء الشاسع، وإلى يومنا هذا ما زال يحتفظ بذكر «إســـحق نيوتن»، ذلك الإنســـان المُبدع مؤســـس علم الفيزياء الكلاسيكية، حيث يُعد العالم الفيزيائي والرياضي الأكثر شهرة والأعظم اعتبارا ومكانة على الإطلاق؛ فقد اخترع نيوتن التلســـكوب العادي وراقب حركة الأجرام الســـماوية والكواكب ووضع قوانين لحركتها ودورانها، وفســـر لنا ظاهرتي المد والجزر، وهو مؤســـس علم التفاضل والتكامل وعلم الميكانيكا، والذي بفضله عرفنا قانون الجاذبية.

ووفقا لكلاســـيكيات الفيزياء التي أسســـها نيوتن، فإن الكون المادي يقـــوم على كلمـــات ثلاث هي: المـــادة والمكان والزمان. وقـــد رأى نيوتن المـــادة على أنها أجســـام كبيرة صلبة ومتماســـكة تُوجد على هيئة صور من الأشـــكال والأحجام المختلفة. كما اعتقد - أي نيوتن - أن الذرة هي أصغـــر جزء في هذا الكون المادي الذي يمكن أن تنقســـم إليه أي مادة. وهـــذا يعني غياب محتويات الذرة من الجســـيمات المتناهية في الصغر مثل البروتونات والنيترونات والإلكترونات من هذا التعريف الذي وضعه نيوتن في أواخر القرن السادس عشر.

وقد أضفى نيوتن علـــى نظريته الخاصة بتعريف المادة صبغة دينية جانحة إلـــى المبادئ الفلســـفية التي رســـخها تلميذ أفلاطـــون ومُعلم الإســـكندر الأكبر وغيره مـــن القياصرة والملوك الفيلســـوف الإغريقي الشـــهير «أرســـطو» ومفاهيمه المتعلقة بالكون والعلوم الفيزيائية، حيث

شـــكلت تلك المبادئ – على الرغم من قدمها الذي يرجع إلى عام 360 قبل الميلاد – حجر الزاوية في نشـــأة مبادئ ومفاهيم الفيزياء القديمة، التي رُوج لها أو بعبارة أخرى استمالت ترحيب وارتياح الكنيسة المسيحية خلال العصور الوســـطى وعصر النهضة في أوروبا . لذا فقد آمن نيوتن بعدم فناء المادة وأزليتها في الوجود، وثبات كتلتها وطاقتها من دون أدنى تغيير، وقد أدى هذا الفرض إلى إيمان راسخ وعميق بأزلية الكون المادي واستحالة فنائه واندثاره.

وفي إطار هذا المنطق، شيدت فلسفة نيوتن «المادية» أعمدة المدرسة الكلاســـيكية الحديثة للفيزياء ورَسَّخت صرحها على عدة مفاهيم ثابتة اعتنقتها طائفة أهل العلم ورجالاته طوال قرنين من الزمن وحتى بداية القرن العشرين. وكان أهم ركن بها هو عدم الربط بين حقيقة المادة من جهة والزمـــان أو المكان الموجودة به، وذلك اســـتنادا إلى المبدأ الصارم المؤمن بأزليـــة المادة، وبأنها لا تَفنى ولا تندثـــر. وإن جازت لي صياغة مبادئ تلك المدرسة العلمية والفلسفية، فنستطيع أن نوجزها في النقاط الثلاث التالية:

- قيام الكون على أســـاس المادة المُمثلة في جســـيمات –الذرة – ذات كتلة وطاقة.
- تتمثـــل طاقة أي مادة في الضوء، الإشـــعاع الحـــراري، وكذلك في الموجات الكهرومغناطيسية الصادرة عن المادة.
- لا مجال لمناقشة الظواهر الطبيعية في الكون، حيث إنها بعيدة كل البعد عن مجال تدخل الباحث الذي عليه أن يلزم الصمت أمامها، وذلـــك باعتبارها ظواهر مؤكدة تتمتع بالاســـتمرارية والتكـــرار ولاتحتـــاج إلـــى أي اجتهـــادات علميـــة لتأويلها أو تفسيرها، لأن كل هذا يمثل مضيعة لوقت وجهد الباحث فيما لا عائد منه ولافائدة.

كانت هذه هي فلســـفة المبـــادئ التي حكمت نظريات نيوتن وأســـرتها داخـــل قضبان فولاذية لا تقبل أي تعديـــل أو تأويل. وعلى الرغم من ذلك كلـــه، فقد حققت تلك المبادئ والأطر حينذاك نجاحات كبيرة ومتعددة في

مختلف المجــالات العلمية، خاصة بعد نجاح الجهود العلمية الخارقة التي قــام بها عشــرات العلماء الأفذاذ مثل فــارادي Faraday وكلفن Kelvin، هيرشــل Herschel، الذين اســتوحوا إلهاماتهم الإبداعيــة في مجالات الكيميــاء والفيزيــاء والفلك من عقل ومنطق نيوتــن وفرضياته، محققين فــي ذلك إنجازات هائلة تمثلت في تفســير حركة الأجســام، وميكانيكية التفاعــلات الكيميائيــة الحادثة بين ذرات المواد المختلفــة، وكيفية انتقال الحــرارة والكهربــاء والضوء من جســم إلى آخر، وإلى مــا غير ذلك من اكتشــافات فيزيائيــة مهمة اهتمت بها الأوســاط العلميــة خلال القرون الثلاثة السابقة للقرن العشرين [2، 3].

أفول نجم الفيزياء الكلاسيكية

توفي نيوتن في عام 1727 وهو على ثقة ويقين بأن قوانينه ونظرياته الخاصة بالمادة ســوف تُكتب لها الاســتمرارية والخلود، شأنها في ذلك شــأن المادة التي آمــن بخلودها وببقاء طاقتها وكتلتها بلا تغير. وســاد اقتنــاع العلماء بقوانــين نيوتن الخاصة بالذرة، وبعلاقــة المادة بالزمان والمكان طــوال ما يربو على قرنين من الزمان، الأمر الذي بســببه زعم علمــاء الفيزياء والرياضيات في القرن التاســع عشــر أن تلك القوانين سوف تهيمن على كل الظواهر الطبيعية والفيزيائية التي قد يتم التوصل إليها خلال القرن العشرين.

وقد كان من بشائر حدوث ثورة القرن العشرين المتمثلة في تأسيس علم الفيزيــاء الحديثة وأفول نجم فرضيات نيوتن الكلاســيكية، ما أثبته العالم الشــهير طومسون Thomson [4] في عام 1856 من أنه إذا ما تم شُحن جسم ما بشحنة كهربية، فإن كتلته لا تكون ثابتة حيث إنها تتغير في أثناء تحرك الجســم؛ فقد لاحظ طومسون تزايد كتلة الجســم المشحون بالكهرباء مع زيادة سرعة حركته. ومنذ ذلك الحين أصبحت فرضية نيوتن الخاصة بحتمية بقاء كتلة الجســم بلا تغيير – مبــدأ نيوتن في بقاء الكتلــة – أصبحت مجرد ذكرى تتناقلها كتب التاريخ العلمي.

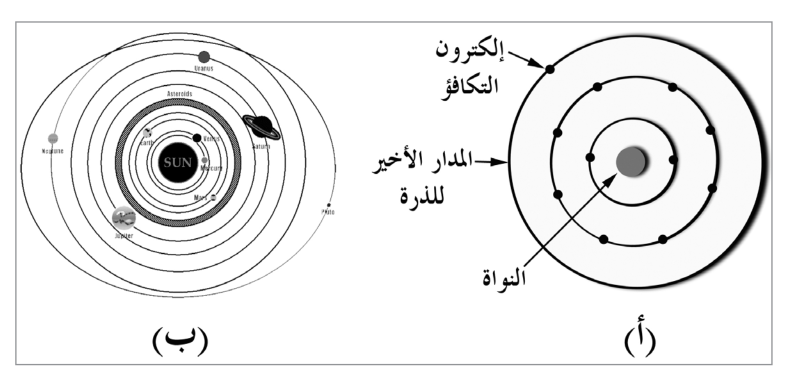
وقد استمر طومسون في تجاربه العلمية المثيرة إلى أن فجّر في أواخر القرن الثامن عشر مفاجأة كبيرة من العيار الثقيل، حيث برهن على خطأ الاعتقاد السائد بأن الذرة هي أصغر جسيم يمكن أن تنقسم إليه المادة، فقد بدد طومسون بتجاربه الرائدة ذاك المفهوم السائد وأثبت بالتجارب العملية وبتقديم الأدلة والبراهين أن الذرة تتألف من مجموعة جسيمات متناهية الصغر والوزن مثل الإلكترونات Electrons، البروتونات Protons والنيوترونات Neutrons.

وقد استمر أحد تلاميذ طومسون وهو رذرفوردRutherford [(4)] في دراسة الذرة وخواصها إلى أن انتهى إلى وضع النموذج الذري الحديث. فكما يعلم القارئ الكريم فإن الذرة تتكون من نواة مركزية Central Nucleus كبيرة الحجم، شديدة الكثافة - وذاك بالمقارنة مع بقية مكونات الذرة، حيث تحتوي على جسيمات الشحنة الموجبة وهي البروتونات، هذا بالإضافة إلى احتوائها على جسيمات عديمة الشحنات وهي النيوترونات. وتحاط النواة بعدة مدارات Orbits تحتلها جسيمات صغيرة الأحجام، خفيفة الأوزان تُسمى الإلكترونات وهي تحمل شحنات سالبة [(*)]، كما هو موضح في الشكل (2 - 1 «أ»). ونستطيع من الشكل ملاحظة أن الذرة تحاكي في بنائها نظام المجموعة الشمسية (الشكل 2 - 1 «ب») حيث ترتبط الإلكترونات في الذرة بجسم النواة المركزي الأكبر حجما والأثقل كثافة عن طريق قوة جذب كهربائية ساكنة Electrostatic Attraction Force تعمل على جذب هذه الإلكترونات كي تدور في فلك النواة [(5)].

وتدفق بعد ذلك إلى يمّ الفيزياء الحديثة كم هائل من نتائج ومخرجات الأبحاث العلمية والنظريات الخاصة بالذرة والتي أصبحت بعد ذلك بحارا ثم محيطات تبلورت بها فلسفة وأهمية وجود الإلكترونات في مدار الذرة الأخير، والمعروفة باسم إلكترونات التكافؤ Valence Electrons والمسؤولية الملقاة على عاتقها في تمثيل الذرة والتعبير عن خواصها الكيميائية للمادة. ويتحدد سلوك

(*) انظر الهامش الرقم (2).

العنصر عند دخوله في التفاعلات الكيميائية من قيمة تكافئه Valence والذي به يتحدد العدد الكلي لإلكتروناته السابحة في مداره الذري الأخير، كأن نقول مثلا إن تكافؤ الصوديوم هو واحد صحيح، وذلك لوجود عدد إلكترون واحد في مداره الأخير، كما هو موضح بالشكل (2–2 «أ»)».



الشكل (2 - 1) : تحاكي الذرة في بنيتها (الشكل «أ»)، المؤلفة من نواة مركزية موجبة الشحنة مُحاطة بعدة مدارات تدور فيها الإلكترونات ذات الشحنات السالبة، نظام المجموعة الشمسية (الشكل «ب») الذي تتوسطه الشمس حيث تدور حولها مجموعة من الكواكب تتفاوت في أحجامها وكثافتها وبُعدها عن النجم الشمسي. والنموذج المبين في الشكل «أ» يوضح البنية الذرية لعنصر الصوديوم، حيث تتوزع إلكترونات ذرته في عدة مدارات، ويُطلق على إلكترون المدار الأخير اسم «إلكترون التكافؤ» الذي يتحمل مسؤولية الإقدام للمشاركة في التفاعلات، والذي به يتحدد النشاط الكيميائي لأي عنصر. ويتم تحديد تكافؤ العنصر وفقا لعدد الإلكترونات الموجودة في المدار الأخير للذرة - مدار التكافؤ - فيقال إن العنصر أُحادي التكافؤ، كما هو في ذرة الصوديوم وذلك لأن مدار ذرته الأخير به عدد إلكترون واحد. وكلما قل عدد إلكترونات مدار ذرة العنصر الأخيرة، زاد نشاط العنصر وتعاظمت قدرته على الدخول بشراهة في التفاعلات الكيميائية [6].

ثورة الفيزياء الحديثة

على الرغم من اقتناع علماء الفيزياء والفلك في تلك الفترة التي سبقت القرن العشرين بأن العالم وكل ما يحتويه من ظواهر فيزيائية قد أضحى مفهوما ومُبررا، إلا أنهم وقفوا متحيرين إزاء بعض الظواهر

الفيزيائية التي لم تفلح قوانين نيوتن في وضع تفسـيرات مقنعة لها، ومن أشـهر تلك المعضـلات الفيزيائية التي جاء تفسـيرها متناقضا مع كلاسـيكيات نيوتـن الفيزيائية، هذا التناقـض الكبير بين مبادئ النظرية الكهرومغناطيسـية وظاهرة التأثير الكهروضوئية (الظاهرة الفوتوكهربائية) وإشـعاع الجسم الأسود. فقد عجز العلماء عن إيجاد تفسير مريح ومنطقي لكيفية توزيع الطاقة الخاصة بالأجسام الصلبة السـاخنة علـى الأطوال الموجية للضـوء؛ حيث اكتشـفوا أن الطاقة الحركية التي تكتسـبها الإلكترونات المنبعثة المُثارة من الجسم نتيجة للتسـخين لا تتناسب تناسُبا طرديا مع شـدة الضوء، ولكنها تتناسب مـع تردد الموجات الضوئيـة، وذلك بخلاف ما ذهب إليه نيوتن من أن شدة الإشعاع تزداد بتناقص الطول الموجي للموجات الضوئية، أي أنها تتناسب تناسبا عكسيا معها.

وقد برزت هذه الأزمة لتُغير من نظرة العلماء إلى مُسـلمات نظرية نيوتن، لتكون بمنزلة الشرارة الأولى لإعلان ثورة علمية جديدة. وعلى المسـتوى الشـخصي فإنني أري أن ما ذهب إليـه كثيرون في وصف هـذه الثورة بأنها أطاحـت بقوانين نيوتن الكلاسـيكية وفرضياته أو وجّهت إليها لطمة قاسـية، فيـه كثير من التجني علـى جهود نيوتن ونصاعة أياديه على العلوم الفيزيائية والرياضيات، حتى إن لم يحالفه التوفيـق في بعض أو كثير من تلك الفرضيات النظرية؛ لذا فقد يتفق معـي القارئ الكريم على أن نجنح معا ونصف تلك الثورة بأنها جاءت لتصحيح نظريات وافتراضات نيوتن الكلاسـيكية في القرنين السابع عشـر والثامن عشـر، وذلك من خلال التجربـة والتحليل وبتوظيف إمكانيـات معمليـة وبحثية أكثر تطورا مما كانـت عليه وقت أن أبدع نيوتن تلك الافتراضات. ولعل وصف العالم الشـهير ألبرت آينشتاين لما قـام به نيوتن من جهود علمية خارقة حين قـال «إن المفاهيم التي طورهـا نيوتن مازالت تقود تفكيرنا في الفيزياء حتى اليوم» قد يوفيه بعض حقه من الاحترام والتقدير.

ميكانيكا الكم : هل هي إعلان مبكر عن بزوغ تكنولوجيا النانو؟

لم يشـأ «ماكس بلانك» Max Planck [7] أن يطوي القرن التاسع عشـر صفحته مـن دون أن ينتهي من تجاربـه الفيزيائية الفريدة التي عرض نتائجها خلال جلسـة من جلسـات اجتماع الجمعية الفيزيائية التابعـة لأكاديمية العلوم في برلين، المُنعقدة في ديسـمبر 1900. وفي خلال هذه الجلسـة التاريخية، أعلن بلانك نجاحه في تفسـير طبيعة إشـعاع الموجات الكهرومغناطيسـية للمادة، وذلك من خلال اعتبار أن الإشعاعات الصادرة من جسم المادة ليست مجرد موجات ولكنها تتألف من جسيمات أُطلق عليها اسم الفوتونات Photons، حيث برهن على أن شدة الإشعاع تتناسب تناسـبا طرديا مع عدد الفوتونات الصادرة، وأن طاقة الفوتـون تعتمد على تردده. كذلك أظهرت نتائجه أن طاقة الذرة ليست متصلة، بل يمكن تقسيمها إلى عدة مستويات للطاقة توجد فيها جسيمات متناهية الصغر وهي الإلكترونات. وقد دعمت نظرية النسبية لآينشـتاين في عام 1905 نتائج بلانك والتي صححت رُكنا أساسيا من أركان افتراضـات نيوتن المتمثلة في العلاقة الرابطة بين الزمان والمكان والمادة، فقد أثبت آينشتاين أنها علاقات ليست مُطلقة أو ثابتة، بل هي نسبية ومتغيرة [8].

وقد مثلت نتائج تجارب ماكس بلانك ومن بعده آينشـتاين إشـعارا لميلاد ثورة ميكانيـكا الكـم Quantum Mechanics وفتحا علميا أدى إلى تصحيـح نظريات الفيزياء الكلاسـيكية، مما سـاعد على دخول الفيزياء إلى مجالات جديدة ومتعـددة كان من أبرزها مجال العمليات الحرارية التي تعد أصل علم الديناميكا الحرارية وتأسـيس قواعد علم الديناميكا الكهربية. وأود الإشـارة إلى أن كلمة «الكم Quantum» هي كلمة لاتينية الأصل معناها «كمية»، وترجع تسـمية النظرية بهذا الاسم إلى أن الطاقة التي تكتسـبها الأجسـام أو تمنحها لجسـم أو أجسام أخرى لا تنتقل بصورة مسـتمرة ومتواصلة، ولكنها تنتقل متقطعة على هيئـة كميات - جمـع كلمة «كم» - أو دُفعات متتاليـة، لذا عُرفت هذه النظرية بميكانيكا الكم. وأحسـب أن المرجع التاسع المُدون في هوامش

هذا الفصل من الكتاب ســوف يكون عونــا للقارئ المهتم بمعرفة المزيد من التفاصيل عن ثورة ميكانيكا الكم ونظرية النســبية، وذلك نظرا إلى بساطة عرضه وعمقه ودقة معلوماته.

وخلال الخمســين ســنة الأولى من القرن العشــرين، توالت فتوحات الفيزياء الحديثة وغزواتهــا الميدانية إلى جميع أفرع العلوم والتكنولوجيا، حيث تأسســت النظريــات المنطقية الحديثة القائمة علــى ثورة ميكانيكا الكم، فلم يكن من المســتغرب أن يتحقق خلال تلــك الفترة الخصبة إنتاج أكثــر من 75% من أســس ومبادئ علــم الفيزياء المعروف لنــا اليوم [9]، وكان لهمة الباحثين القابعين بمعاملهم ونشــاطهم العلمي والبحثي الملتهب خلال الخمســين ســنة المتبقية من القرن الماضي أبلــغ الأثر في تضاعف عدد الأبحــاث وتعدد النظريات الرائدة التي مهدت الطريق لانطلاق ثورة تكنولوجيا النانو.



3

الـذرة والجـزيء: بُنـاة صرح النانو وفرسانها

كمـا ذكرنا فـي الفصل السـابق من الكتاب، فإن الذرة هي العنصر الرئيسـي المُكون لأي مادة، والتي على أساسها تتحدد سـمات المادة وخواصها وترسم سياسات وطبيعة علاقاتها وتفاعلاتها مع ذرات المواد الأخرى لبناء جسيمات المُركبات الكيميائية التـي تُعرف بالجزيئات Molecules. وتُعد ذرات وجزيئـات المـواد، التـي تنخفـض مقاييس أحجامها إلى مسـتوى النانومتر، بمنزلـة أحجـار الزوايا المسـتخدمة في تشييد صرح تكنولوجيا النانو.

ومثلمـا يهيمن العـازف الماهر على الخطـوط الأساسـية للحـن والتلاعب Manipulation بأوتـار قيثارته لإخراج أروع الجمل الموسـيقية، فإن تكنولوجيا النانـو قد هيمنـت على خـواص المادة

«لا يعتني علمـاء تكنولوجيا النانـو كثيرا بمثالية شـكل وحجـم بلورات المـادة بقدر اهتمامهم بتحسين ومضاعفة خواص المادة»

المؤلف

وســلوكها، وذلــك من خلال قدرتهــا على إعادة تنظيــم وترتيب ذرات المــادة Atomic Arrangement والتلاعــب بجزيئاتهــا، مع التحكم في بنية هياكلها الداخلية عن طريق تصغير مقاييس أبعاد حبيباتها Grain Sizes المكونــة لتلك الهياكل. ومن ثم فقــد أضحت المادة الواحدة، بعد سيناريو التغيير التراجيدي هذا، تبدو وكأنها مادة مختلفة تتمتع بخواص وصفات متميزة.

وفي هذا الصدد قدمــت تكنولوجيا النانو الكثير من التقنيات المُبتكرة والسُــبل المُيســرة التي تمكننا مــن التحكم فــي البناء الــذري Atomic Structure الداخلي للمادة، وتطوير نمط ترتيب الذرات بمواقع الشــبكات البلوريــة Crystal Lattices، مما أدى إلــى طفرة هائلة في منهاجية علوم المــواد أدت إلى ميــلاد أنواع جديدة من المواد غيــر النمطية التي تختلف فــي خواصها عن أترابها مــن المواد التقليدية. ويرتبــط النجاح في تفهم علم النانو وتكنولوجيتها بمــدى إدراكنا وتفهمنا لبنية المادة وترتيب ذراتها الداخلية، لذا فقد يتفق معي القارئ الكريم في أن نستعرض معا في هذا الفصــل من الكتاب مدى ارتباط خواص المــادة ببنيتها الداخلية والترتيب الذري بها.

الجزيئات والروابط الكيميائية

نــادرا ما توجد ذرات المادة في صورة فردية أو عنصرية منعزلة، وإنما تجنح إلــى أن تتحد مع غيرها من ذرات العناصــر الأخرى، مكونة بذلك مركبــات كيميائية تتألف من جزيئات. وخــلال تطوير النظرية الذرية برز سؤال مهم عن سبب تولد هذه النزعة عند الذرات الأحادية، وكانت الإجابة التي اجتهد العلماء طويلا في أن يصلوا إليها هي أن قيم الطاقة الخاصة بالمركبــات المتكونة تكــون أقل في القيمــة، مقارنة بتلــك القيم الخاصة بالــذرات الفردية. وهذا يعني أن ذرات العناصــر تتجه دائما إلى تحقيق الاســتقرار وتخفيض طاقاتهــا، وذلك من خلال لجوئها إلــى أن تتفاعل كيميائيا مــع ذرات عناصر أخرى لتكوِّن جزيئات مادة المركبات التي تكون أكثر استقرارا، وذلك يرجع إلى انخفاض قيم الطاقة لها.

ويتكون الجزيء من ذرات عنصر أو أكثر، ومن خلال روابط تُعرف باسم الروابط الكيميائية Chemical Bonding والتي تؤدي إلكترونات المدارات الأخيرة للعناصر الدور الرئيسي الأكبر في تكوينها. ولعل الرابطة الناشئة بـين أيون الصوديـوم الموجب وأيون الكلور الســالب لتكوين جزيء كلوريد الصوديـوم - ملح الطعام - المتعادل أحد أشــهر الأمثلــة لذلك النوع من الروابط الكيميائية المعروفة باسم الرابطة الأيونية Ionic Bonding. ونودّ أن نشير هنا إلى أن الروابط الكيميائية تعد مفتاحا من مفاتيح تكنولوجيا النانــو، وذلــك لأن تلك الروابط تجمــع بين أيونات العناصــر الكيميائية مولــدة بذلك صــورا أخرى من المواد على هيئة جزيئــات متناهية الصغر والتي تمثل أحجار البناء الأساســية في الصناعات الجزيئية Molecular Manufacturing الخاصة بتكنولوجيا النانو.

البلورات

بالإضافــة إلى تأثير البنية الذرية للمادة في تحديد نشــاطها وخواصها الفيزيائية والكيميائية، فإن تنظيم وجود ذرات المادة داخل هياكل بلورية تشبه تلك البنايات الســكنية التي نعيش فيها، يؤدي دورا رئيسيا ومهما في تحديد خواص المــادة. وأود في هذا الجزء من الفصــل الثالث أن أصطحب القارئ لنســتعرض معا كيف تنســق ذرات المواد الصلبة مواضعهــا في تلك البنايات البلورية، وتأثير هذا الترتيب على سلوك المادة وخواصها، وسوف نوجز أيضا في تحليل وتبرير ارتباط الخــواص المختلفة للمادة بمقاييس أبعاد حبيباتها. وقد يرغب القارئ الكريم في التزود بتفاصيل أكثر عن البناء البلوري Crystal Structure فــي المواد الصلبــة وذلك من خلال الاطلاع على نخبة متميزة من مراجع مُختارة، يُسعدني أن أضع أسماءها تحت تصرفه [1، 2، 3].

الشبكات البلورية

تجنح الذرات الأحادية Single Atoms للمواد البلورية Crystalline Materials . الصلبــة لأن تقيم علاقات قوية ووثيقة مع شــقيقاتها من الذرات المكونة للمادة نفسها وكذلك مع أترابها من ذرات المواد الأخرى.

وتتأتــى هذه العلاقــات الحميمية نتيجة لما تُبديــه ذرات المواد الصلبة من نزعة للقيام بترتيب أنفســها في نظام نموذجي منتظم يُعرف باسم النظــام البلوري، والذي تصطف فيه الــذرات في مواضع فراغية ثابتة تُســمى نقاط الشــبكة البلورية Lattice Points. ويكــون ذلك الترتيب الذري علــى هيئة بلورات أحادية من المادة Single Crystals تتبلور في أشــكال هندســية منتظمة تنتمي إلى إحدى الفصائل البلورية Crystal Group السبع المعروفة لدينا (4)، والتي من بينها فصيلة المكعب.

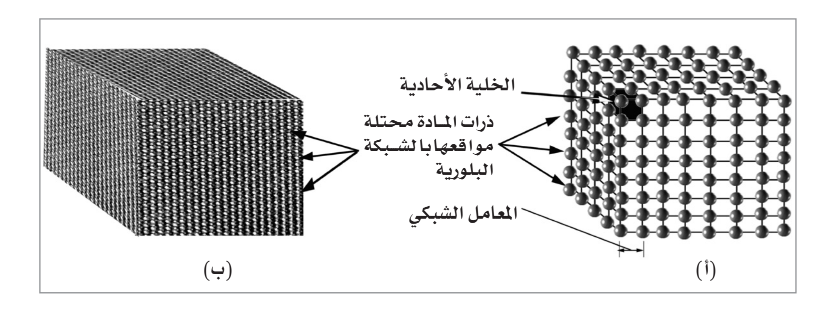
ونســتطيع تعريف الشبكة البلورية بأنها الهيكل Skeleton الذي تقوم فيــه مجموعة من ذرات المادة باحتلال مواقعها داخله وترتيب أنفســها به وذلك بشــكل منتظم ومتكرر (5)، ونادرا مــا توجد المواد على هيئة بلورات أحاديــة، لكنها توجد عادة فــي صورة بلورات متعــددة Polycrystalline تتألف من تجمع عدة بلورات أحادية.

ويوضح الشكل (3 – 1 «أ») رسما تخطيطيا للشبكة البلورية الخاصة لأحد العناصر التابعة لفصيلة المكعب البسيط والتي فيها ينتظم ترتيب الذرات على نقاط الشبكة، مكونة بذلك شكلا هندسيا منتظما تتساوى أبعاد جميع أضلاعه. وإذا ما نظرنا إلى الشكل المذكور، فسوف نلاحظ أن الهيــكل الكلــي للمكعب يتألف من عدة مكعبــات أصغر، يُطلق على الواحــد منها اســم الخلية الأحاديــة Unit Cell والتــي تتجمع بها كل صفات وســمات وخواص المــادة، ومن ثم فهي بمنزلــة جينات الخلايا الحية التي تحدد الصفات الوراثية المتعلقة بســمات الكائن الحي. وكما تختلف البصمة الوراثية من إنســان لآخر، فــإن مقاييس أبعاد الخلية الأولى للمادة تختلف من مادة واحدة إلى أخرى، بحيث لا توجد مادتان متطابقتان بتلك الصفة على الرغم من وجود هذا الكم الهائل من المواد الطبيعيــة والصناعية (6). ونســتطيع التعبير عن مختلف خواص المادة وذلك من خلال تحديد قيمة مقياس أبعاد خليتها الأحادية، حيث يُطلق على هذا البُعد مصطلح مُعامل الشــبكة البلورية Lattice Parameter. ومن الجدير بالذكر أن المواد الموجودة على شكل هندسي واحد كالمكعب مثلا، وعلى الرغم من اختلاف قيم معاملات شــبكاتها، فإنها تتشــابه

في الصفات والخــواص الكيميائية والفيزيائية. هــذا وينطبق المفهوم نفســه أيضا على المجموعات الأخرى من الشبكات البلورية التي تترتب فيها الذرات على هيئة أشكال هندسية أخرى منها متوازي المستطيلات والمسدس والمعيّن.

ويوضح الشــكل (3 - 1 «ب») صورة مجســمة مأخوذة بواسطة مؤلف هذا الكتاب

لعينة في أثناء فحصها تحت الميكروســكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقــة HRTEM والتي تظهر بها الذرات المكونــة للمادة المُختبرة على هيئــة نقاط منتظمة الترتيب حيث تتســق على هيئة أعمدة أو صفوف متوازية [7]. وإذا ما نظرنا إلى هذا الشكل، فسوف نلاحظ مدى براعة الذرات في تنظيم أنفسها على هيئة صفوف وأعمدة تتساوى المسافات البينيــة الفاصلة بينها، وتغيب عن ملامحها العشــوائية الفوضوية في الترتيب والتنظيم، كما نلاحظ من الشــكل عدم حيدان أي ذرة عن هذا الترتيب الذري المُحكم.



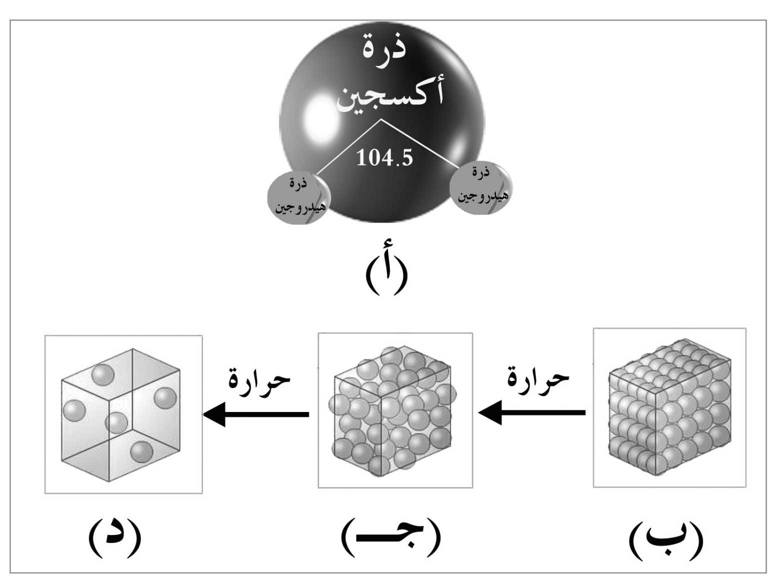
الشكل (3 - 1): يعرض الشكل (أ) رسما تخطيطيا مجسما محاكيا للشكل الحقيقي المبين في (ب) والذي يعرض الشبكة البلورية لإحدى السبائك الفلزية وعلاقة الذرات بعضها ببعض من حيث الترتيب والمسافات البينية الفاصلة بينها في هيكل الشبكة. ومن الشكل تتضح للقارئ الكريم نزعة ذرات العنصر إلى احتلال مواقعها في هيكل الشبكة، وذلك في نقاط منتظمة ومتكررة على طول أعمدة وصفوف المستويات الذرية الأفقية والعمودية المكونة لهيكل الشبكة. ومبين في الشكل (أ) المعامل الشبكي وكذلك الخلية الأولى اللذان يعبران عن صفات وخواص المادة المتبلورة تعبيرا كاملا [8].

غياب المثالية عن الترتيب الذري

على النقيض من ذلك النظام الذري المنتظم السائد في المواد الصلبة والذي ناقشناه في الجزء السابق، والذي تنتظم فيه ذرات المادة على المدى الطويل Long-range Order لتكون الهياكل البلورية للمواد، فإن جزيئات جميع السوائل بلا استثناء، وكذلك ذرات بعض المواد الصلبة، تحيد عن هذا النظام مبدية رغبتها في إبرام علاقات خاصة فيما بينها أو مع غيرها من الذرات، لتكون منهاجا آخر للترتيب الذري يُطلق عليه اسم التنظيم الذري قصير المدى Short-range Order. ويرجع سبب تسميته بهذا الاسم إلى وجود علاقة منتظمة تربط بين الذرات المُكونة لجزيئات سائل ما. فعلى سبيل المثال يتألف جزيء الماء من ذرتين من غاز الهيدروجين ترتبطان بزاوية ثابتة قيمتها 104.5 درجة مع ذرة من غاز الأكسجين، كما هو مبين في الشكل (3 – 2 «أ»). وقيمة تلك العلاقة الزاوية التي تأسس عليها ارتباط ذرات الهيدروجين مع الأكسجين تكون ثابتة ولا تتغير من جزيء ماء إلى آخر. هذا بينما لا تُبدي جزيئات الماء أي استعداد لتنظيم علاقاتها مع الجزيئات نفسها المتاخمة لها على هذا النحو من الانتظام، لذا فهي تحتل الفراغ المتاح لها أن تشغله في عشوائية، أو لنا أن نصفه بالفوضى. ويعرف النوع الثالث والأخير من الترتيب الذري للمواد باسم النظام العشوائي غير المنتظم No-order حيث تحتل ذرات المادة الفراغ الذي تشغله في عشوائية ومن دون أدنى ترتيب. وتخضع ذرات جميع الغازات مثل الأكسيجين، الهليوم، الأرغون والنيتروجين وغيرها لهذا النظام.

ويوضح الشكل (3 – 2) رسما تخطيطيا عاما لأنماط الترتيب الذري في الحالات الثلاث من المادة وهي الصلبة والسائلة والغازية، وتأثير الحرارة في تحول كل منها إلى الأخرى. ولنأخذ الماء مثالا تطبيقيا، فالماء في حالته الثلجية الصلبة، يكون على هيئة بلورات تتألف من جزيئات منتظمة الترتيب (3 – 2 «ب»)، بيد أنه إذا ما تم تعريضه لدرجات حرارة أعلى من الصفر المئوي فإنه يتحول إلى الحالة السائلة والتي فيها تبدأ جزيئاته في التحرر من روابطها المنتظمة الموجودة عليها في الحالة الصلبة، مكونة

بذلــك نمطا آخر من الترتيب الذري الذي تفقــد فيه جزيئات الماء مثالية الانتظام في الترتيب (3 - 2 «جـ»). ومع استمرار الحث الحراري فإن الماء السائل يتحول إلى الحالة الثالثة من المادة، وهي الحالة الغازية، والتي بها تســود العشوائية حيث تعم الفوضي في ترتيب جزيئات بخار الماء، كما هو مبين في الشكل (3 - 2 «د»).

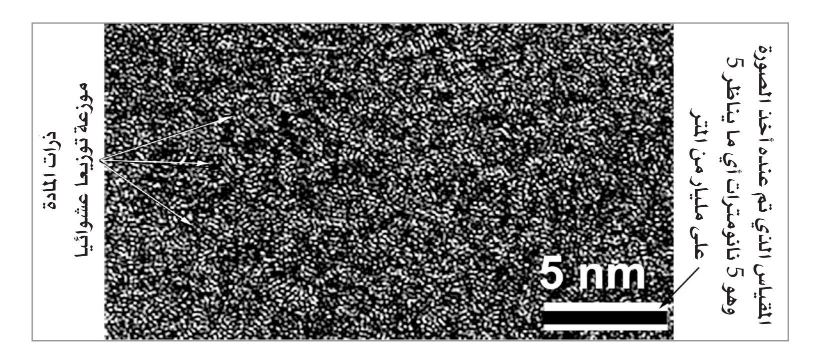


الشكل (3 - 2): يعرض الشكل (أ) رسما تخطيطيا يوضح تركيب جزيء ذرة الماء المؤلف مـن ذرة مـن ذرات الأكسـيجين المرتبطة مع ذرتين مـن ذرات الهيدروجين بزاوية مقدارها 104.5 درجة. يظهر بالشكل مدى تأثير درجة الحرارة على ترتيب ذرات جزيئات الماء في الحالات الصلبة (ب) والسائلة (جـ) والغازية (د) [8].

وأود ألا تفوتنـــي فرصة الإشــارة إلــى أن هذا التفــاوت الكبير في الانتظام الذري لحالات المادة الثلاث يســفر عن تولد اختلافات شاسعة فـــي صفات وخواص المادة بكل حالة، فعشــوائية توزيع ذرات المادة ينجم عنها اكتســاب المادة صفات جديدة ومتميزة تفوق تلك الصفات الموجودة بها عند انتظام الترتيب الذري. وهناك العديد من الأمثلة لســبائك المواد

الأمورفية Amorphous Alloys [9] الفلزية التي يتم تحضيرها عن طريق تعمــد الإخلال بالترتيب الذري لهـا، وذلك بهدف الحصول على خواص فيزيائية وميكانيكية متميزة وفريدة.

ويبين الشــكل (3 – 3) صورة مجهرية أخذت بواســطة الميكروســكوب النافــذ الإلكتروني عالي الدقة لعينة فلزية من عينات المواد الأمورفية. وإذا ما عقدنا مقارنة بين هذه الصورة وتلك المبينة في الشكل (3 – 1 «ب») يتبين لنا مدى العشــوائية التي تجنح إلىها ذرات المــواد الأمورفية في احتلالها لفراغ الهيكل الداخلي من المادة.



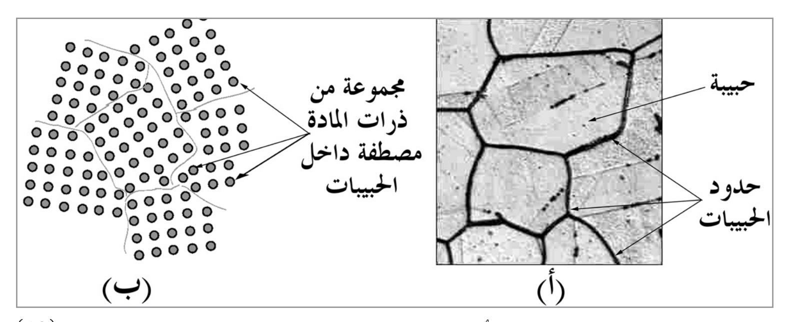
الشكل (3 – 3): صورة مجهرية بالميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة لعينة مادة أمورفية من سبيكة فلزية يظهر فيها النمط الذي تنتهجه ذرات هذه المادة في احتلالها للفراغ الداخلي من شبكة المادة، وذلك بصورة عشوائية [10].

الحُبيبات

ذكرنا ســلفا أن ذرات المواد الصلبة تنظــم ترتيبها لتحتل مواقع نقاط الشــبكة البلوريــة، مكونة في هذا بلورات أحادية ذات أشــكال هندســية محــددة. وتلك البلورات الأحادية تتجمــع بعضها مع بعض بانتظام مكونة بنــاء بلوريــا أكبر، كما هو موضح في الشــكل (3 – 1) الذي يُمَثل الحالة المُثلي من الترتيب الذري في الشــبكة البلورية للمادة. وتجدر الإشارة هنا إلــى أنه ليس بالضرورة أن يؤدي الانحراف عن المثالية في الترتيب الذري للبلــورات إلى فقدان المادة خواصهــا، بل العكس هو الصحيح والغالب في

معظم الأحيان، وكما أشرنا سـلفا فإن تقنيات تكنولوجيا النانو تعمد إلى خلـق العديد من العيوب داخل بلورات المـادة من أجل الحصول على مواد مختلفة الصفات لتميزها عن نظيرتها من المواد التقليدية.

وإذا ما فحصنا السطح المصقول لأي مادة صلبة بواسطة الميكروسكوب الضوئي بتكبير بسـيط فسوف تظهر لنا حبيبات Grains متجاورة تفصل بينها خطوط متعرجة تعرف باسـم حدود الحبيبة Grain Boundary، كما هـو مبـين في الشـكل (3 – 4 «أ»). وإذا ما فحصنا العينة نفسـها تحت الميكروسـكوب الإلكتروني عالـي التكبير والدقة فسـوف نتبين تفاصيل التركيب الداخلي للحبيبات لنكتشف أنه يتألف من تجمع من الذرات يخضع لترتيب معين وثابت الشـكل (3 – 4 «ب»). وتختلـف أبعاد حبيبات المواد التقليدية كبيرة الحبيبات فتتفاوت في مقاييسـها من بضعة ميكرومترات إلى عشـرات أو مئات من الميكرومتـرات. هذا بالإضافة إلى أن اتجاهات الترتيـب الذري بكل حبيبة تختلف عـن الحبيبة المجاورة، مما يعني وجود اختلاف ملموس في صفاتها وخواصها يتفاوت من حبيبة إلى أخرى.

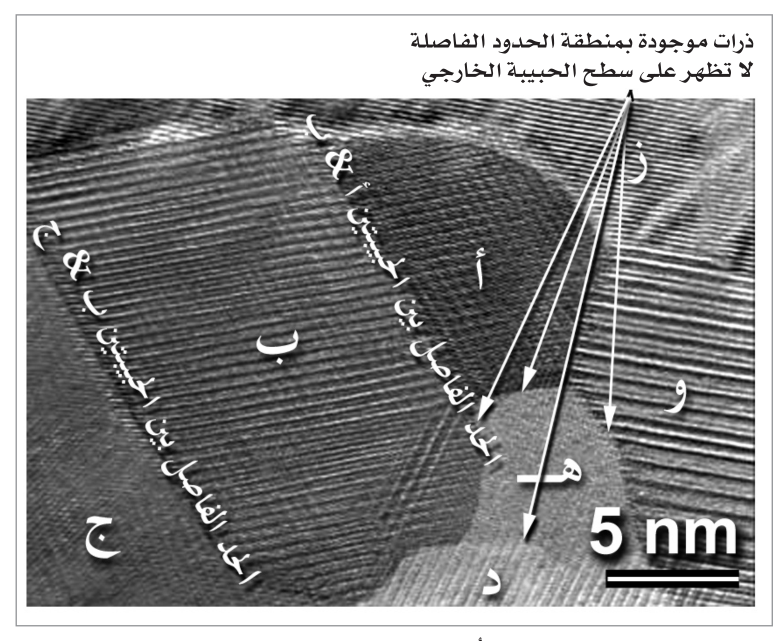


الشكل (3 – 4): (أ) صورة مجهرية أُخذت بالميكروسكوب الضوئي لعينة من سبيكة فلزية [13] توضح تفاصيل تركيب البنية الداخلية للعينة المؤلفة من عدة حبيبات تفصل بينها خطوط يُطلق عليها اسم حدود الحبيبات. ويوضح الشكل (ب) رسما تخطيطيا يبين تفاصيل التركيب الداخلي للحبيبات واتجاه ترتيب الذرات بكل حبيبة على حدة [11].

تأثير تصغير مقاييس الحبيبات على خواص المادة

يعتبـر تصغير حجم الحبيبـات البلورية المكونة للمـادة والتلاعب في مقياسـها وأشـكالها من أهم العيـوب التي تتخلف عـن توظيف تقنيات تكنولوجيا النانو في تصميم المواد وتصنيعها، وذلك بالطبع من وجهة نظر

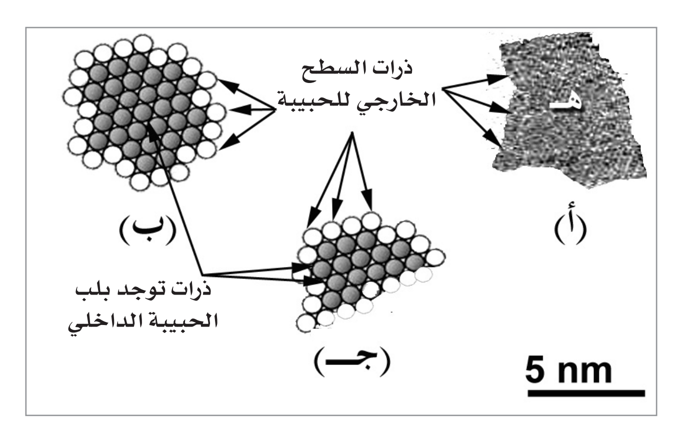
علمـــاء البلورات الذين يحكمون على جـــودة البلورة وفقا لمدى تطابقها مع النظام البلـــوري النموذجي الذي من المفترض أن توجـــد عليه. أما علماء تكنولوجيـــا النانو، فقد لايعتنون كثيرا بمثالية شـــكل وحجم بلورات المادة بقدر اهتمامهم بتحســـين ومضاعفة خـــواص المادة، وهذا يتأتى من خلال تصغير مقاييس أبعاد الحبيبات البلورية لها إلى أقل من 100 نانومتر.



الشـكل (3 - 5): صـورة مجهريـة أُخذت بواسـطة المجهـر النافذ الإلكترونـي عالي الدقة توضـح التركيـب الداخلـي لعينة إحدى السـبائك الفلزيـة المخلقـة [11] مـن قبل مؤلف هـذا الكتـاب، حيـث تتألف مـن حبيبات نانونيـة الأبعاد (أ إلـى ز) تفصـل بينها خطوط وهمية تعرف باسم حدود الحبيبة. ويلاحظ من الشكل، كثافة وجود ذرات المادة داخل اللُب الداخلي للحبيبات، بينما يقل وجودها على طول الحدود الفاصلة بينها.

ويبين الشـــكل (3 – 5) صورة مجهرية أُخذت بواســـطة الميكروسكوب النافـــذ الإلكتروني لعينة فلزية توضح التركيـــب الداخلي للمادة ومتاخمة حبيباتهـــا بعضهـــا لبعض، تلك المشـــار إليها في الشـــكل برموز الحروف الأبجدية (أ – ز). ومن الملاحظ أن العينة تتألف من حبيبات نانوية صغيرة

تتراوح أبعادها من 7 نانومترات إلى نحو 30 نانومترا. وإذا ما نظرنا جيدا إلى الشكل فسوف نلاحظ وجود خطوط وهمية أفقية وأخرى مائلة، تمثل أماكن وجود ذرات المادة التي تتكاثف أعدادها داخل الحبيبة الواحدة، بينما يقل وجود هذه الذرات على المناطق الفاصلة بين الحبيبات.. وإذا ما افترضنا أننا قمنا بفصل تلك الحبيبات بعضها عن بعض عند مناطق حدودها البينية الفاصلة بينها، فسنجد أن كثافة وجود الذرات على السطح الخارجي الذي نشأ عن فصل الحبيبة «هـ» (على سبيل المثال) قد ازداد، حيث إنها - أي الذرات - لم تعد تكمن داخل لُب الحبيبة، كما هو موضح بالشكلين (3 - 6) و(3 - 7).



الشكل (3 - 6): رسم توضيحي يبين (أ) شكل الحبيبة «هـ» بالشكل السابق بعد أن فصلت عن جاراتها من الحبيبات المتاخمة (أ، ب، جـ، د، و) حيث أُتيح للذرات أن توجد عند مناطق حدود أسطحها الخارجية، كما هو موضح بتكبير أعلى في الشكل (3 - 7). وتزداد النسبة المئوية لكثافة الذرات على الأسطح الخارجية للحبيبة كلما تناقصت مقاييس أبعادها، كما هو مبين بالرسم في الشكلين «ب» و«جـ».

ومن خلال تناول العديد من نتائج الأبحاث المنشورة الخاصة بدراسة تأثير حجم الحبيبات على الخواص المختلفة للمادة، فقد ثبت أنه إذا ما تم التحكم في أقطار وأبعاد حبيبات المواد بحيث يتم تصغيرها إلى ما دون 5 نانومترات فإن مردودا إيجابيا على جميع خواص المادة [12 - 15]. فكلما صغُرت أقطار حبيبات المادة لتصل إلى نحو 3 نانومترات فإن نحو

50 في المائة من العـــدد الكلي للذرات الموجودة في الحبيبة الواحدة تتركز على سطح الحبيبات في مناطق الحدود الفاصلة بينها، مما يعني زيادة في الكثافة العددية للذرات الموجودة في تلك المناطق.



الشكل (3 - 7): صورة مجهرية أُخذت بواسطة المجهر النافذ الإلكتروني عالي الدقة توضح التركيب الداخلي للحبيبة «هـ» المبينة في الشكلين (3 - 5) و(3 - 6) ووجود الذرات داخل لب الحبيبة وعلى حدودها الخارجية.



4

المواد: من التقليدية إلى الابتكار

«تضاءل استخدام مصطلح المواد المتقدمة حين برز إلى الوسط العلمي مصطلح آخر أكثر تحديدا وهو المواد النانوية...»

المؤلف

طالعنا معا في الفصول السابقة مدى الجهد الكبير الذي بذله العلماء طوال أربعة قرون كي يصلوا إلى تعريف محدد ودقيق للمادة وخواصها، ومعرفة مكوناتها الدقيقة من الذرات والجزيئات، ودورها في رسم خواص وسمات المادة. وفي إطار هذا الكم الهائل من المواد، وعلى الرغم من صعوبة حصرها أو تحديد أرقام دقيقة لأنواعها، نستطيع تصنيف المواد[1] التي يستخدمها الإنسان إلى فئتين رئيسيتين هما:

- فئة المواد التقليدية.
- فئة المواد المتقدمة.

المواد التقليدية

لم يكن مقصدي من نعت تلك الفئة من المواد التي عرفها الإنسان منذ فجر التاريخ،

وما زال يستخدمها حتى يومنا هذا، «بالتقليدية» هو تهميش دورها، أو وصفها بأنها أصبحت بالية لا تجد لها أي استخدامات راهنة أو مستقبلية، بل قصدت مــن هذا التصنيف أن أخلع عليها ثوب الكلاســيكية، وذلــك لكونها مواد قد ألفنا اســتخدامها وتوظيفها في أغراض متنوعة وتطبيقات مختلفة وعديدة، وذلك منذ زمن طويل ضارب بجذوره في تاريخ البشــرية. فعلى ســبيل المثال وليس الحصر، جلود الحيوانات، ريش الطيور، أحجار البناء والزينة، كثير من عناصر الفلزات النقية مثل الذهب والفضة وكذلك سبائك النُحاس والحديد، وغير ذلك من مواد طبيعية أو من صنع الإنســان وُجدت في حياتنا، وتنوعت استخداماتها في مجالات عدة خلال رحلة الإنسان الطويلة مع الزمان والمكان ووفقا لمآربه وغاياته.

وقــد جرى العرف على تصنيف المواد التقليدية إلى عدة فئات فرعية، وذلــك وفقا لهويتها وتشــابه خواصها وتطبيقاتها فــي المجالات المتنوعة، يمكن أن نلخصها فيما يلي:

- الفلزات والسبائك الفلزية Metals and Metal Alloys،
- المواد السيراميكية Ceramics،
- البلمرات Polymers،
- المواد المتراكبة Composite Materials.

وفي إطــار هذا التصنيــف، من البديهــي أن تختلف المــواد المدرجة بــكل مجموعة في صفاتها وخواصها عن مــواد المجموعات الأخرى، ومن ثــم تتباين اســتخدامات وتطبيقات كل مجموعة من المــواد عن نظيراتها بالمجموعات الأخرى.

الفلزات والسبائك الفلزية

يُقصــد بالفلز Metal الحالة العنصرية النقية من المعدن Mineral [2]، مثل عناصر فلزات الحديد والنحاس والألومنيوم. هذا بينما نعني بالسبيكة الفلزيــة Metal Alloy ذلك المزيج المتجانس الناجم من تفاعل عنصرين أو أكثر من الفلزات النقية. وتنقســم المواد الفلزية إلى قسمين فرعيين: الأول ســبائك الفلزات الحديديــة التي يدخل في تركيبهــا عنصر الحديد، أما

القسم الثاني فهو سبائك الفلزات غير الحديدية التي لا يكون الحديد طرفا في تكوينها. وتتميز المواد الفلزية عامة بصفات عديدة مثل القابلية للسحب والطرق، المتانة ومقاومة الإجهادات الناجمة عن أحمال الصدم، كذلك فهي تتميز بقدرتها على التوصيل الحراري والكهربي.

ولعل سبائك الصلب المختلفة الناتجة عن صهر فلزات الحديد، الكروميوم والنيكل وبعض العناصر الفلزية الأخرى، أكثر السبائك الفلزية شهرة وذلك نظرا إلى تطبيقاتها الكثيرة والمتنوعة في المجالات المختلفة. ويحتل النُحاس وسبائكه كذلك مساحة كبيرة من الاستخدامات والتطبيقات التكنولوجية المختلفة، وعلى الأخص في مجال التوصيل الحراري والكهربي. وقد أدخل الإنسان خلال القرن الماضي، وما يزال حتى يومنا هذا، على هذه المجموعة سلسلة من سبائك الفلزات الخفيفة مثل سبائك الألومنيوم والماغنسيوم والتيتانيوم وغيرها، والتي تعد عماد صناعة الطائرات والصواريخ والمركبات بوجه عام، حيث تتطلب هذه الصناعات موادا خفيفة تتمتع بالمتانة والقوة والمرونة.

المواد السيراميكية

على النقيض من المواد الفلزية، فإن المواد السيراميكية، مثل الأكاسيد Oxides، والكربيدات Carbides، والنيتريدات Nitrides، هي مواد قصفة Brittle Materials لا تُبدي أي استعداد للطرق أو السحب والتشكيل، وذلك على الرغم من امتلاكها لعدد وافر من الخواص الميكانيكية المتميزة مثل ارتفاع قيم الصلادة Hardness لها، وقدرتها على مقاومة أحمال وإجهادات تشكيل وتشويه أسطحها الخارجية، كذلك فهي تُبدي مقاومة Strength فائقة تجاه أحمال وإجهادات الضغط فلا تنهار بسهولة إلا عند قيم عالية جدا تفوق بكثير قيم الإجهادات التي تتعرض لها في أثناء التشغيل. هذا وتتمتع المواد السيراميكية بمقاومتها العالية لعوامل التآكل بالصدأ Corrosion والبري Erosion. بيد أن هذه الفئة من المواد رديئة التوصيل الحراري والكهربي. وأود أن أشير هنا إلى أن هذا الفقر في التوصيل لا يُعد عيبا في كل الحالات، بل قد يُعد ميزة في أحيان كثيرة،

حيث تُســتغَل تلك الصفة لتوظيف المواد السيراميكية في صناعة العوازل وغيرهــا من المــواد التي تحجب انتقال الحرارة والكهرباء من وســط إلى وســط آخر ملاصق له. وهناك عديد من الأمثلــة لتلك المواد مثل الأنواع المتنوعة مــن الزجاج، والفيبرغلاس، والمــواد الداخلة في صناعة الطوب المستخدم في المباني وكذلك الطوب الحراري.

البلمرات

تنتســب البلمرات من حيث النشــأة إلى المــواد العضوية، حيث يدخل عنصر الكربون مكونا رئيســيا في تركيبها. وعلــى الرغم من وجود أنواع متعددة من تلك المواد التي تمكن الإنســان مــن صنعها، أو المواد الطبيعية منها، فإن النايلون والبلاستيك والمطاط تظل مواد البلمرات الأكثر شهرة، وذلك نظرا إلى عموم تطبيقاتها في مجالات مختلفة وعديدة. وقد احتلت البلمــرات منذ منتصــف القرن الماضــي موقعا متميزا فــي قائمة المواد الهندســية حتى أصبحت في أواخر القرن نفســه أكثر المواد المُنتجه على مســتوى العالم، متفوقة في ذلك على الصلب الــذي يبلغ إنتاج العالم منه اليوم مايقرب من مليار ونصف مليار طن سنويا.

وخلال الســنوات الخمســين الماضية، ظهرت أنــواع أخرى من تلك المواد حازت ثقة وشغف المســتهلك، مثل البوليثيلين والبوليستر. وتشترك البلمــرات عامة في عدة صفات وخواص مثل قابليتها للتشــكيل، وعزلها للحــرارة والتيــار الكهربي، وخفة الــوزن والمتانة. وتعد أيضــا أكثر المواد الهندسية تميزا في مقاومة التآكل بالصدأ.

وغني عن الذكر، أن البلمرات تتفوق على جميع أنواع المواد الهندسية الأخرى في اتســاع رقعة تطبيقاتها بالمجالات المتنوعة، حيث لا يكاد يخلو منتج منها. فهي تســتخدم في صناعة الأقمشــة والثياب، ولعب الأطفال، وأنابيب نقل السوائل مثل المياه والمواد الكيميائية، وبطانات لثلاجات حفظ الأطعمة، وصناعــة عبوات حفظ الأطعمة، كذلك فهي تدخل في صناعة العديد من المنتجــات الأخرى مثل المركبات بــكل أنواعها، وهياكل أجهزة الهواتف والعدسات اللاصقة.

المواد المتراكبة

يُقصد بالمتراكبات Composites - ويُطلق عليها أيضا اسم المواد المتراكبة Composite Materials - تلك الفئة من المواد الهندسية التي تُنتَج عن طريق إضافة نسب وزنية أو حجمية معينة من مادة أو أكثر، تعرف بالمواد الداعمة Reinforcement Materials، إلى مادة الأساس أو مادة القالب Matrix، تُخلَط المواد الداعمة مع مادة القالب خلطا جيدا، مما يضمن الحصول على مُتراكبة متجانسة، تتوزع داخلها أجسام المواد الداعمة توزيعا مثاليا، ويُشترط في اختيار المواد الداعمة أن تتمتع بالحياد الكامل، فلا تتفاعل بعضها مع بعض أو مع مادة الأساس بحيث تكون في صورتها العنصرية الفردية داخل قالب المُنتج النهائي للمتراكبة.

ويتبلور الهدف من إنتاج المواد المتراكبة بهذه الكيفية في إضافة خواص معينة إلى مادة القالب أو إضافة سمات وصفات لم تكن متأصلة بها. فعلى سبيل المثال، المادة الرئيسية المكونة لإطار السيارات هي المطاط، والمطاط من البلمرات المعروفة عنها سهولة التشكيل عند تعرضها لأدنى قيم من الضغوط، لذا ليس من المنطقي أن يوظَّف المطاط الخالص لصنع هذه الإطارات التي تتعرض لعدد من الضغوط المعينة في أثناء سير المركبة؛ لذا تضاف طبقة متشابكة من أسلاك الصلب الرفيعة السُمك لتدعيم المطاط المستخدم، مما يرفع مقاومته للإجهادات التي يتعرض لها في أثناء الاستخدام.

وتُعد متراكبة الخرسانة المؤلفة من قالب أسمنتي - مادة الأساس - المُضافة إليه أنواع مختلفة من المواد الداعمة مثل الزلط، ومواد سد الفجوات والفراغات به مثل الرمل، وإضافات أخرى متعددة، من أشهر وأقدم المواد المتراكبة التي عرفها الإنسان. وغني عن الذكر أن الزلط بعد إضافته وخلطه مع الأسمنت يؤدي إلى رفع قيم مقاومة الأسمنت تجاه إجهادات الضغط التي يتعرض لها المنشأ بصفة مستمرة.

مثال تطبيقي آخر لتلك الفئة من المواد، هو إنتاج المتراكبات الداخلة في صناعة المركبات الجوية والفضائية، حيث تضاف ألياف الكربون Carbon Fibers إلى سبائك الألومنيوم والتيتانيوم الفلزية المستخدمة في صناعة أجسام وهياكل هذه المركبات، وذلك بنسب حجمية مختلفة، وقد تُضاف

مواد أخرى مع ألياف الكربون. وتعمل هذه الإضافات على تحسـين وتطوير الخواص الميكانيكية للسـبيكة الفلزية من مادة الأسـاس ووقايتها من خطر الانهيار عند تعرضها للضغـوط الجوية المختلفة عند درجات حرارة متباينة فـي أثناء رحلاتها بالفضاء الخارجي، بالإضافـة إلى أن تلك المواد المضافة تعمل على زيادة مقاومة السبيكة ضد عوامل الصدأ خلال فترة وجودها في ظروف بيئية وجوية قاسية، تمتد عادة لعدة شهور أو لبعض من السنوات.

المواد المتقدمة

كثيرا ما يتردد على مسامعنا في الآونة الأخيرة ما اصطلح على تسميته بالمـواد المتقدمة Advanced Materials[3]، وعـن تطبيقاتها الفريدة في المجـالات الصناعية والطبية المتنوعة [4]. ويتواكب اسـتخدام هذه المواد مع الطفـرة الحضارية والتكنولوجية التي نعيشـها منـذ منتصف القرن الماضـي. وعلى الرغم من هذا كله، فإنني أشـعر - وقـد أكون مخطئا - بأن مصطلـح المواد المتقدمة أصبح مصطلحـا فضفاضا وهلاميا، وذلك نظـرا إلى ضخامة العـدد المُنتج من المواد الجديدة فـي الفترة القصيرة الماضية. وعموما وبعيدا عن الآراء الشـخصية، فإن طائفة المواد المتقدمة تشـمل المواد المتراكبة المتقدمـة Advanced Composite Materials [5] والزجاج الفلزي Glasses Metallic [6] والمواد غير المتبلورة، والتي تُعرف باسم المواد الأمورفية Amorphous Materials [7]، وقد تضاءل استخدام مصطلـح المواد المتقدمة حين برز إلى الوسـط العلمي مصطلح آخر أكثر تحديـدا وهو المواد النانوية Nanomaterials التي سـرعان ما بزغ نجمها لتحتل مكان الصدارة في قائمة المواد المتقدمة، وذلك على الرغم من حداثة تاريخ إنتاجها في بداية السـبعينيات من القرن العشرين. وسوف نتحدث لاحقـا في الفصول المقبلـة من هذا الكتاب عن هوية هـذه المواد وكيفية الحصـول عليها وتطبيقاتها التكنولوجية الرائدة التي أدت إلى ما اصطلح على تسميته بثورة القرن الحادي والعشرين، وهي تكنولوجيا النانو.

* * *

الباب الثاني

تكنولوجيا النانو
بين النظرية والتطبيق

white

5

ماهية المواد النانوية؟

«كل شـــيء في هـــذا الكون نسبي، تختلف قيمته وخواصه بناء على عوامـــل ومتغيرات عدة، من بينها ترتيب الذرات بهيكل المـــادة ومقاييس أبعاد المادة وحبيباتها»

المؤلف

أذن لي القـــارئ الكريم فـــي أن أرافقه فـــي رحلة قصيـــرة طفنا مـــن خلالها على مراســـي فصـــول الباب الأول مـــن الكتاب، وتعرفنا على التطور الفلســـفي لمفهوم المادة وكيف نشـــأت «نظريـــة الكم» التـــي ألهبت عبقريـــة العلماء وإبداعاتهـــم، بعد أن ظلت قرونا عديدة حبيسة أفكار ومبادئ الفيزياء التقليديـــة الصارمـــة. ورأينـــا كيف انتفض هؤلاء العلماء والفلاســـفة ثائرين على تلك النظم الأزلية التي أضحت، آنذاك، مريضة عاجزة عن تفسير ظواهر فيزيائية جديدة، منذ أن ســـمح الله للإنسان بأن يعبر بوابات القرن العشـــرين، ويواجه تحدياته وصعابه الجديدة. وقـــد بات العالم كلـــه، منذ بزوغ فجر القرن العشرين، يتطلع إلى من يخلصه من القضبان الفولاذية للفيزياء الكلاسيكية

التي ألجمت اجتهادات العلماء خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ولم يخيب ماكس بلانك رجاء العالم وأمانيه، فأعلن بزوغ شمس أفق جديد أسماه «نظرية الكم»، وذلك قبيل انتهاء السنة الأولى من القرن نفسه بعدة أيام.

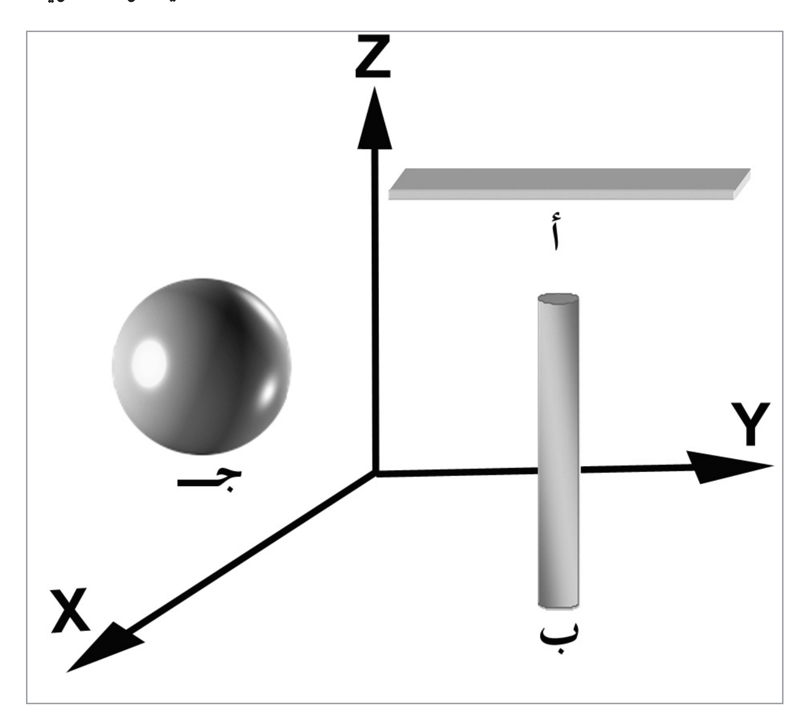
ولم تلبث هذه النظرية في الظهور حتى احتضنتها أفكار آينشتاين العبقرية ونظريته «النسبية الرائدة»، فأخذت منها وأضافت إليها، لتكون بذلك مزيجا علميا متجانسا ونسيجا فلسفيا ومنطقيا متينا نعرفه باسم «علم الفيزياء الحديثة»، ولولا هذا العلم لما كان لنا أن نبحر في محيط عالم تكنولوجيا النانو وتطبيقاتها المبتكرة، وما كان لي أن أسعد بصحبة قراء هذا الكتاب!

والآن، أود أن يأذن القارئ لي ثانية في أن أتجول معه عبر صفحات فصول الباب الثاني من الكتاب، لنتعرف معا على هوية المواد النانوية، وأنواعها، وكيفية تحضيرها على المستويين التجريبي والصناعي.

تصنيف المواد النانوية وتطبيقاتها

نستطيع القول إن جميع أنواع المواد التقليدية، مثل الفلزات Metals وسبائكها، وأشباه الموصلات Semiconductors، والزجاج Glass، والسيراميك Ceramic والبوليمرات Polymers، تعد بمنزلة الخامات الأولية المستخدمة في تخليق مواد ذات أبعاد نانومترية (مواد نانونية). هذا وتختلف أشكال المواد النانوية باختلاف طريقة التحضير المستخدمة، حيث يمكن أن تُحضَّر في صورة أغشية (رقائق) نانوية Nanolayers، أو على هيئة أنابيب (أسطوانات) Nanotubes، أو أسلاك Nanowires أو عصي أوعيدان Nanorods، وكذلك في صورة حبيبات Nanoparticles. تنفرد المواد النانومترية على اختلاف أنواعها بخواص فيزيائية، كيميائية وميكانيكية فريدة تميزها عن المواد التقليدية ذات الحبيبات الكبيرة. وحيث إن المواد النانوية هي بمنزلة أحجار بناء وتصنيع المنتجات الجديدة، فإن تمتع هذه المواد المخلقة بخواص متقدمة ينعكس على كفاءة وأداء المنتج النهائي الذي يتم تصنيعه، حيث تتوافر فيه خواص لا يمكن توافرها في منتجات المواد التقليدية.

ويلخص الشكل (5 – 1) الأنواع المختلفة لأشكال المواد النانوية وعلاقتها بالنسبة إلى مستويات الفراغ الثلاثية (X ، Y ،Z). ومن الشكل، نستطيع أن نصنف المواد النانوية إلى ثلاث مجموعات رئيسية هي:



الشكل (5 - 1): رسم تخطيطي يبين الأشكال المختلفة التي تخلق المواد النانوية على هيئتها، وهي: (أ) رقائق أو طبقات نانوية (أحادية الأبعاد)، و(ب) أسطوانات أو أنابيب نانونية (ثنائية الأبعاد)، و(ج) حبيبات نانوية (ثلاثية الأبعاد) [1].

● **المواد النانوية أحادية الأبعاد**: تقع تحت هذه الفئة، جميع المواد التي يقل أحد مقاييس أبعادها عن 100 نانومتر. ويعرض الشكل (5 - 1 «أ») رسما تخطيطيا لعينة من هذه الفئة وهي على هيئة طبقة مســطحة رقيقة (جمعها رقائق) ذات سمك (بعدها الرأسي على المحور Z) نانوي. ويلاحظ من الشكل أنه لا يشترط أن يتمتع بعداها الآخران (X ، Y) بمقاييس نانوية، ومن هنا سُميت هذه الفئة بالمواد النانوية أحادية الأبعاد (أي التي لها بعد نانوي واحد فقط). ومن أمثلة هذه المواد كما ذكرنا الرقائق أو الأغشية Thin Layers مثل المواد النانوية الموظفة في أعمال طلاء الأســطح Surface Nanocoating، كمثل التي تســتخدم في طلاء أسطح المنتجات الفلزية بغرض حمايتها من التآكل بالصدأ، أو تلك الأفلام رقيقة السمك Thin Films المســتخدمة في تغليف المنتجات الغذائية بهدف وقايتها من التلوث

والتلف. كذلك تُصنَّع رقائق مواد أشباه الموصلات المختلفة مثل رقائق السيليكون لتوظيفها في صناعة الخلايا الشمسية. ويبين الجدول (5 – 1) كيفية تأهيل المنتج للتطبيقات المختلفة عن طريق طلاء سطحه الخارجي برقائق النانو، وماهية الخواص التي يكتسبها سطحه ليتناسب مع تلك التطبيقات.

الجدول (5 – 1): تحسين وتطوير خواص سطح المنتج لمواكبة التطبيقات المختلفة، وذلك عن طريق طلائه برقائق النانو.

الخواص المطلوبة إضافتها إلى سطح المنتج بعد طلاء الأسطح بالمواد النانوية	أمثلة للتطبيقات ومجال الاستخدامات
• خواص ميكانيكية: زيادة في صلادة المنتج، زيادة في مقاومة الأسطح للخدش.	حماية أجزاء الماكينات والمعدات من التآكل الناتج عن الاحتكاك، زيادة في حماية أسطح المواد اللينة مثل البلمرات، الأنسجة الصناعية والأخشاب.
• خواص متعلقة بحماية سطح المنتجات من البلل والالتصاق.	تنظيف ذاتي لأسطح المنتجات وحمايتها من التصاق الغبار والشحوم عليها. لذا فإن هذه المواد تستخدم في تغطية أنسجة الأقمشة وسطوح زجاج البنايات الشاهقة.
• خواص حرارية وكيميائية: مقاومة الحرارة، العزل الحراري، مقاومة التآكل الناتج عن الصدأ.	حماية أجزاء الآلات وماكينات التشغيل والأدوات من التآكل الناتج عن الصدأ، حماية أسطح التربينات والمحركات من الحرارة الناجمة عن التشغيل، العزل الحراري للبنايات والمنشآت عن طريق الدهانات.
• خواص بيولوجية: الملاءمة البيولوجية، مضادات العدوى.	طلاء أسطح الأجهزة التعويضية بهدف رفع ملاءمتها البيولوجية لسوائل وأنسجة الجسم، طلاء أسطح الأدوات الجراحية بهدف عزلها عن المؤثرات البكتيرية ورفع مقاومتها للفيروسات والميكروبات ومنع التصاقها بسطوح تلك الأدوات.
• خواص كهربية ومغناطيسية: العزل الكهربي، مقاومة المولدات المغناطيسية.	صناعة مواد العوازل ذات الأسماك الرقيقة جدا والمستخدمة عزل الكهرباء المؤثرة على حقول الترانزستورات، بيانات الذاكرة والأقراص الصلبة المستخدمة في حفظ البيانات.
• خواص بصرية: مضادات الانعكاس الضوئي.	الأغلفة الرقيقة والأغشية المستخدمة كمضادات للانعكاس والمطبقة في دهان أسطح الشاشات والعدسات وغيرها، صناعة الخلايا الشمسية والخلايا الفوتوفولطية.

● **المواد النانوية ثنائية الأبعاد**: يشـــترط فـــي مجموعة هذه الفئة من المـــواد النانوية أن يقل مقيـــاس بعدين من أبعادها عن 100 نانومتر. وتعد الأنابيب أو الأســـطوانات النانوية (Nanotubes) ومنها على سبيل المثال لا الحصر أنابيب الكربون النانوية (Carbon Nanotubes)، والألياف النانوية (Nanofibers) وكذلك الأسلاك النانوية (Nano،wires)، نماذج مهمة لتلك الفئة من المواد. وإذا ما نظرنا إلى الشكل (5 - 1 «ب»)، الذي يعرض رسما لأســـطوانة نانوية، فإننا نلاحظ أن مقياسي قطري المعين، (في الاتجاهين X ،Y) بقاعدة الأسطوانة يقلان عن 100 نانومتر، هذا على الرغم من أن أطوال هذه المواد (البعد الرأســـي على المحور Z) قد تمتد إلى عدة مئات من النانومترات أو الميكرومترات.

وقد أُنجزت في خلال العقدين الآخرين دراســـات كثيرة واكتشـــافات مثيرة تتعلق بالخواص الفريدة لأنابيب الكربون النانوية التي تحتكر لنفسها عددا كبيـــرا من الخواص الكيميائية، الفيزيائية والميكانيكية غير المألوفة، كارتفاع مقاومة Strength إجهادات الشد Tensile Stress، الذي يصل إلى مائة ضعف قيمة مقاومة الشـــد لسبائك الصلب مع تمتعها بانخفاض في قيمة كثافتها البالغة سدس مقدار كثافة سبائك الصلب، مما يجعلها أقوى مادة صنعها الإنســـان حتى الآن. ولم يكن غريبا أن ترشَّـــح ترشيح أنابيب الكربـــون النانوية لأن توظَّف كمواد داعمة ومقويـــة لقوالب الفلزات لرفع قيم صلادتها وتحســـين خواصها الميكانيكية، وعلى الأخص رفع مقاومتها للانهيـــار. كما أنها تجمـــع خواص فريدة أخرى مثل القـــدرة الفائقة على التوصيل الحراري والكهربي، علاوة على خواصها الكيميائية المتميزة. ومن المتوقع اســـتخدام الأنابيب والأسلاك النانوية في تصنيع مكونات الخلايا الشمسية وشـــرائح الحاســـبات الإلكترونية وأجهزة الاستشعار والأجهزة الإلكترونية الدقيقة.

● **المواد النانوية ثلاثية الأبعاد**: تمثل الكريات Spheres نانوية الأبعاد، مثل الحبيبات النانوية Nanoparticles، وكذلك مساحيق الفلزات والمواد الســـيراميكية فائقة النعومـــة Ultrafine Powders، أمثلة لهذه الفئة من المـــواد التكنولوجية المهمة، التي نعتت بأنهـــا ثلاثية الأبعاد، نظرا إلى أن

مقاييــس أبعادها على المحاور الثلاثــة Z، Y ، X تقل عن 100 نانومتر، كما هو مبين في الشــكل (5 – 1 «ج»). الجدير بالذكر، أن هذه الفئة من المواد النانوية ثلاثية الأبعاد، ســواء أكانت على هيئة حبيبات أم مساحيق فائقة النعومة، تتصدر قائمة الإنتاج العالمي من المواد النانوية بوجه عام، وذلك نظرا إلى تعدد استخداماتها في المجالات والتطبيقات التكنولوجية الحديثــة. فعلى ســبيل المثال تتوافر الآن بالأســواق مســاحيق حبيبات نانوية لأكاســيد الفلزات Nanoparticulate Metal Oxides ذات أهمية اقتصادية كبيرة، حيث تدخل أكاســيد الفلزات مثل أكســيد السيليكون Silica (SiO_2)، أكســيد التيتانيوم Titania (TiO_2) ، أكســيد الألمونيـوم Alumina (Al_2O_3)، وكذلــك أكاســيد الحديــد : Magnetite (Fe_3O_4) و Hematite (Fe_2O_3) فــي قطــاع صناعة الإلكترونيــات، ومواد البناء، وصناعــة البويات والطلاء، وكذلك في قطــاع صناعة الأدوية والأجهزة الطبية الحديثة، لتحل بذلك محل المواد التقليدية، ولتساهم في رفع كفاءة وجودة المنتجات. ووسط هذا الخضم الهائل من الحبيبات النانوية تجيء حبيبات مركبات أشــباه الموصلات مثل الكادميوم تيلوريد CdTe، وكذلك خارصينــات الغاليوم GaAs على رأس قائمة المواد النانوية المســتخدمة في صناعة الأدوات والأجهــزة الإلكترونية الدقيقة وفي صناعة الخلايا الشمســية، هذا بالإضافة إلى اســتخداماتها المثيــرة كموصلات للدواء Drug Delivery داخل الجسم.

وتعد فئة الحبيبات النانوية لعناصــر الفلزات الحرة Nobel Metals، وعلى الأخص فلز الذهب من أهم المواد النانوية الحبيبية Nanoparticles، وذلك لأهميتها واستخداماتها في كثير من التطبيقات الطبية المتعلقة بدحر وقتل الأورام الســرطانية التي تصيب أعضاء الجســم. وقد اســتخدمت حبيبــات الذهــب النانوية في تحديد سلاســل الحامــض النووي DNA Sequences المرتبطة بالمرض، وكذلك في تحديد سلاسل الحامض النووي للفيروســات التي تغزو جسم الإنسان. هذا بالإضافة إلى احتكارها عددا من الخــواص الفريدة تؤهلها لأن تكون المواد الأساســية لمكونات الأجهزة البصرية، البيولوجية عالية التقنية والدقة.

ماذا يميز المواد النانوية؟

بعد أن أجرينا استعراضا عاما للتطبيقات المتقدمة لمواد النانو المختلفة، وقبـــل أن نبدأ في الباب الثالث من هذا الكتـــاب وفصوله المتعددة المعنية بتقـــديم بعض التطبيقـــات العملية والرائدة لتكنولوجيـــا النانو في حياتنا العلمية، رأيت أولا أن نجيب معا عن سؤال يتردد دائما في جميع الأوساط غيـــر المتخصصة في هذا المجال التقني. وكمـــا يتفق معي القارئ الكريم، ليســـت تكنولوجيا النانو بعصا سحرية نحركها لنحصل منها على ما يحلو لنـــا من منتجـــات وتطبيقات إعجازية، بل هي علم وفـــن وإبداع يقوم على أســـس وثوابت نظرية رســـخها لنا علماء الفيزياء وعلوم المـــواد، ومازالوا يبذلون هذا الجهد المضني المتواصل الذي أرى أنه سوف يمتد معنا عقودا تلو عقود.

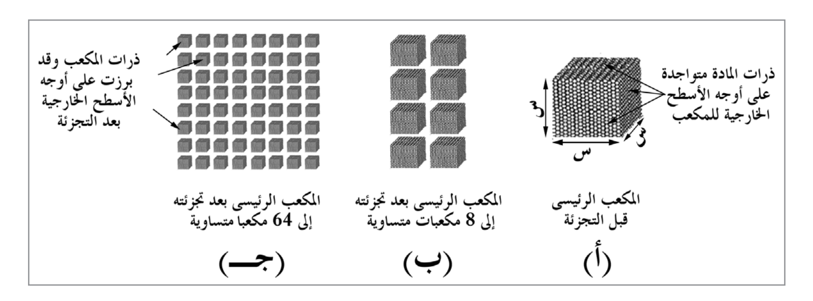
مساحة السطح

تعد مســـاحة السطح Surface Area لجسم ما - المساحة الكلية لأوجه أســـطح الجســـم الخارجية - أهم خاصيـــة تتميز بها المـــواد النانوية عن غيرها من المواد التقليدية. ولإدراك الدور المهم الذي تؤديه هذه الخاصية، فلنتصور أن لدينا قطعة فلزية على شـــكل مكعب تتســـاوى مقاييس أطوال أضلاعـــه حيث يســـاوي كل منهـــا «س»، ومن ثم فإن حجـــم المكعب الكلي يساوي «$س^3$» (الشكل 5 - 2 «أ»). ولنفترض أن العدد الكلي لمجموع ذرات المـــادة التي تحتل مواقعها داخل هيكل هذا المكعب هو 4086 ذرة، هذا في حين أن العدد الكلي للذرات الموجودة على الأســـطح الستة الخارجية لهذا المكعب هو 1352 ذرة (الشكل 5 - 2 «أ»).

في إطار هذه الافتراضات، فإن مســـاحة الوجه الواحد للمربع سوف تكون «$س^2$» ومن ثم تكون المســـاحة الكلية للســـطح الخارجي له تســـاوي «6 $س^2$». هذا يعني أن عدد الذرات الموجودة في مساحة «6 $س^2$» ستكون 1352 ذرة. وبالتالي تكون النســـبة بين مساحة السطـح الخارجي للمكعب وبيـــن حجمـــه فـي هـــذه الحالـــة ســـوف تســـاوي «$\frac{6\ س^2}{س^3} = \frac{6}{س}$». ولنتخيل الآن أن هذا المكعب قد قمنا بتجزئته إلى ثماني مكعبات أصغر (الشـــكل

5 – 2 «ب») فسوف نجد أن حجم المكعب الواحد الناتج عن هذه التجزئة هو «س^{3} / 8»، وبالتالي فإن الحجم الكلي لمجموع المكعبات سيكون مساويا لحجم المكعــب الأصلي قبل تجزئته من دون أي تغيير ($8 \times \frac{س^{3}}{8} = س^{3}$). وفــي الوقت ذاته، فلن يتغير مجموع العدد الكلي للذرات الموجودة بداخل المكعبات الثمانية، التي تمت تجزئتها وفصلها عن المكعب الرئيســي المبين في الشــكل (5 – 2 «أ»)، حيث تظل محتفظة بالقيمة الإجمالية نفســها (4086 ذرة مقسمة على ثمانية مكعبات). بيد أن تجزئة المكعب الرئيسي – المكعب الأم – إلى ثماني قطع صغيرة لها الشــكل الهندسي نفسه يؤدي إلى:

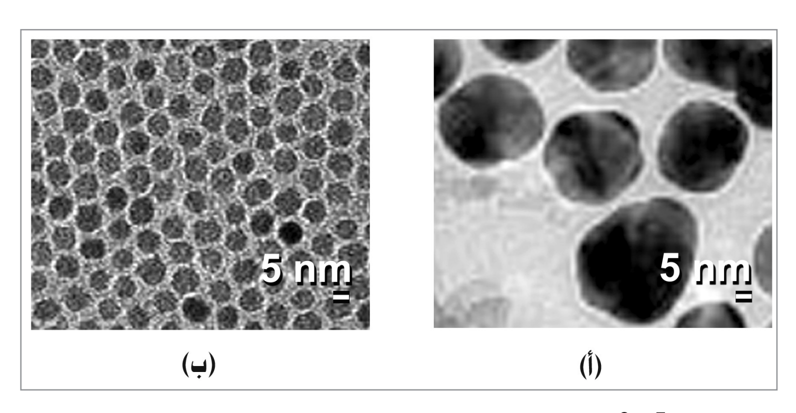
- زيادة كبيرة في مســاحة الأســطح الخارجيــة للمكعب بعد تجزئته، وهذا يسفر عن تضاعف قيمة النسبة بين مساحة السطح والحجم بمقدار ثماني مرات، لتساوي « $8 \times \frac{6 س^{2}}{س^{3}} = \frac{48}{س}$ » بعد أن كانت « $\frac{6}{س}$ ».



الشكل (5 – 2): رسم تخطيطي يبين (أ) قطعة من فلز ما على شكل مكعب تبلغ مقاييس أبعاده س X س X س. ويحتوي هذا المكعب على 4086 ذرة، منها 1352 ذرة توجد على أوجه أسطحه الست الخارجية. ويوضح الشكل في (ب) المكعبات الناشئة عن تجزئة المكعب الرئيسي في (أ) إلى ثمانية أجزاء متساوية يبلغ حجمها الكلي حجم المكعب الأساسي نفسه (س^{3})، لكنها تتميز عنه في قيمة مجموع أوجه أسطحها الخارجية البالغ 48 وجها، توجد عليها 2388 ذرة من العدد الكلي لذرات المكعب البالغ 4086 ذرة. هذا ويتزايد مجموع أوجه الأسطح الخارجية للمكعب ليبلغ 384 وجها، تحتلها 3586 ذرة، وذلك بعد تجزئة المكعب الرئيسي إلى 64 جزءا (جـ). ومن الجدير بالملاحظة ثبات قيم العدد الكلي للذرات بالمكعب قبل وبعد التجزئة، وكذلك عدم تغير مقدار حجمه الكلي، حيث إن المتغيرات الناجمة عن تصغير المكعب الرئيسي تكمن في عدد الذرات الظاهرة على الأوجه الجديدة الناشئة من التقسيم، وتضاعف قيمة المساحة السطحية للمكعب [1].

● زيادة كبيرة في قيمة مقدار العدد الكلي للذرات الموجودة على الأسطح الخارجية لأوجــه المكعبات الثمانية الناتجة (48 وجها) لتصبح 2388 ذرة. هــذا في حين لــم يتغير مجموع العــدد الكلي للذرات الموجــودة بالمكعبات الثمانيــة ككل عما كانت عليــه قبل تجزئة المكعب الأصلــي. ومن ثم تكون النســبة بين عدد الذرات على السطح الخارجي للمكعبات إلى العدد الكلي للــذرات بوحدات المكعب الثمانية قــد تضاعفت من $\frac{1352}{4086}$ X 100 = 33% إلــى $\frac{2388}{4086}$ X 100 = 58%، وهذا في حــد ذاته يعني وجود أكثر من نصف قيمة ذرات المادة على الأسطح الخارجية للمكعبات الثمانية المجزأة.

● ومع اســتمرار التجزئة لكل مكعب مــن المكعبات الثمانية إلى ثمانية مكعبات أصغر، ســوف نحصل على 64 مكعبا متناهيا في الصغر (الشكل 5 – 2 «أ»)، تحتــوي علــى 384 وجهــا (64 مكعبــا X 6 أوجــه). وهذا بالتالي يؤدي إلى تضاعف القيمة الاجمالية لمســاحة الأسطح، مما يسفر عــن تضاعف ظهور ذرات جديدة من المادة على الأســطح الخارجية لهذه المكعبات الجديدة كي يصل عددها الكلي إلى 3586 ذرة، وهي بذلك تمثل نحو 88% من العــدد الإجمالي الكلي للذرات الموجودة داخل جســيمات المكعبات (4086 ذرة).

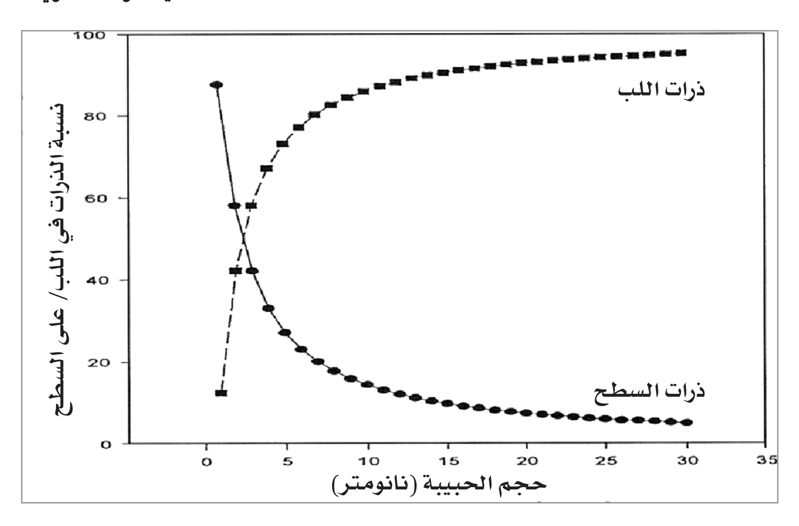


الشكل (5 – 3): صور مجهرية بواسطة الميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة لعينتــين لحبيبــات الفضــة النانوية حضَّرهما مؤلــف هذا الكتاب عند ظــروف معملية مختلفة. والشكل يوضح أن متوسط أقطار الحبيبات بالعينة (أ) يبلغ نحو 35 نانومترا، بينما تبلغ هذه القيمة نحو 5 نانومترات في حالة العينة (ب) [2].

ولنأخــذ الآن فكرة نموذج تصغير المكعب الواردة في الفقرة الســابقة كي نسترشــد بها حين ننظر إلى الشــكل (5 – 3) الذي يوضح صورتين من صور الميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة لعينتين من عينات الحبيبات نانونية لفلز الفضة تم تحضيرهما باستخدام الطرق الكيميائية تحت ظروف معملية مختلفــة [3]. ويلاحظ في الشــكل (5 – 3 «أ») أن حبيبات الفضة التي يصل أعدادها إلى أقل من عشــر حبيبات يبلغ متوسط أقطارها نحو 35 نانومترا، تحتل مساحة سطحية (مساحة منطقة الصورة الموجودة بها الحبيبات، حاصل ضــرب طول الصورة (3.7 نانومترات) في عرضها (4.1 نانومترات) تبلغ نحو 9481 نانومترا مربعا. هذا في حين تحتل المســاحة نفســها ما يزيد على مائة حبيبة من الفلز نفسه، لكنها لا تزيد متوسط أقطارها على 5 نانومترات، كما هو موضح في الشكل (5 – 3 «ب»). ولأن الحبيبات النانوية المتدنية إلى هذا البعد الذي لا يتعدي طول قياسه 5 نانومترات، تحتوي على ما يقرب من 30 ذرة على أسطحها الخارجية، فإننا بذلك نستطيع القول بأن أكثر من 3000 ذرة من ذرات فلز الفضة توجد في هذه المســاحة السطحية الصغيرة. ويسبب هذا التكاثف العددي من ذرات العنصر زيادة درامية في شــدة فاعليته ونشاطه، وتغيرا في خواصه الفيزيائية والميكانيكة ليظهر بذلك خواص أخرى جديدة تختلف تماما عن تلك الخواص والصفات التقليدية التي تبديها حبيباته الكبيرة.

هذا وتشــير نتائج بحثية أخرى إلى أن نســبة وجود الذرات على الأسطح الخارجية لحبيبات فلز الحديد النانوية التي صُغِّرت مقاييسها إلى 3 نانومترات، تصــل إلى نحو 50% من إجمالي العدد الكلي للذرات الموجودة بالحبيبات [4]، هذا في حين لا تتجاوز هذه النسبة 5% فقط في حالة الحبيبات كبيرة المقاييس من المادة نفسها، والتي تبلغ مقاييس أقطارها نحو 30 نانومترا.

ويبين الشــكل (٥ – ٤) العلاقة بين وجود ذرات المادة على ســطح Surface Atoms، ولــب Bulk Atoms حبيبــات فلز الحديد عند مقاييس مختلفة لأقطار الحبيبات Particle Size. ومن الشكل الموضح نستطيع أن نستنتج العلاقة العامة التــي تربط بين تلك المتغيرات الثلاثة، والتي تشــير إلى أنه مع تناقص مقاييس أقطار الحبيبات، تزداد أعداد ذرات المادة على الأســطح الخارجية للحبيبات، في الحين الذي تتناقص فيه أعداد الذرات الموجودة بقلب – لب – تلك الحبيبات.



الشكل (5 – 4) : العلاقة الرابطة بين نسب وجود ذرات فلز الحديد (المحور الرأسي) على الأسطح الخارجية لحبيباته Surface Atoms ومتوسط مقاييس أبعاد تلك الحبيبات (Particle Size المحور الأفقي). ومن الشكل تتجلى لنا تلك العلاقة التي تربط بين مقاييس أبعاد الحبيبات ونسبة وجود الذرات بلب الحبيبات Bulk Atoms حيث يتضح أنه مع تناقص أبعاد أقطار الحبيبات تزداد نسبة وجود ذرات الحديد على السطح مما يحسن من الصفات المختلفة لهذا الفلز، ويضيف إليه صفات أخرى جديدة لم تكن موجودة فيه من قبل [4].

خواص المواد النانوية

بعد أن استعرضنا خلفية نظرية مبسطة عن تأثير تصغير حبيبات المواد النانوية في زيادة مساحة أسطحها وكيف تتضاعف أعداد الذرات على تلك الأسطح الخارجية للحبيبات، سوف نلقي الضوء في هذا الجزء على أمثلة من الخواص المختلفة للمواد النانوية ونواحي انفرادها بسمات وخصال لم تكن معروفة من قبل.

- الخواص الميكانيكية

أشرنا فيما سبق إلى أن تصغير مقاييس أبعاد المواد الرامي إلى إنتاج حبيبات نانوية الأبعاد يؤثر بالإيجاب على كل خواص المادة ويميزها عن مثيلتها من المواد المناظرة التي لها التركيب الكيميائي نفسه. وتأتي

الخـــواص الميكانيكية للمادة على رأس قائمة تلك الخواص المســـتفيدة من صغر أحجام الحبيبات ووجود أعداد ضخمة من ذرات المادة على أسطحها الخارجية. فعلى ســـبيل المثال، ترتفع قيـــم الصلادة Hardness [5] للمواد الفلزية وســـبائكها وكذلك تزيد مقاومتها Strength [6] لمواجهة إجهادات الأحمـــال المختلفة الواقعة عليها، وذلك من خلال تصغير مقاييس حبيبات المادة والتحكم في ترتيب ذراتها [7].

ويؤدي تصغير مقاييس حبيبات المواد الســـيراميكية إلى اكتســـابها مزيـــدا مـــن المتانـــة Toughness [8]، وهـــي صفة لا توجـــد في مواد الســـيراميك المعروفة بقصافتها Brittleness [9] ومقاومتها للتشـــكيل Deformation [10]، وقـــد أظهرت نتائج الأبحـــاث الرامية إلى تطوير المواد السيراميكية ورفع قيم متانتها وقابليتها للتشكيل وتحمل إجهادات الصدم Impact، إلى تخليق أنواع جديدة من تلك المواد تســـتأثر لنفسها الجمـــع بين صفة المتانة العالية والقابلية للتشـــكيل، علاوة على تمتعها بالصلادة الفائقـــة وارتفاع مقاومتها للإجهـــادات الخارجية والصمود أمـــام قيمها العالية. وقد تأتى ذلك كله من خلال تصغير حجم حبيبات المادة إلى ما دون 10 نانومترات [11].

وقد فتحت تلك الأبحاث وغيرها الباب على مصراعيه أمام الفئات الجديـــدة من المواد النانوية كي تُســـتخدَم وتوظَّف في مجالات متنوعة مثـــل مجـــال القواطع الحـــادة وأدوات الحفر فائقة الصـــلادة والمتانة المســـتخدمة في مجال حفر آبار البترول والمياه. كذلك تســـتخدم تلك الحبيبات في مجال تغطية الأســـطح المعرضة لعوامل الصدأ والتآكل. فعلى ســـبيل المثال، تســـتخدم حبيبات كربيد التيتانيـــوم [12] وكربيد التنجستن [13] في تصنيع تلك العدد وأدوات القطع والحفر المستخدمة في تقطيع الأجســـام شديدة الصلادة، وكذلك في الوصول إلى مكامن زيـــت النفـــط وبحيرات الميـــاه الجوفية من خـــلال التعامل مع صخور الطبقـــات الجيولوجية عالية الصلادة، وذلك بدلا من اســـتخدام مادة الماس الأســـود مرتفع الثمن، والـــذي تنخفض خواصه عن خواص هذه المواد النانوية الجديدة.

تجد الحبيبـــات النانوية الآن مرتفعة الصلادة والمتانة، مثل حبيبات مادة أكســـيد الألومنيوم وأكسيد الزركونيوم مجالا تطبيقيا مهما، حيث توظَّــف في تغليف الأســـطح الداخلية لأســـطوانات المحركات من أجل زيـــادة العمر الافتراضـــي لتلك المحركات ووقايتها مـــن التآكل بالصدأ الـــذي تتعرض له في أثناء التشـــغيل نتيجة لتلامـــس مكوناتها الفلزية بعضها مع بعض، خاصة في الأماكن المرتفعة الحرارة والتي تفقد معها الزيوت المستخدمة في التبريد كفاءتها، وذلك نظرا إلى انخفاض كثافتها عند تلك الظروف السيئة من التشغيل. وقد أدى استخدام تلك الأغلفة الواقيـــة إلى عدم تغير مقاييس أبعاد أســـطوانات المحركات والمحافظة على أشـــكالها وأبعادها الأصلية، الأمر الذي زادت معه كفاءة المحركات وانخفضت معدلات استهلاك الوقود وزيوت التشحيم والتبريد، مما نتج عنه انخفاض في كمية عوادم الاحتراق.

وتعمد بعض من شـــركات إنتاج الســـيارات إلـــى إضافة مواد داعمة مخلقة من الحبيبات النانوية للأكاسيد الفلزية، وكذلك الكربيدات، إلى الســـبائك الفلزية المستخدمة في إنتاج أجســـام وهياكل تلك السيارات، وذلـــك بغرض رفع قدرتها على تحمل الصدمـــات الناتجة عن الحوادث المرورية الخفيفة والمتوسطة.

وتعـــد الأغلفـــة المؤلفة من حبيبـــات النانو الفلزية التـــي تُدمَج مع حبيبـــات أخرى من مواد ســـيراميكية، أحد المفاتيح الرئيســـية المهمة الموظفة في صناعة أجســـام الطائرات والمركبـــات الفضائية الأخرى، وتحاشي ظاهرة الإجهادات الواقعة عليها نتيجة تعرض أجسام هياكلها الخارجية للوهن والضعف الذي كان السبب الرئيسي لوقوع الكثير من حوادث تحطم طائرات الركاب بشـــكل ملحوظ خـــلال النصف الثاني مـــن القرن العشـــرين. وتعمل الحبيبات النانويـــة المكونة للأغلفة التي تغطَّـــى بها أســـطح هياكل المركبات الفضائية بمنع امتداد أي شـــروخ تقع على الجســـم ووقف تقدمهـــا وزحفها، مما يحافظ على ســـلامة ومتانة الطائـــرات، ويزيد من أعمارها الافتراضية إلى نســـب تتراوح بين 200% و300%. تجدر الإشارة إلى أن ارتفاع قدرة المواد النانوية

في وقف امتداد الشروخ بأجسام المركبات الفضائية ناتج عن تناهي صغر مقاييس أبعاد حبيباتها، مما يعني زيادة كبيرة في عدد الحدود الحبيبية التي تقوم بوقف وصد امتداد الشرخ وزحفة في الجسم الفلزة للمركبة. أي أنه مع تناقص أبعاد الحبيبات وصغرها إلى ما دون 100 نانومتر، تزداد أعدادها ومن ثم تزداد أعداد حدودها الحبيبية التي تفصل كل حبيبة عن الأخرى، كما سبق أن تم تناولناه في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

النشاط الكيميائي

تعد الزيادة الكبيرة في مساحة أسطح الحبيبات النانوية ووجود عدد ضخم من ذرات المادة على أوجه أسطحها الخارجية، هما العامل الأهم والمؤثر في زيادة النشاط الكيميائي للمواد النانوية، مما يضعها دائما على رأس قائمة المواد المرغوب في استخدامها بالتطبيقات الكيميائية المختلفة. كما تعد المحفزات النانوية Nanocatalysts المؤلفة من حبيبات فائقة النعومة، والتي لا تتعدي مقاييس أقطار حبيباتها الداخلية 100 نانومتر، أحد أهم الأمثلة التطبيقية لهذه الفئة من المواد وأكثرها انتشارا. وتتفاعل حبيبات المحفزات النانوية بقوة مع الغازات السامة والضارة مثل أول أكسيد الكربون وأكاسيد النيتروجين المختلفة الناتجة عن حرق الوقود الأحفوري سواء في المحولات الكهربية والسيارات والمعدات، مما يرشحها لأن تؤدي الدور الأهم والرئيسي في الحد من التلوث البيئي بهذه المركبات العضوية شديدة السمية.

وتعد خلايا الوقود Fuel Cells أحد التطبيقات الأكثر أهمية للمحفزات النانوية المصنوعة من حبيبات الفلزات النبيلة Nobel Metals Nanoparticles، مثل فلز البلاتين Pt ومجموعته. ولعل المستقبل القريب سوف يحمل لنا اكتشافات علمية مثيرة عن إمكان استخدام حبيبات نانوية من سبائك فلزية أقل تكلفة من مجموعة فلز البلاتين وسبائكه، مما يمكننا من استخدام تكنولوجيا خلايا الوقود بطريقة اقتصادية تفتح الباب نحو انتشارها وتعميمها كأحد أهم مصادر الطاقة الجديدة.

كما تعد المحفزات النانوية المستخدمة في تكرير النفط نموذجا تطبيقيا مهمــا لتلك الفئة من المحفــزات النانوية، على الرغم مــن ارتفاع تكاليف إنتاجها على المستوى الصناعي وبالكميات الضخمة التي تتطلبها عمليات تكريــر زيت النفط. على أي حال، فإن وجود هذا الكم الضخم من الذرات على الأســطح الخارجية لحبيبــات المحفزات النانوية يزيــد من فاعليتها وتحفيزها الكيميائي، حيث إنها تشــارك بأســطح حبيباتها الخارجية في تلــك العمليات الكيميائية. هذا بالإضافة إلــى أن تلك الحبيبات المتناهية في الصغر تتمتع بمساحة أسطح عالية جدا، وهذا يعني أنه عند استخدام كتلة وزنية معينة من المحفزات نانوية الحبيبات تكون فاعليتها أعلى بكثير من الكتلة نفســها الوزنية لنوع المحفز الكيميائي نفسه المؤلف من حبيبات كبيرة الأحجام.

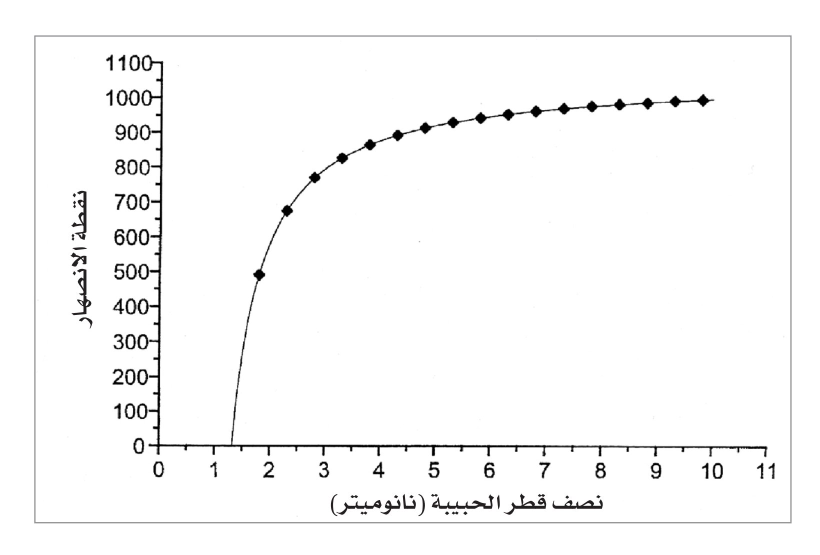
● الخواص الفيزيائية

نقطة الانصهار

تتأثــر قيم درجــات حرارة انصهــار المادة بتصغير أبعــاد مقاييس حبيباتها. فعلى ســبيل المثــال، فإن درجة الحرارة التــي يحّول عندها تحــول فلز الذهــب النقي من الحالة الصلبــة Solid State إلى الحالة السائلة Liquid State تعرف باسم نقطة الانصهار - Melting Point ، هــي 1064 درجة مئوية. والســؤال الذي يطرح نفســه الآن، هل تتغير هــذه القيمة مع تغير أوضــاع وترتيب ذرات فلز الذهــب الناجمة عن تصغيير مقاييس أبعاد حبيباته وزيادة مساحة أسطحه الخارجية؟ يتيح الشــكل (5 - 5) إجابة مباشــرة عن هذا السؤال، حيث يوضح العلاقة الطردية التي تربط بين نقطة انصهار فلز الذهب ومقياس أبعاد أقطار حبيباته. وكما هو موضح بالشــكل، فإن قيمة نقاط انصهار فلز الذهب تختلــف باختلاف مقاييس أبعاد أقطار حبيباته، حيث تتناقص بتناقص أقطار تلك الحبيبات تناقصا ملحوظا، لتصل إلى نحو 500 درجة مئوية عنــد تدني مقياس أقطار حبيبات الذهــب إلى نحو 1.35 نانومتر [4]، هذا على الرغم من تســاوي حبيبات الذهب ذات الأقطار المختلفة في

التركيب الكيميائي وخلوها من الشوائب. ومن هذه العلاقة يتضح لنا أنه بالإمكان التأثير في خواص وسلوك المادة من خلال تصغير مقاييس حبيباتها، مما يؤدي إلى تخليق عدة مواد من المادة الرئيسية نفسها بحيث تختلف كل منها عن الأخرى في الخواص والصفات اختلافا كبيرا، وهذا يؤدي إلى اتساع رقعة التطبيقات التكنولوجية للمادة، ومن دون إضافة، أي مواد أو عناصر أخرى إليها كما هو متبع في تكنولوجيا تخليق المواد التقليدية حيث تضاف مادة أو أكثر إلى المادة الرئيسية لتغيير صفات معينة أو خواص بها.

ويبرر علماء الفيزياء سبب تناقص قيم نقط انصهار المادة مع تناقص مقاييس حبيباتها إلى الزيادة الطارئة على مساحات أسطحها الخارجية واختلاف مواضع وترتيب ذرات فلز الذهب عما كانت عليه.



الشكل (5-5) : يمثل الشكل العلاقة التي تربط بين قيم درجة حرارة نقطة انصهار حبيبات الذهب الخالص (المحور الرأسي) وأنصاف أقطار تلك الحبيبات (المحور الأفقي). ومن هذه العلاقة المبينة بالشكل نستطيع القول إن التلاعب في أوضاع ذرات حبيبات الذهب الناجم عن تصاعد نسب وجود هذه الذرات على الأسطح الخارجية لحبيباته قد غير الخواص الفيزيائية للذهب ومن بينها قيمة درجة حرارة الانصهار له [4].

• الخواص البصرية

بالإضافة إلى ما سـبق شـرحه من الخواص المهمة التي تتميز بها المواد النانوية، فقد استحوذت تلك المواد على اهتمام الباحثين والعلماء العاملين في مجال البصريات وذلك نظرا إلى الخواص غير المسبوقة التي تمتلكها تلك المواد، حيث تختلف في خواصها البصرية عن نظائرها من المواد التقليدية كبيرة الحبيبات. ومن المثير للدهشة امتداد تأثير حجم الحبيبـات إلى تغيير الخواص البصرية للمـادة Optical Properties، ومنها التشتيت أو التكسـير الضوئي Light Scattering لسطح المادة. فعلى سبيل المثال، فإن اللون المعروف لحبيبات الذهب النقي التي تزيد أقطارها على 200 نانومتر هو اللون الذهبي الأصفر الذي نعرفه. لكن إذا مـا تم تصغير هذه الحبيبات إلى أقل من 20 نانومترا، فإنها تكون عديمة اللون (شـفافة)، ومع زيادة تصغيـر الحبيبات تظهر الحبيبات بألوان مختلفة من الأخضر إلى البرتقالي ثم الأحمر، وذلك وفقا لقيم مقاييـس أبعاد أقطارها. وينعكس تصغير أحجام حبيبات الذهب على قـدرة تلك الحبيبات لمقاومة التكسـير الضوئي وجمعهـا بين انبعاث طيفـي ضيق المدى Sharp Emission Band وطيف اسـتثارة واسـع المدى Broad Excitation.

ويعد مجال الإلكترونيات والبصريات أحد أهم المجالات التطبيقية الخاصـة بالمواد النانويـة التي تجمع فـي خواصها صفـات بصرية وقـدرة فائقة علـى التوصيل الكهربي، مثل حبيبـات الفضة، الذهب، وكذلك أنابيب الكربون النانوية، حيث تُسـتخدم هذه المواد في صناعة الشاشات عالية الدقة فائقة التباين ونقاء الألوان، مثل شاشات التلفاز والحاسبات الحديثة.

• الخواص المغناطيسية

تعتمـد قوة المغناطيس اعتمادا كليا علـى مقاييس أبعاد حبيبات المادة المصنـوع منها المغناطيس. وكلما صغرت تلك الحبيبات وتزايدت مسـاحة أسـطحها الخارجية ووجود الذرات على تلك الأسـطح، كلما ازدادت قوة

وفعالية المغناطيس وشدته. وتعد المواد النانوية ذات الخواص المغناطيسية أهم مصادر المواد التي تدخل في إنتاج المغناطيسات فائقة الشدة المستخدمة في المولدات الكهربية الضخمة، ومحركات السفن والبواخر العملاقة. كما تدخل الحبيبات النانوية للمواد المغناطيسية في صناعة الأجهزة التحليل فائقة الدقة وكذلك في صناعة أجهزة التصوير بالرنين المغناطيسي Magnetic Resonance Imaging (MRI) وكذلك في أجهزة التشخيص الطبي Medical Diagnostics بوجه عام.

• الخواص الكهربية

أثر تناهي صغر أحجام حبيبات المواد النانوية وكثافة أعداد الحدود الحبيبية بالإيجاب على خواصها الكهربية التي تتمثل في قدرتها الفائقة على توصيل التيار الكهربي. وتستخدم المواد النانوية الآن في صناعة أجهزة الحساسات الدقيقة والشرائح الإلكترونية بمختلف الأجهزة الحديثة. كما تستخدم بكثافة في صناعة مكونات الهواتف الخلوية والحاسبات، مما مكن هذه القطاعات الصناعية من إنتاج أجهزة خفيفة الوزن عالية المواصفات التقنية، وفي الوقت نفسه منخفضة التكلفة.

ويعطي الجدول (5 – 2) بيانا لبعض الخواص التي يتم تطويرها في المنتجات المختلفة عن طريق تصغير حبيبات المواد إلى أقل من 100 نانومتر. ويتضح لنا من تلك الأمثلة المتعددة أنه من المنطقي ألا تتبع المواد النانوية في حركتها وفي تفاعلاتها وسلوكياتها، كلاسيكيات نيوتن الخاصة بقوانين حركة الأجسام الضخمة وتفاعلاتها. لذا فإنه في إطار تفهمنا لميكانيكا الكم وبعد مرور مائة وعشرة أعوام على تلك النظرية الرائدة التي فجرتها جهود ماكس بلانك، ثم أعقبتها إنجازات آينشتاين الفذة ونظرياته لترسيخ قواعد الفيزياء الحديثة، فقد أدركنا أن الخواص المتميزة التي تحتكرها المواد النانوية السابق توضيحها، ترجع كنتيجة مباشرة لتصغير حجم حبيباتها. ويأتي التأثير الكمي Quantum Effect على تلك الحبيبات النانوية متناهية الصغر ليحسن ويعزز من تلك الخواص والخصال، وذلك وفقا لنظرية ميكانيكا الكم التي جاءت لتصحح قوانين نيوتن الكلاسيكية.

ولعـل تلك الأمثلة قد أكدت للقارئ الكريم خطأ الفيزياء الكلاسـيكية حـين آمنت بالعديد من المثاليات النظرية ومن بينها أزلية المادة وصمودها في مواجهة أي متغيرات ترمي إلى تغيير خواصها وسماتها. فكل شيء في هذا الكون نسبي، تختلف قيمته وخواصه بناء على عوامل ومتغيرات عدة، من بينها ترتيب الذرات بهيكل المادة ومقاييس أبعاد المادة وحبيباتها.

الجدول (5 - 2): أمثلة توضح كيفية تحسين وتطوير خواص المنتجات ورفع كفاءتها عن طريق التحكم في مقاييس أبعاد حبيباتها لتكون أقل من 100 نانومتر.

الخواص	أمثلة
الكهربية Electrical	زيادة التوصيل الكهربي والمغناطيسـي في السـيراميكيات والمتراكبات النانوية، زيادة في المقاومة الكهربية بالفلزات.
المغناطيسية Magnetic	زيادة القوة الممانعة المغناطيسية Magnetic Coercivity.
الميكانيكية Mechanical	تحسـين الصـلادة Hardness، المتانـة Toughness في الفلـزات والسـبائك الفلزية، تحسـين اللدونـة Plasticity والقابلية للسحب Ductility في المواد السيراميكية القصفة.
البصرية Optical	زيـادة وتطويـر القدرة الكميـة لبلورات أشـباه الموصلات Quantum Efficiency of Semiconductor Crystals.
البيولوجية Biological	تحسـين التلاؤم والتوافق البيولوجيBiocompatibility، زيادة قدرة النفاذية والاختراق للموانع والحواجز البيولوجية Biological Barriers التي تعوق وصول الأدوية والعقاقير العلاجيـة للجزء المصاب (مثل الأغشـية Membranes، الحاجز الدموي بالمخ Blood-brain Barrier).



white

6

تقنيات الإنتاج والتوصيف

«منذ أن بدأت البشرية رحلتها مع تكنولوجيا النانو، داعبت خيال العلماء والباحثين وهيمنت عليه فكرة التلاعب الفردي بذرات وجزيئات المادة وترتيبها على هيئة نماذج وأشكال لتكوين البنية الداخلية لهياكل الأجهزة المُراد إنتاجها، مهما بلغت أحجامها وكبرت مقاييس أبعادها أو صَغُرت»

المؤلف

بعد أن انتهينا من إلقاء الضوء على ملامح تطبيقات تكنولوجيا النانو وما يمكن أن تحققه للبشرية من آمال عريضة وقفزات تكنولوجية عملاقة باتت صعبة أو مستحيلة في ظل التكنولوجيات التقليدية، فقد تبين لنا أن العالم كله - من غني إلى فقير - على حافة ثورة تكنولوجية عملاقة قادرة على تحويل أحلامه من وهم إلى حقيقة وواقع ملموس. سوف يشهد جيل اليوم والأجيال القادمة خلال العشرين سنة المقبلة تطورا متزايدا في مجال الطب والرعاية الصحية والاكتشاف المُبكر للأمراض، ويلمس الطفرات الهائلة التي يحققها قطاع صناعة الدواء، وسوف تزداد حياتنا نعومة وسلاسة مع تلك القفزات التي تحققها تكنولوجيا النانو في مجالات الأجهزة الإلكترونية بمختلف فئاتها.

ولكي لا يُصبح حديثنا مجرد سـرد قصصي عن حكايات أسـطورية، مسطورة في كلمات هلامية لا ترتبط بالواقع الحالي، فلا بد أن نتفق على أنه ما زال أمامنا كثير من التحديات التقنية التي تواجهنا، كي نعبر الجسر الفاصـل بين اليأس والأمل، ونقوم برأب الصدع بين الحلم والحقيقة. ولن يتأتى للبشـرية هذا إلا مـن خلال العلم والعمل البحثي الشـاق والمُضني من أجل إنقاذ أنفسـنا والأجيال المقبلة من مخاطـر التصحر ونُدرة المياه الصالحة للشـرب، والمشاكل البيئة القاتلة، ونفاد الوقود الأحفوري، وعجز الأدوية والعقاقيـر الطبية التقليدية عن مكافحـة الأمراض وردع الأوبئة الحاليـة والمتوقعة، وإلى غير ذلك من مخاطر وتحديات كثيرة باتت تؤرقنا منذ منتصف القرن الماضي.

أدوات التكنولوجيا

لكي ننجح في تطويع تكنولوجيا النانو وترويضها لتأدية المهام المُوكلة إليها، لا بد أن نعرف ماهية أدواتها ووسائلها الخاصة بإنتاج وتوصيف مُخرجاتها الرائدة، فلـكل تكنولوجيا أدواتها، التي من دونها أو من دون إتقان اسـتخدامها وتطويعها، تظل - أي التكنولوجيا - مجرد سراب أو حلم. وخلال القرنين الماضيين، عانت دولنا العربية، ودول عالمنا النامي، من غيابها فـي إنتاج تكنولوجيا الثورات الصناعيـة الكُبرى، وكان ذلك بسـبب غياب المعرفة وعدم إتقان اسـتخدام الأدوات والوسائل التقنية الموظفة في إنتاج مخرجات التكنولوجيات السابقة، كنتيجة طبيعية للتعتيم التكنولوجي على تلك التقنيات وحظر نقلها إلى دول الجنوب. تبلور هذا الحظر وأصبح واضح المعالم، بعد أقل من مائة عام من اندلاع أول ثورة تكنولوجيـة، وذلك بعد إبرام أول معاهدة تُبيح احتكار المعرفة والتقنيات التكنولوجية في باريس من العام 1883، والمعروفة باسم «اتفاقية باريس لحمايـة الملكية الصناعيـة Paris Convention for the Protection of Industrial Property ومـا تلاها، حتى يومنا هـذا، من قوانين، تَزَينت تحت اسم «قوانين حماية الملكية الفكرية» Intellectual Property، التي نحترمُها بلا أدنى شك، بل ونُشجع على ممارستها والتسلح بها، فيا ليت

العلماء والمخترعين العرب الأوائل قد أبرموا مثل هذه المعاهدات، وسنوا قوانين صارمة لحماية إنتاجهم الذهني الذي أثروا به البشرية، وقت أن كانت المعرفة حكرا على منطقتنا العربية!

لم يكن كلامي هذا بغرض إثارة شـجون أو أحزان، ولكنني وددت فقط الإشـارة إلـى أن المعرفة أصبحـت الآن كتابا مفتوحـا للجميع، وأضحت أغلـب الأدوات والتقنيات التكنولوجية المتقدمـة - فيما عدا البعض منها المخصـص في إنتاج صناعات خاصة ودقيقـة - معروفة لدى الجميع، أو يُمكن معرفتها بوسـيلة أو بأخرى. خلاصة القول إذن أنه لا توجد لنا أي أعذار تحول دون تحقيق آمالنا وجني ثمار كفاحنا العلمي والمعرفي.

وسنتناول في هذا الفصل، ماهية الأدوات والوسائل التقنية المستخدمة في تكنولوجيا النانو. وبداية، يمكننا تصنيف تلك الأدوات إلى قسمين هما؛ وسائل الإنتاج Production Tools، ووسائل التوصيف Characterization Tools.

وسائل الإنتاج

على الرغم من وجود العديد من الأدوات والطرق المُستخدمة في إنتاج وتخليق المواد النانوية بمختلف فئاتها وبدرجات متفاوتة من الجودة، السرعة والتكلفـة، فإن كل هذه الطـرق يمكن إدراجها تحت اثنين من الأسـاليب التقنية يعرفان باسم (1) تصغير حبيبات المادة - النزول بمقاييس أبعادها من الأعلى إلى الأسـفل Top-Down Approach أو من القمة إلى القاع، (2) تجميـع ذرات وجزيئـات المادة - الصعود بمقاييـس الأبعاد من القاع إلـى القمة Bottom-Up Approach أو من الأسـفل إلـى الأعلى. وبينما يُقصد بمصطلح «القمة» - المُسـتخدم هنا في كلتا الحالتين - الأجسـام الكبيـرة، فإن مُصطلـح «القاع» يرمز إلـى مكونات المادة الأساسـية من الذرات والجزيئات أو الحبيبات فائقة النعومة. ومن التسمية، يتضح لنا أن الأسـلوبين المتبعين يعملان في اتجاهين متعاكسين، حيث تتبع استراتيجية الأسـلوب الأول في تحضير المواد النانوية سياسـة تصغير أبعاد الأجسام أو الحبيبـات الضخمة، التي تبلغ مقاييس أبعادها عدة مئات أو عشـرات الآلاف من النانومترات، والوصول بها إلى حبيبات فائقة النعومة لا تتعدى

أبعادهـا بضعة نانومتـرات تقل عن 100 نانومتر. هـذا في الحين الذي يسـير فيه أسـلوب إنتاج المواد النانوية في الطريقـة الثانية على التعامل منذ البداية مع الجسـيمات نانوية الأبعاد، من ذرات المادة أو جزيئاتها، ثم ترتيبها وتجميعها على الشكل المطلوب الحصول عليه.

وبطبيعة الحال، يتمتع كل أسـلوب من الأسـلوبين بعـدد من المزايا الخاصة، وفي الوقت نفسـه به عديد من العيوب ونقاط الضعف، الأمر الذي لا يمكن فيه اتباع أسـلوب واحد فقط في تحضير كل فئات المواد والمنتجات النانوية. ويعتمد اختيار أسلوب وطريقة التحضير على ماهية الخـواص المطلـوب توافرها في المنتـج النهائي للمـادة، وهوية المجال التطبيقـي الذي سـوف يتم توظيف المُنتَج به. وبوجـه عام، فإن الطرق الأكثر شيوعا واسـتخداما لإنتاج المواد النانوية على المستوى الصناعي والتطبيقـي، يمكن حصرها في خمس طرق عامـة، تندرج تحتها طرق أخرى فرعية:

- طريقة الطحن الميكانيكي Mechanical Milling.
- طريقـة ترسـيب الأبخـرة الكيميائيـة Chemical Vapor Deposition (CVD).
- طريقة تكثيف الـذرات أو الجزيئات Atomic or Molecular Condensation.
- طريقة الترسيب الكهربي Electrodeposition.
- طريقة الهلام - الغرواني Sol-gel.

وفـي هذا الفصل من الكتاب لن نشـرح كل هذه الطـرق، على الرغم من بسـاطة فكرتها وفاعليتها في تخليق المواد النانوية من مختلف الأنواع والخواص، لكننا سوف نقدم وصفا وتحليلا مختصرين لبعضها.

نمط إنتاج المواد النانوية بأسلوب من الأعلى إلى الأسفل

يُعد أسلوب إنتاج المواد النانوية بانتهاج تقنية تصغير أحجام الأجسام الكبيرة ومسـاحيقها التي قد تصل أحجامها إلـى عدة ملليمترات أو بضعة سـنتيمترات، والوصول بمقاييس أبعادهـا إلى عدة نانومترات

قليلة لا تتجاوز 100 نانومتر الأسـلوب الأكثر شـيوعا واسـتخداما، وذلك نظرا إلى قدرته على إنتاج كميات كبيرة من مسـاحيق وحبيبات المـواد النانوية على مختلف أنواعها وفئاتهـا. وتتضمن تقنية تصغير الحبيبـات والنزول بمقاييسـها إلى الأبعاد النانويـة على عدة طرق، من بينها: طريقـة الطحن الميكانيكي (السـحق الميكانيكي) Milling Mechanical، طريقة التذرية، باسـتخدام طريق أشعة الليزر -Laser Ablation، طريقـة نفث الذرات بالرشرشـة الكاثودية puttering [1] – حيـث تتجمع الـذرات بعضها مع بعض مكونة طبقـة رقيقة Thin Layer من المادة. ويتم إجـراء هذه العمليات الإنتاجية في جو منعزل تماما عن الأوكسيجين والهواء الجوي – حيث يتم إحلال أحد الغازات الخاملة بدلا منه، مثل غاز الهليوم أو الأرغون أو خليط منهما [2]. ومن الجدير بالذكر، أنه في حالة الرغبة للحصول على مواد نانوية لمركبات فلزية مثل النيتريدات، والهيدريدات، فإنه يتم استخدام غازات نشطة مثل غاز النيتروجين أو الهيدروجين لها القدرة على التفاعل مع الحالة الصلبـة للمواد الفلزية، وذلك في أثناء إجـراء عملية تصغير أحجام الحبيبـات. ويرجع اسـتخدام ما يعـرف بطريقة «الحـث الميكانيكي للطحن المُنشط» Mechanically-Induced Reactive Milling لتكوين حبيبـات نانوية من النيتريدات الفلزية إلـى العام 1992، حين تمكن مؤلـف هذا الكتاب وفريـق عمله لأول مرة من إنتـاج حبيبات نانوية متجانسـة من نيتريدات التيتانيـوم TiN [3] عند درجة حرارة الغرفة وفي وجود غاز النيتروجين.

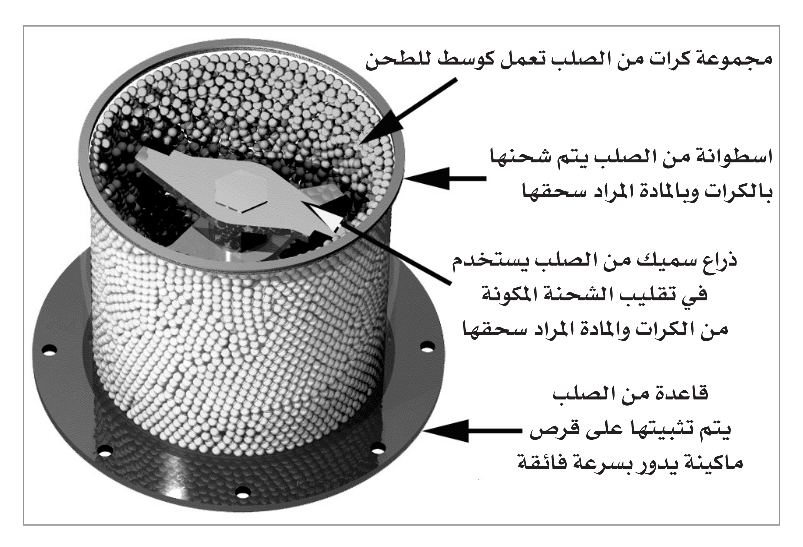
وتعتبر عملية الطحن – السـحق – الميكانيكي للمواد للحصول على مسـاحيق نانوية البنية، من أكثر الطرق انتشارا على المستوى الصناعي والتطبيقـي، وذلك لقدرتهـا الفائقة على تحضيـر كميات ضخمة من مسـاحيق الحبيبات النانوية المتجانسة لمجموعات متنوعة من كل أنواع المـواد. لذا فقد حدثتني نفسـي بأن أقوم في بداية هـذا الفصل من الكتاب بعرض مبسـط عن ميكانيكية طريقة الطحن الميكانيكي وكيف يحـدث من خلالها تفاعل الحالة الصلبـة Solid-State Reaction بين

مادتين أو أكثر لتكوين مساحيق Powders فائقة النعومة تتألف من حبيبات دقيقة نانوية الأبعاد. وسوف يتضمن هذا الجزء أيضا، تقديم بعض أمثلة لمساحيق المواد النانوية التي نحصل عليها بواسطة هذه الطريقة، وكيف يتم تجميعها وتحويلها إلى أجسام متماسكة ذات أشكال وأبعاد تتلاءم مع مواصفات المُنتج النهائي المُراد الحصول عليه لتوظيفه في الأغراض الصناعية المختلفة.

- **تقنية الطحن الميكانيكي**

تعد طريقة الطحن الميكانيكي Mechanical Milling باستخدام طواحين الكرات Ball Mills إحدى الطرق الرئيسية المستخدمة بكثرة في عمليات إنتاج مساحيق المواد المختلفة، وكذلك أيضا في عمليات تجهيز الخامات، منذ زمن بعيد. وعلى الرغم من أن تاريخ استخدام طواحين الكرات في إنتاج مساحيق حبيبات المواد النانوية يرجع إلى حقبة التسعينيات من القرن الماضي [4]، فإن سنوات العقد الأول من القرن الحالي تشهد حاليا اهتماما كبيرا بهذه الطريقة وتطويرها [5] من أجل زيادة رقعة توظيفها في إنتاج فئات متنوعة من حبيبات المواد النانوية على المستوى الصناعي.

ويعتمد أسلوب الطحن الميكانيكي لسحق كتل جسيمات المواد وتنعيمها والوصول بمقاييس حبيباتها الداخلية إلى مستوى النانومتر، على استخدام طواحين كرات عالية القدرة High-Energy Ball Mill. وتتألف الطاحونة بشكل عام، من أسطوانة (وعاء الطحن) مصنوعة من سبيكة من سبائك الصلب - تستخدم مادة كربيد التنجستن WC في بعض الحالات - تشحن بجسيمات كتل المادة المُراد سحقها [6]. وقبل أن يُشرع في حكم غلق وعاء الطحن المُحتوي على جسيمات المادة، يضاف عدد من الكرات إليها، تفوق قيمة صلادتها صلادة المادة المُراد طحنها، وتكون مصنوعة من نفس نوع مادة الوعاء [7]. هذا ويوضح الشكل (6 - 1) رسما تخطيطيا لشكل وعاء الطحن، محتويا على الكرات التي تقوم بمهمة «الوسط الطاحن» للمادة.



الشكل (6 - 1): رسم تخطيطي ثلاثي الأبعاد يُوضح شكل ومحتويات أسطوانة من الصلب تحتوي على كرات تعمل كوسط لسحق المادة المراد الحصول على مسحوق حبيباتها النانوية [8].

ويتوقف مدى جدوى تفريغ الأسطوانة من الهواء الجوي الموجود بها وإحلاله بأحد الغازات الخاملة على هوية المادة المطلوب الوصول بأحجام حبيبات مساحيقها إلى مستوى النانومتر. فإن كانت المادة من إحدى المواد الفلزية أو سبائكها، فلا بد أن تُسحَق في معزل عن الهواء الجوي أو في وجود أحد الغازات الخاملة، وذلك لتجنب تأكسدها بواسطة الأكسيجين الموجود بالهواء. أما إذا كانت المادة المراد سحقها من إحدى المواد السيراميكية لأكاسيد الفلزات المستقرة كيميائيا، مثل أكسيد الألومونيوم Al_2O_3 أو أكسيد التيتانيوم TiO_2 وغيرهما، فيمكن إجراء عملية الطحن في وجود الهواء الجوي.

وبمجرد الانتهاء من الخطوة السابقة، يثبَّت وعاء الطحن على قرص ماكينة الطحن التي تلف بسرعات عالية جدة، تتراوح بين 250 و800 لفة في الدقيقة، مما يُعجل من عملية تكسير وطحن الحبيبات الكبيرة للمادة

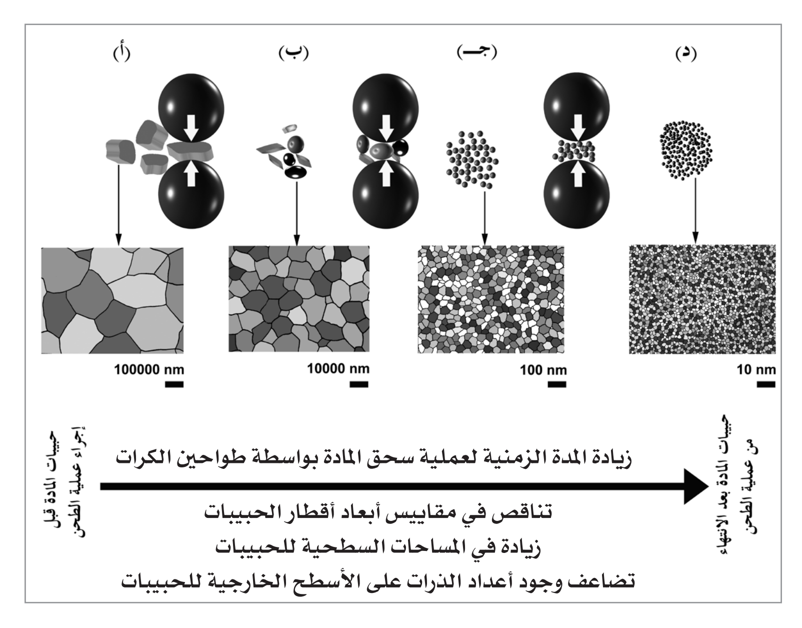
والوصول بمقاييسها إلى أبعاد نانوية في فترات زمنية قصيرة. وتتوقف كفاءة عملية الطحن في الحصول على مساحيق ناعمة تتركب من حبيبات نانوية، على عدة عوامل، نذكر من بينها:

- نوع الطاحونة المُستخدمة وقدرتها،
- نوع المادة المصنوعة منها أوعية وكرات الطحن،
- نوع المادة المُراد سحق جسيماتها وخواصها الفيزيائية والميكانيكية،
- الوسط القائم بعملية الطحن (كور، قضبان) [9]،
- النسبة الوزنية بين الوسط الطاحن والمادة المُراد طحنها [10]،
- السرعة التي يتم عندها إجراء عملية الطحن [11]،
- الزمن الكلي المُستغرق لعملية طحن المادة [12].

هذا وتختلف ميكانيكية سحق المواد باختلاف أنواعها وخواصها، فالحبيبات النانوية لمساحيق أكاسيد المواد السيراميكية القصفة يتم الحصول عليها بميكانيكية تختلف عن تلك الميكانيكية التي يتم بها الحصول على الحبيبات النانوية للمواد الفلزية المطيلة Ductile وسبائكها، وذلك على الرغم من استخدام الطاحونة نفسها وتحت ظروف التشغيل نفسها.

• تحضير مساحيق المواد القصفة نانوية الحبيبات

المواد القصفة، كما ذكرنا سابقا بالفصل الرابع، هي المواد التي ليس في وسعها أن تتشكل أو تُبدي أي رغبة في تغير أشكال هياكلها عند تعرضها لأي إجهادات خارجية. ويصور الشكل (6 – 2) رسما تخطيطيا مُبينة فيه المراحل المختلفة التي تمر بها جسيمات المواد القصفة في أثناء سحقها بواسطة طاحونة كرات عالية القدرة. وتظهر في الشكل أجسام كبيرة كروية الشكل، تُعَبر عن الكرات المستخدمة في طحن كتل جسيمات المادة المراد تنعيم حبيباتها. وترمز الأسهم الكبيرة الموجودة على سطح هذه الكرات إلى اتجاه قوى الصدم Impact Forces المؤثرة في الحبيبات، الناتجة من جراء وقوعها بين الكرات المتصادمة داخل اسطوانة وعاء الطحن متصادمتين في أثناء تشغيل الطاحونة (الشكل 6 – 2 «أ»). ويلاحظ في هذا الشكل المشار إليه، ضخامة مقاييس حبيبات جسيمات المادة قبل بداية تفتيتها وسحقها، حيث يصل متوسط أقطارها نحو 220 ألف نانومتر [13].



الشكل (6 - 2): رسم تخطيطي يوضح المراحل التي تمر بها جسيمات كتل المواد القصفة خلال عملية الطحن الميكانيكي باستخدام طواحين الكرات عالية القدرة.. ويلاحظ من الشكل، أنه مع زيادة زمن الطحن، تتناقص مقاييس أقطار الجسيمات المتكونة تناقصا دراميا، حيث تصاحب هذا التناقص زيادة في مساحات السطوح الخارجية لمساحيق الحبيبات الناتجة في كل مرحلة. ويشير هذا التناقص في مقاييس أبعاد الحبيبات إلى زيادة نسب وجود ذرات المادة على الأسطح الخارجية للناتج النهائي من حبيبات المادة النانوية [8].

وبمجرد تشغيل الطاحونة لفترة زمنية معينة، تخضع جسيمات المادة، الواقعة بين الكرات المتصادمة داخل الطاحونة، لإجهادات قوى القص Shear Forces التي تؤثر منذ البداية في مناطق الضعف الموجودة في البنية الحبيبة - الحدود البينية للحبيبات - داخل الهيكل البلوري، مما يؤثر وبشدة في ثبات واستقرار الحبيبات، فتبدأ في الاستجابة لهذه القوى المؤثرة وتتفكك عند هذه الحدود، مكونة بذلك حُبيبات أكثر نعومة ذات أقطار تقل عن 12 ألف نانومتر، كما هو مبين في الشكل (6 - 2 «ب»). ومع زيادة زمن الطحن، تتعرض حبيبات المادة لمزيد من الضغوط والإجهادات الواقعة عليها، والتي تؤدي إلى استمرارية انفصال الحبيبات بعضها عن بعض وتكوين حبيبات أكثر

نعومة، حيث يبلغ متوسـط مقاييس أبعاد أقطارها نحو 30 نانومترا (الشكل 6 - 2 «جـ»). ومـع زيادة زمن الطحـن، يتوالى تأثير إجهـادات قوى القص في المادة، مما يؤدي إلـى مزيد من تنعيم حبيباتها والوصول بها إلى أحجام متناهية في الصغر، يبلغ متوسط أقطارها نحو 2 نانومتر، كما هو مبين في الشـكل (6 - 2 «د»). ويعرض الشـكل (6 - 3) صورة ميكروسكوبية حُصل عليها باستخدام الميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة، لحبيبة نانوية الأبعاد (يبلـغ مقياس قطرها نحو 5 نانومترات) من مـادة كربيد التيتانيوم TiC، وذلك بعد خضوعها للطحن لمدة 200 ساعة متواصلة [14].



الشـكل (6 - 3): صـور مجهريـة أُخذت بواسـطة الميكروسـكوب النافـذ الإلكتروني عالـي الدقـة لحبيبة واحدة مـن حبيبات مادة كربيـد التيتانيـوم TiC حُضِّرت معمليا بواسـطة مؤلف هـذا الكتاب، وذلك عن طريق الحث الميكانيكـي لتفاعل الحالة الصلبة Mechanically-Induced Solid-State Reaction بـين مسـاحيق حبيبـات الكربـون والتيتانيوم، باسـتخدام طاحونة الكرات عالية القدرة. ومن الشـكل نسـتطيع القول إن طريقة التحضير هذه توفر إنتاج حبيبات نانوية فائقة النعومة، تصل أقطارها إلى نحو 5 نانومترات [14].

- **تحضير مساحيق المواد المطيلة نانوية الحبيبات**

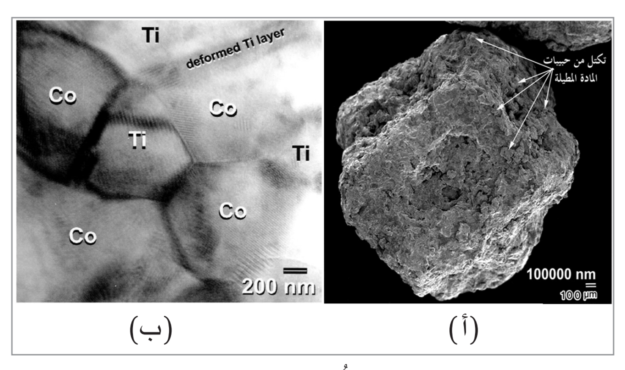
يُقصـد بالمواد المطيلة هنا، تلك المُواد التي تتمتع بالقدرة على التشـكل، المتمثل في تغير أبعادها وأشكال هياكلها الخارجية عند تعرضها للإجهادات الخارجيـة الواقعـة عليها. وتضم فئة المـواد المُطيلة جميـع عناصر المواد

الفلزية، مثل النُحاس، والألومونيوم، والحديد، وغيرها من الفلزات والسبائك الفلزية، مثل سبائك الحديد، وسبائك الذهب، وسبائك التيتانيوم. والتشكل الذي تبديــه حبيبات المواد المُطيلة يُعبر عن مقاومتها للحمل المؤثر فيها من دون أن تنهــار وتفصل حبيباتها، كما هي الحال في المواد القصفة. ومن ثم، فإن تصغيــر حبيبات تلك المواد عن طريق تعريضها للإجهادات المتولدة من الكــرات المتصادمة داخل طواحين الكرات يخضع لميكانيكية خاصة، تختلف عــن تلك الموضحة في المواد القصفة، وذلك نظرا إلى اختلاف نوع الرابطة الكيميائية، واختلاف الترتيب الذري بين المادتين؛ القصفة والمطيلة. ويجري تصغير حبيبات المواد المطيلة على عدة مراحل كما يلي:

- **المرحلة الأولى**: عند تعريض جسيمات المواد المطيلة إلى قوى الضغط والصدم الناشــئة داخل طواحين الكرات، فإن جســيمات تلك المواد تبدأ في التفلطح والاســتطالة وتقل ثخانتها (ســمكها)، ممــا ينجم عنه تغير بأحجامها. ونظرا إلى قابلية تلك المواد على التشــكل، فإن مساحيقها في هــذه المرحلة المُبكرة من مراحل الطحن الميكانيكي تبدأ في التجمع بعضها مــع بعض على صورة تكتل حبيبي كــروي، مكونة في هذا التجمع حبيبات كبيرة الأحجام تصل أبعاد أقطارها إلى مئات الآلاف من النانومترات، كما هو موضح في الشكل (6 - 4 «أ») الذي يعرض صورة مجهريه لعينة فلزية من مســحوق سبيكة النيوبيوم Nb بعد طحنها ميكانيكيا بواسطة طاحونة كور عالية القدرة لمدة ست ساعات [15]. هذا ويعرض الشكل (6 - 4 «ب») الهيئــة الداخلية للب حبيبة واحدة من حبيبات ســبيكة الكوبالت تيتانيوم $Co_{75}Ti_{25}$، بعد طحنها مدة نصف ساعة [16]. ويتضح من الشكل الأخير، النزعة التي تبديها الحبيبات الفلزية للتجمع والالتصاق بعضها ببعض عند تعرض مسحوق المادة إلى إجهادات تقع عليها في أثناء عملية الطحن.

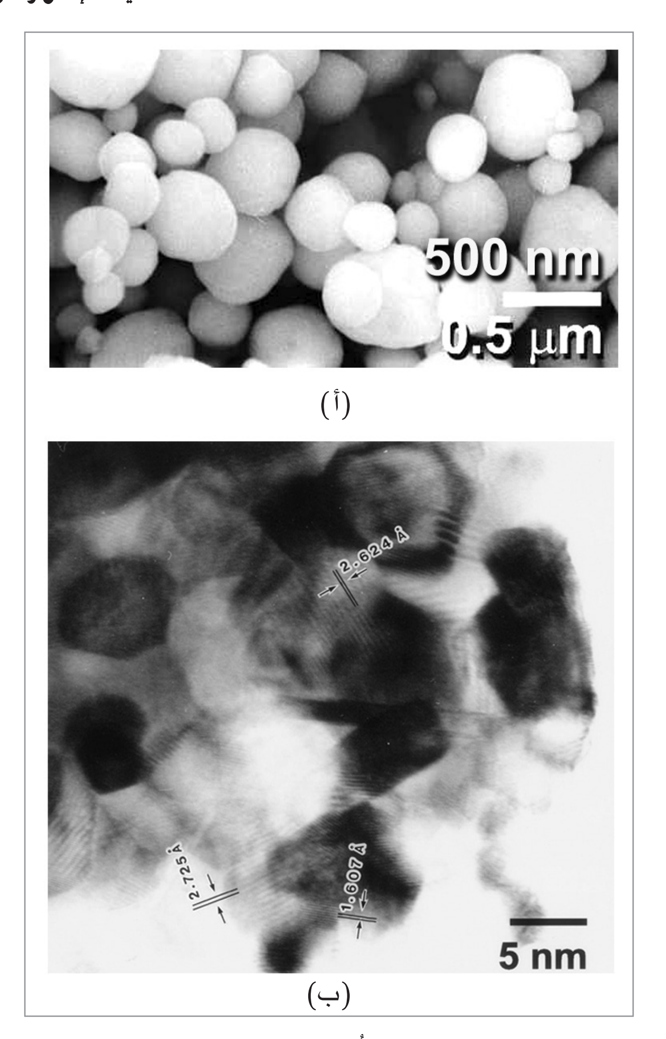
- **المرحلة الثانية**: بعد نمو أقطار حبيبات المادة وزيادة أحجامها خلال الدقائق الزمنية الأولى لعملية الطحن، تبدأ كتل الحبيبات المتجمعة في امتصاص مزيد من الإجهادات المتولدة عن عملية الطحن، مما يســفر عن وقوع تشــوهات لدنة Plastic Deformations بالشــبكة البلورية (الشــكل 6 - 5 «أ»)، وهي تشوهات دائمة لا تزول بزوال الإجهاد المؤثر. ومع زيادة الفترة الزمنية للطحن، تتزايد كثافة قــوى القص المؤثرة في حبيبات المادة، الأمر الذي تنجم عنه تشــوهات ضخمة بالشبكة البلورية للمادة، وانزلاقات شديدة بأعمدة وصفوف تلك الشبكة.

- **المرحلة الثالثة**: ومع زيادة الفترة الزمنية للطحن الميكانيكي، تتزايد كثافة تلك التشــوهات المتراكمة بالشبكة، مما يؤدي إلى ضعف في مقاومة المادة لها، فتقل قدرتها على اســتيعاب المزيد من الإجهادات المؤثرة، وينتهي الأمر إلى أن تخضع الحبيبات وتجنح في أن تتخلع على امتداد حدودها البينة، الفاصلة بينها وبين الحبيبات المتاخمة الأخرى، مكونة بذلك حبيبات أصغر حجما.



الشـكل (6 - 4): (أ) صور مجهرية أُخذت بواسـطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لعينة من سـبيكة $Nb_{50}Zr_{10}Al_{10}Ni_{10}Cu_{20}$ الفلزية بعد طحنها لمدة سـت ساعات، توضح المظهر الخارجي لحبيبات السـبيكة التي تكتلت بعضها مع بعض، لتؤلف حبيبة ضخمة، يصل مقياس بعدها القطري إلى أكثر من مليون نانومتر [15]. ويوضح الشكل (ب) صورة مجهرية أُخذت بواسـطة الميكروسكوب النافذ الإلكتروني، تبين تكتل حبيبات عنصـري التيتانيـوم Ti والكوبالـت Co بعضها مـع بعض لتكوين بنيـة اللُب الداخلي لحبيبة واحدة من حبيبات سبيكة $Co_{75}Ti_{25}$، طُحنت لمدة 12 ساعة [16].

- **المرحلـة الرابعـة**: ومــع زيادة الفترة الزمنية التي تتعرض فيها مســاحيق حبيبات المادة للطحن الميكانيكي المتواصل وازدياد الإجهادات الواقعة على الأسطح الخارجية للحبيبات، يزداد تفتت المساحيق لتصل أبعاد أقطارها الظاهرية إلى أقل من 400 نانومتر، كما هو مبين في الشكل (6 - 5 «أ») الذي يعرض صورة مجهرية أُخذت بالميكروسكوب الماسح الإلكتروني لمسحوق عينة من عينات سبيكة التيتانيوم بعد طحنها مدة 200 ســاعة. هذا في الوقت الذي تتزايد فيه أيضا الانهيارات داخل الشبكة البلورية للمادة، مما يؤدي إلى مزيد من تفتت الحبيبات وانفصالها بعضها عن بعــض، لتتكون بذلك حبيبات نانوية فائقة النعومة، تقل مقاييس أبعاد أقطارها عن 5 نانومترات (الشكل 6 - 5 «ب») [17].



الشكل (5 – 6): (أ) صور مجهرية أُخذت بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لعينة من حبيبات إحدى سبائك التيتانيوم الفلزية $Ti_{60}Al_{15}Ni_{10}Cu_{10}Zr_{10}W_{10}$ حُصل عليها بعد 200 ساعة من الطحن، باستخدام طاحونة كرات عالية القدرة. والصورة توضح المظهر الخارجي لحبيبات السبيكة، التي تقل مقاييس أبعاد أقطارها الظاهرية عن 500 نانومتر.

ويصور الشكل (ب) صورة مجهرية للبنية الداخلية لحبيبة من حبيبات السبيكة، كما يصورها لنا الميكروسكوب النافذ الإلكتروني، والتي توضح أنها تتألف من حبيبات فرعية دقيقة ذات أبعاد نانومترية، لا تتجاوز مقاييسها 5 نانومتر (17).

دمج مساحيق الحبيبات النانوية

تتمتع مساحيق حبيبات المنتج الناتج عن عملية الطحن الميكانيكي بعدة خواص مورفولوجية متميزة، تتمثل في نعومة أسـطحه وفي كروية أشكال حبيباته، ودقة مقاييـس أبعاد أقطار حبيباته ونعومتهـا الفائقة، وارتفاع نسبة قيمة مساحته السطحية مقارنة بحجمه. وتتمتع كذلك حبيبات المنتج النهائي بتجانس تركيبها البنائي والكيميائي.

وُتستخدم مساحيق الحبيبات النانوية بحالتها تلك وبالهيئة التي أُنتجت عليها ومن دون معالجة تُذكر، في كثير من التطبيقات التكنولوجية الهامة والرئيسية وتُعد عملية «رش ونفث» الحبيبات Spraying النانوية وترسيبها على سـطح المشـغولات والمنتجات في صورة طبقـات Layers أحادية أو متعـددة Multilayer، بهـدف وقاية أسـطح تلك المنتجـات من التعرض للتآكل عن طريق الصدأ Corrosion أو التآكل Erosion، أو بهدف تحسين الخواص الميكانيكية لأسـطح تلك المُعـدات وإضافة خواص أخرى متميزة لهـا، من أهم العمليات التكنولوجية التـي تجد لها تلك الحبيبات الناعمة استخدامات واسعة وعريضة.

ولعـل مجـال تغطيـة Coating الأسـطح الخارجية للعـدد والمعدات المستخدمة في عمليات استخراج المياه الجوفية من باطن الأرض، والبترول والغـاز، وكذلك في تبطـين الأسـطح الداخلية والخارجيـة لأنابيب نقل السوائل والغازات بشكل عام، أهم وأبرز المجالات التطبيقية التي تُوظف بها مسـاحيق الحبيبات النانوية. هذا بالإضافة إلى أن تلك المساحيق تُستخدم في عمليات تغطية أسطح مُكونات الأجهزة المُستخدمة بعمليات تحلية المياه المالحة Desalinations، علاوة على توظيفها في تبطين الأسـطح الداخلية من الوحدات المُستخدمة في عمليات تكرير زيت النفط Oil Refining.

وعلى الرغم من كل هذه الاسـتخدامات المتنوعة والمثيرة حقا لمساحيق الحبيبات النانوية الناتجة عن عملية الطحن الميكانيكي، فإن هناك العديد مـن المجالات الصناعية الأخـرى تتطلب في تطبيقاتها وجود جسـيمات صلبة عالية الكثافة تدخل كأجزاء Parts في مكونات Components المنتج النهائي Final Product. فمثلا، عمليات التشكيل التقليدية لسبائك المواد

بغرض تصنيع مكونات بعض الأجزاء الصغيرة جدا للماكينات والآلات، مثل التـــروس Gears، عملية مُعقدة وصعبة وفي الوقت نفســـه باهظة التكلفة، خصوصا إذا ما كانت الســـبائك والمواد المُصنعـــة منها تلك التروس تتمتع بصلادة عالية.

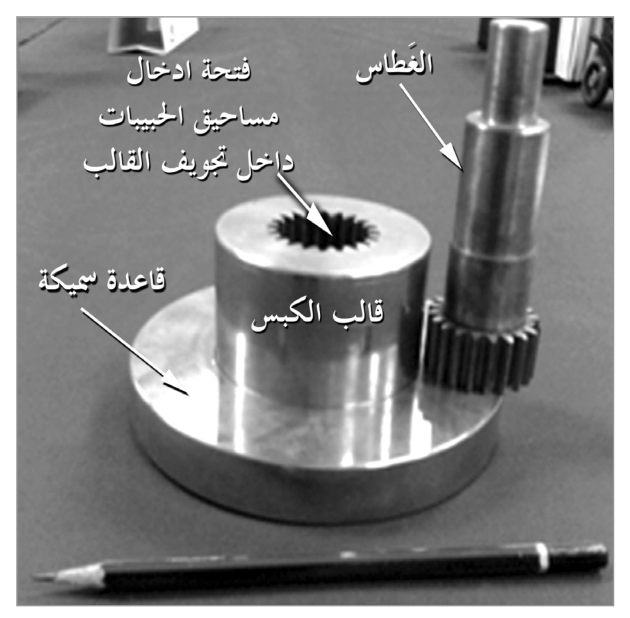
ومن ثم فإن عمليـــة دمج الحبيبات وتجميعهـــا Consolidation على صورة جســـيمات صلبة، تمثل ضرورة قصوى ومســـألة شديدة الأهمية. ومصطلح التجميع أو الدمج هذا يُستخدم للتعبير عن العملية التي تُجرى بواســـطة «المكابس الهيدروليكية» Hydraulic Presses للمساحيق بهدف دمجها معا وتشـــكيلها على هيئة جسيمات هندســـية منتظمة متماسكة، تلائم الغرض أو التطبيق الصناعي الذي صُنعت من أجله. ويُمكن تلخيص عملية كبس وتجميع المساحيق والحبيبات في عدة نقاط هي:

- يوضع مسحوق الحبيبات داخل قوالب Molds، تُصنع من مواد فائقة الصـــلادة، عالية المقاومة والتحمل Hard and Tough Materials، تعد من ســـبائك صلب العدد أو المواد السيراميكية. ويُصنع القالب المستخدم على الشكل الذي يُراد أن تُنتج عليه المساحيق، فيمكن أن تكون على هيئة تروس أو مكعبات أو أي أشـــكال أخرى مهما بلغـــت صعوبتها وتفاصيل تركيبها. ويعـــرض الشـــكل (6 - 6) نموذجا لإحدى هذه القوالـــب التي قام المؤلف بتصميمها واستخدامها في كبس وتجميع المساحيق النانوية لعدد من المواد المختلفة. وتظهر في الشـــكل أيضا أداة الكبس المُستخدمة والمعروفة باسم «الغَطاس» Plunger.

- بمجرد شـــحن قالب الكبس بمســـاحيق الحبيبـــات، يُدخَل الغَطاس تدريجيا إلـــى تجويف القالب، وذلك بواســـطة تطبيـــق الأحمال، تختلف قيمتها باختلاف مادة المساحيق المُراد كبسها وتجميع حبيباتها،

- للحصول على مُنتج نهائي صلب يتمتع بكثافة عالية، يُعاد تطبيق حمل الكبس Pressing Load مرات عديدة، قد تصل إلى عشرات المرات.

- بعد الانتهاء من الخطوة الســـابقة، يُترك الحمـــل على العينة لفترة زمنيـــة تختلف مدتها باختلاف المادة المُراد دمج حبيباتها. وبعد ذلك يُخرَج المُنتج النهائي الذي يكون صلبا ومتماسكا.



الشكل (6 - 6): صورة توضح الشكل الخارجي لقالب الكبس والغطاس، المستخدمين في عملية كبس وتجميع مساحيق الحبيبات النانوية فائقة النعومة [18].

هذا وتصنَّف عملية الكبس إلى نوعين هما:

- الكبـــس على البارد Cold Pressing، والتي يتم فيها كبس الحبيبات عند درجة حرارة الغرفة.

- الكبس على الساخن Hot Pressing، والتي يتم فيها كبس الحبيبات عند درجات حرارة أعلى من درجة حرارة الغرفة، لكن لا تزيد قيمها على نسبة 75% من نقطة انصهار المادة المُراد كبسها.

وقد انبثقت عن النوعين السابقين طرق أخرى متقدمة، من أهمها طريقة التلبيد المُنشط باستخدام البلازما Plasma Activated Sintering [19]، التي تتميز بسرعة إتمام عملية الكبس في زمن قياسي قصير لا تتجاوز مدته خمس دقائق [20].

وعلـــى الرغم من تمتع مســـاحيق الحبيبات النانويـــة بالكثير من الخواص المورفولوجيـــة المتميزة والتي تؤهلها لأن تُدمَج لتصنيع الأشـــكال الصعبة بالغة التعقيـــد، بيد أن عمليـــة كبس الحبيبات النانوية وتحويلها إلى أجســـام صلبة متماسكة، تُمثل تحديا كبيرا من التحديات التي تواجهها المواد النانوية وتطبيقاتها

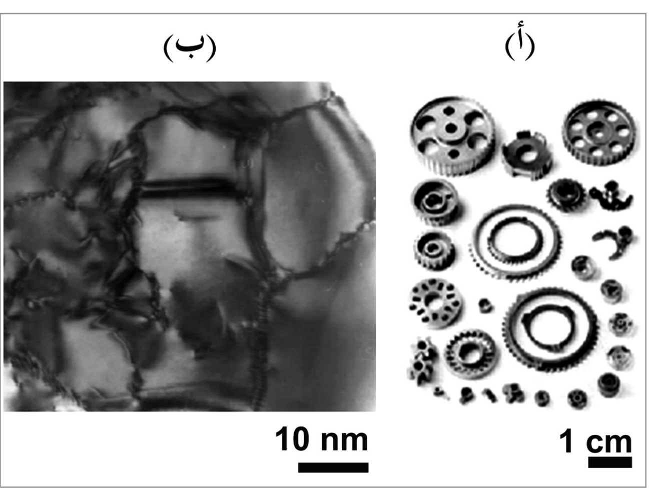
الصناعية. وهذه الصعوبة تتمثل في عدم تمتع مساحيق الحبيبات النانوية بشكل عام بثبات حراري Thermal Stability مرتفع، وهذا يؤدي إلى تضخم ونمو في مقاييس أبعاد حبيباتها النانوية التي تتميز بها، وذلك عند محاولة كبسها ودمج حبيباتهـا عند درجات الحرارة العالية. ونمـو الحبيبات Grain Growth يُمثل خطـورة على الخواص الفريدة لمواد النانو، حيث إنه يُعيد هذه الخواص إلى ما كانت عليه قبل عمليات التحضير، ومن ثم فهو يُفقدها خواصها المتميزة التي كانـت تتمتع بها المادة قبل خضوعها لهـذا النمو في الحبيبات. وإذا كان الأمر هكـذا، فلماذا لا تتـم عملية كبس ودمج الحبيبات عند درجـة حرارة الغرفة، باستخدام طريقة الكبس على البارد؟ في الواقع، أن طريقة الكبس على البارد لا تتناسب مع المواصفات المطلوب توافرها في المنتج النهائي لعملية الكبس، حيث إن مسـاحيق الحبيبات النانوية بما لها من مسـاحة أسطح ضخمة بالإضافة إلى تمتعهـا بمقاييس متناهية في الصغر، تُبدي مقاومة كبيرة لأحمال الكبس المُطبقة عليها، وهذا يؤدي إلى ضعف في صلابة وتماسـك المنتج النهائي بعد عملية الكبس كنتيجة طبيعية لانخفاض قيمة كثافته.

ويتمثـل التحدي في الرغبـة في الحصول على صفتـين متناقضتين يجب توافرهما معا بالمنتج النهائي بعد عملية الكبس، وهما: شرط ارتفاع كثافته لتكون أكبر من 99.5%، والشـرط الثاني هو تمتع البنية الداخلية للمنتـج النهائي بهوية حبيباتها النانوية متناهية الصغر. وهذا يعني حتمية استخدام طريقة الكبس على الساخن مع تلاشي أي نمو في الحبيبات، أو على الأقل عدم زيادة قيمة مقدار هذا النمو على حد معين.

وقد شـارك المؤلف وفريق عمله في الأنشطة البحثية والتطبيقية المعنية بتصميـم مكابس خاصة تلائم مسـاحيق حبيبات المـواد منخفضة الاتزان والثبات الحراري، ومن بينها المواد النانوية [19]. وهذا الاهتمام البحثي ينال الآن المزيد من الاهتمام من قبل العلماء والباحثين في مجال علوم وتكنولوجيا النانو بأرجـاء العالم. وقد قادت تلك الاهتمامات البحثية في هذا المضمار إلى كبس ودمج مسـاحيق الحبيبـات عند درجات حرارة عالية وخلال فترة زمنية قصيرة، يتم بعدها تبريد المنتج تبريدا سريعا من خلال تعريضه لتيار متدفق ومسـتمر من غاز الأرغون البارد، مما أدى إلى تجنب النمو والزيادة في مقاييس الحبيبات [21،20]. كما كُللت تلك المجهودات البحثية المستفيضة

والمســـتمرة طوال عشر سنوات بالنجاح في الحصول على منتجات هندسية متميـــزة تتمتع بهويتها النانوية من حيث مقاييـــس أبعاد حبيباتها الداخلية، وفي الوقت نفسه فهي تتميز بكثافتها العالية [22، 23]. هذا التحدي والتمتع بصعابه ومُخرجاته الواعدة، يتم من خلال هذه المكابس الخاصة.

ويبين الشكل (6 – 7 «أ») صورة فوتوغرافية لمجموعة من التروس مختلفة الأشـــكال والمقاييس تم تحضيرها من قبل مؤلف الكتـــاب عن طريق الكبس الخاص الساخن لمساحيق حبيبات كربيد التيتانيوم. وبفحص التركيب الداخلي لحبيبات هذه التـــروس، قد اتضح أنها تتمتع بمقاييس نانوية الأبعاد وبكثافة عالية، كما هو موضح بالشكل (6 – 7 «ب») الذي يعرض صورة مجهرية للُب العينة الداخلي، أخذت بواسطة الميكروسكوب النافذ الإلكتروني [14].



الشكل (6 – 7): (أ) صـورة فوتوغرافيـة تبين نمـاذج التروس والقطع الهندسـية المُختلفة المُستخدمة في تشغيل بعض الماكينات والآلات، التي أُنتجت عن طريق كبس ودمج مساحيق الحبيبات النانوية لكربيد التيتانيوم، السابق تحضيره بواسطة الطحن الميكانيكي. وتوضح الصورة (ب) صورة مجهرية أُخذت بواسـطة الميكروسـكوب النافذ الإلكتروني للُب عينة من التروس المنتجة، توضح احتفاظ الحبيبات بعد عملية الكبس بهويتها النانوية، حيث تبلغ متوسـط مقاييـس أبعاد أقطار تلك الحبيبات نحـو 35 نانومتر. وتبين الصورة (ب) أيضا، مدى تماسـك الحبيبـات المكونة للهيكل الداخلي للترس المُنتـج وغياب أي فجوات في هذا التركيب، مما يعني ارتفاعا في قيمة الكثافة النوعية للترس [14].

• تقنية الطباعة على الأسطح

بعـــد أن ناقشـــنا كيفية إنتاج مســـاحيق المـــواد النانويـــة وحبيباتها بتقنية الطحن الميكانيكي التـــي تعقبها عمليات الكبس والدمج للحصول علـــى مواد كتلية تتمتـــع بتركيب داخلي مؤلف مـــن حبيبات نانوية Bulk Nanostructured Materials، أقتـــرح أن ننتقل لنســـتعرض تقنية أخرى مختلفـــة، لكنها تقع تحت نفس الأســـلوب الخاص بإنتـــاج المواد النانوية من الأعلى إلى الأســـفل. ويُطلق على هذه التقنية اسم «طريقة الطباعة النانوية على الأســـطح (الليثوغرافي) Nanolithography». وأصل الكلمة هـــو Lithography، وترجمتها هي «الطباعة الحجرية» أي نحت ورســـم صـــور الأشـــياء Images علـــى الأحجـــار Stones وأوراق النباتات، مثل أوراق نبات البردي Papyrus ثم القيام بتلوينها باســـتخدام المواد الملُونة. وأود هنـــا أن أذكر القارئ الكريم بأنه منذ ابتكار أســـلوب الطباعة، فإن اســـتخدام مصطلح الطباعة الحجرية يرمز إلى الطباعة على الأســـطح الخارجية للأشـــياء كأسطح الأوراق باستخدام تقنيات الطباعة المتنوعة، مثل تقنيـــة الحبر النافث Inkjet Technique. ومـــن الجدير بالذكر، أن البنيـــة الهيكلية لرقائق Chip Structure أجهزة الحاســـبات الإلكترونية يتم إنتاجها بالفكرة نفســـها، ولكن عن طريق اســـتخدام طريقة الطباعة الحجرية الضوئية Optical Lithography أو الطباعة الحجرية بالأشعة السينية X-ray Lithography.

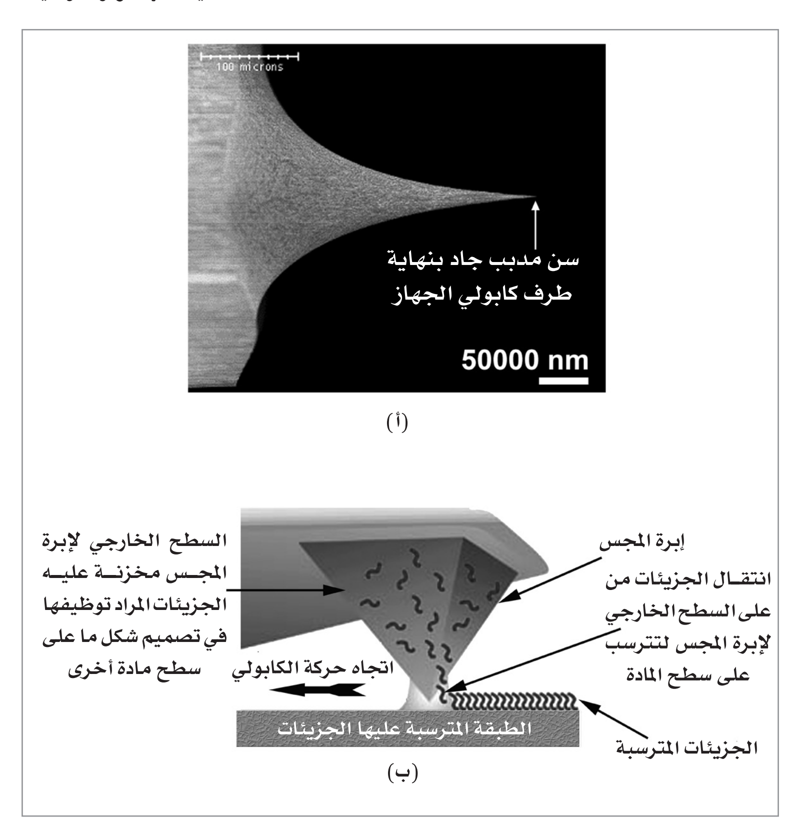
وبعيدا عن الطرق الموظفة في الطباعة الورقية والطباعة على أسطح الأكواب والأقمشـــة وغيرها وبكل ما لها من منتجات حديثة ومهمة، هناك طرق تم ابتكارها لنقل جزيئات أو ذرات مادة ما كي تترســـب على ســـطح مادة أخرى، وذلك بواسطة تقنيات تكنولوجيا النانو. وتتضمن تلك التقنيات عدة طرق وتقنيات أخرى فرعية مثل طريقة الشـــعاع الإلكتروني للطباعة النانويـــة Electron Beam Nanolithography وغيرهـــا، بيـــد أن تقنية الطباعة النانوية بواســـطة القلم المغمـــوس Dip Pen Nanolithography هي أوســـع الطرق انتشـــارا وأقلها تكلفة، لذا فقد رأيـــت أن أقدمها إلى القارئ الكريم وأشرح فكرتها وخطواتها، ولكن في إيجاز شديد.

• تقنية الطباعة النانوية بواسطة القلم المغموس

تقنيــة القلم المغموس Dip Pen تقنية معروفة فــي الطباعة التقليدية، يتم من خلالها تصميم أي شــكل يراد نقشه على أي سطح، تماما مثلما نفعل عند اســتخدامنا أقلام الحبر لرسم خطوط من الحبر على سطح الأوراق. لكن، ما الجديد في هذا الأمر؟ ولماذا سُميت هذه التقنية بالطباعة النانوية بالقلم المغموس Dip Pen Nanolithography (DPN)؟ الجديــد هــو أن تكنولوجيا النانو، عن طريق استخدامها إحدى أدواتها الرئيسية المهمة، وهي ميكروسكوب القوة الذرية Atomic Force Microscope (AFM)، اســتطاعت أن توظــف «الطرف الحاد الموجود في الطرف الســفلي لذراع – يطلق عليه اسم الكابولي Cantilever – الميكروسكوب، الذي يُعرف باسم إبرة المَجَس Tip Probe، لتنفيذ أعمال عمليات الطباعة النانوية متناهية الدقة على الســطح الخارجــي لمادة ما. وبالنظر إلى الشكل (6 – 8 «أ») [24]، الذي يعرض صورة مجهرية لإبرة المَجَس [25]، يتضح لنا أن مقاييس أبعــاد رأس هذه الإبرة لا تتعدى في ثخانتها 60 نانومتر. وهذه الأبعاد النانوية الدقيقة تُتيح لإبرة المجس القدرة على التعامل مع ذرات وجزيئات المادة والتلاعب بها، مستخدمة إياها في تنفيذ وتشكيل أعقد الأشكال النانوية وأكثرها دقة وصعوبة، وذلك بترسيبها على سطح أي مادة أخرى.

ويبــين الشــكل (6 – 8 «ب») ميكانيكيــة العمل بهــذه الطريقة، التي تتم من خلال اتخاذ الســطح الخارجي لإبرة المَجَس «كخرطوشــة الحبر» لتخزيــن ذرات أو جزيئات المادة المراد ترســيبها على ســطح مادة أخرى. وتقوم هذه الجزيئات بمهام «مــادة الحبر» في الطابعات، حيث تندفع من أماكنها بالســطح الخارجي للإبرة واحدة تلو الأخرى في عكس اتجاه ذراع الميكروسكوب (الكابولي) عند تحركه في اتجاه الرسم المُراد.

وبوجه عام، فإن تقنية الطباعة النانوية هي أدق الطرق وأكثرها انتشــارا وكفاءة في تصنيع المكونات الإلكترونية الدقيقة متناهية الصغر ذات الأشكال شديدة التعقيد، مثل الرقائق المُستخدمة صناعة الشرائح الإلكترونية، وكذلك فــي تصنيع أعقد أنواع النظم الكهربائية والميكانيكية، وذلك على المســتويين الميكرومتــري Microelectro Mechanical Systems (MEMS) والنانومتري Nanoelectro Mechanical Systems (NEMS).



الشكل (6 – 8): (أ) صور مجهرية بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني توضح شكل إبرة المَجَس الخاصة بميكروسكوب القوة الذرية (24). (ب) ميكانيكية عمل الطباعة النانوية في ترسيب الذرات أو الجزيئات على الطبقة الخارجية لسطح مادة ما بالشكل والتصميم المطلوبين [8].

- **نمط إنتاج المواد النانوية بأسلوب من الأسفل إلى الأعلى**

ننتقل في هذا الجزء لنستعرض بإيجاز الأسلوب الثاني والأخير في إنتاج المواد النانوية، وهو النمط المعروف باسم «الأسفل إلى الأعلى». وتعتمد فلسفة هذا النمط على تصميم Design الجهاز أو المُعدة النانوية المراد إنتاجها، ثم القيام بتفصيل (حياكة Tailoring

مكونات نسيج هيكلها الداخلي المكون من الذرات أو الجزيئات، بحيث يتم ترتيب وتشكيل هذه المُكونات، ذرة - ذرة، وجزيئا - جزيئا، ووضعها في هياكل نانوية محددة الأبعاد والأشكال، وفقا للبنية المراد الحصول عليها.

ويهدف هذا النمط الإنتاجي إلى الحصول على هياكل نانوية تتمتع بخواص وسمات غير متوافرة في المواد التقليدية الأخرى التي لها التركيب الكيميائي نفسه، الأمر الذي يعني إضافة وظائف جديدة متميزة وقدرات هائلة لهذه الهياكل عند دخولها كعناصر ومكونات أساسية في تصنيع الأجهزة النانوية المختلفة.

وفي إطار هذا الهدف، فإن نمط إنتاج المواد والأجهزة النانوية من خلال أسلوب «الأسفل إلى الأعلى» يتطلب توافر ثلاثة عناصر رئيسية هي:

- جزيئات المادة، والتي يُطلق عليها «لبنات البنية الجزيئية» (MBBs Molecular Building Blocks، تكون لهذه الجزيئات المُخلقة القدرة على الارتباط مع غيرها من جزيئات المواد الأخرى لتكوين تراكمات من الجزيئات يتم ترتيبها لتحتل أماكنها بالهياكل النانوية وفقا للنموذج المُصمم.
- توافر طرق ملائمة ودقيقة، نستطيع من خلالها استخدام تلك اللبنات الجزيئية في بناء الهياكل النانوية المراد تخليقها.
- القدرة على توظيف تلك الهياكل النانوية المُخلقة في تصنيع الأجهزة الدقيقة صغيرة الأحجام، والتي قد تصل مقاييس أبعادها إلى عدة ميكرومترات أو بعض ملليمترات.

وأود أن أشير هنا إلى أن هذا النمط الإنتاجي القائم على تجميع جزيئات بعينها واستخدامها كلَبِنات للبناء الجزيئي نانوي الأبعاد، المكون لهياكل المواد والأجهزة النانوية، يُعرف باسم تقنية التجميع الجزيئي Molecular Assembly. وتنقسم هذه التقنية إلى نوعين هما:

- التجميع الموضعي Positional Assembly، والتي يُطلق عليها أيضا مُسمى التجميع الآلي أو الروبوتي Robotic Assembly.
- التجميع الذاتي Self-assembly.

التجميع الموضعي

تشــير تقنية التجميــع الموضعــي Positional Assembly (تُعرف أيضا باســم التجميع الآلي أو الروبوتي Robotic Assembly) إلى تلك الأساليب المُســتخدمة للتحكم في البناء الذري للمــادة من خلال التلاعب في طريقة ترتيــب الذرات والجزيئــات ومواضعها في الهيكل الداخلــي للمادة. وتتيح تلــك التقنيات للمســتخدم أو الحرفي المتخصص في إعــادة صياغة البناء الذري للمادة، رؤية ومراقبة عمليات إعادة الهيكلة الذرية أو الجزيئية خطوة بخطوة، والتحكم في مجرياتها، وذلك على مستوى النانومتر الواحد، ووفقا لنموذج التصميم الذري الهيكلي المُراد الوصول إليه. ويجري الآن تطوير تلك التقنية ورفع قدرتها ودقتها في بناء أجهزة وآلات دقيقة وصغيرة للغاية.

منذ أن بدأت البشرية رحلتها مع تكنولوجيا النانو بالعقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي، داعب خيال العلماء والباحثين وهيمنت عليه فكرة التلاعب الفــردي بذرات وجزيئــات المادة وترتيبها على هيئة نماذج وأشــكال لتكوين البنية الداخليــة Internal Structure لهياكل الأجهــزة المُراد إنتاجها، مهما بلغــت أحجامها وكبرت مقاييس أبعادها أو صَغُــرت. وإن جاز التعبير، فقد كانــت هذه الفكرة بمنزلة الوحي الــذي تمخض عنه فكرة التصنيع الجزيئي Molecular Manufacturing، ويعود الفضل في ترسيخ مفاهيم وأسس ذلك الأســلوب النانوي من التصنيع الجزيئي، إلى العالم الشــهير ايرك دريكسلر Eric Drexler، وذلك في العام 1981[26].

ولا أدري، فيبــدو لي - ولعلني أكون مخطئا في هذا الاســتنتاج - أنه قد ســاء لبعض من علماء الكيمياء في تلك المرحلة المُبكرة لتكنولوجيا النانو، أن يروا أشــقاءهم الفيزيائيين وأولاد عمومتهم من علماء الهندسة وهم يقودون العالم نحــو ثورة حقيقية مؤكدة. كان هذا مُلاحظــا وجليا لنا عند حضورنا لجلسات أعمال المؤتمرات العلمية، الدولية منها وحتى المحلية، وذلك في فترة الثمانينيات من القرن الماضي. واســتفحل هذا الأمر وتعمق حين أخذ البعض منهم يتهكم تارة من الفكرة التي تقوم عليها تقنية التصنيع الجزيئي، ويسخر تارة أخرى من أسلوب تنفيذها العقيم البالغ التكلفة، ناسبين لأنفسهم السبق والفضل الأبدي الدائم منذ القدم، في التعامل مع ذرات المواد المختلفة لإنتاج جزيئات المئات بل الآلاف من المنتجات والمركبات الكيميائية المتنوعة.

وقد تجاوز الوسط العلمي العالمي الآن، ومنذ فترة، تلك المرحلة من النقاش العلمـــي الحاد، الذي وصل في كثير من الأحيان إلى حد «التراشـــق العلمي» بين علماء الكيمياء والأحياء من جهة، وبين علماء الفيزياء والهندسة من جهة أخـــرى. ومع النمو المتزايـــد لمنتجات تكنولوجيا النانـــو، ودخولها إلى ميادين التطبيقـــات الفعلية منذ نهاية القرن الماضي، هدأ النقاش بين الجبهتين حول «قضية النســـب» هذه، وبدأ علماء الكيمياء والأحياء في التعاون المثمر البناء مع أشقائهم من علماء الفيزياء والهندسة، الأمر الذي يقود العالم إلى تحقيق إنجازات أســـرع في مجال تطبيقات تكنولوجيـــا النانو. ومن الطريف أن هذا الجـــدل يبدو وكأنه قد صُدرَ من دول الريادة في عالم النانو، إلى الأوســـاط العلميـــة ببلدان العالم النامي، والتي دخلت حلبة «البحث العلمي النانوي» في الســـنوات الأخيرة الماضية. بيد أن هذا الجدل، حتى في بلدان عالمنا النامي قد بدأ في الانحســـار تدريجيا. وعلى المستوى الشخصي، أعتقد أن الكثيرين يشاركوني في هذا الرأي، فأنا من المؤمنين بأن علم وتكنولوجيا النانو أصبحا ملكا للجميع، فقد فتحت تكنولوجيـــا النانو الباب لنا، بتخصصاتنا المختلفة، للشـــراكة فـــي البحث العلمي، انطلاقا من أن لـــكل دوره، صغُرَ هذا الدور أو تعاظم وكبر، وأن لكل منا تخصصا دقيقا، ولا يوجد تخصص مهم وآخر غير مهم، فجميع التخصصات لها القدر نفســـه من الأهمية، ولكن علينا كعاملين في مجال البحث العلمي أن نحترم ونُقدر تخصصات الآخرين، قدر احترامنا وتقديرنا لتخصصاتنا. وأرى كذلك، أن نُحب العلم لذاته وأن نربأ بأنفسنا عن توظيفه لتحقيق أي مصالح شخصية أو فردية.

وأود هنا أن أوضح للقارئ الكريم الأســـباب التي أدت إلى نشوب الخلاف بين العلماء المُنتميين إلى أفرع العلوم الأساسية من الفيزياء والكيمياء والأحياء حول جدوى تكنولوجيا النانو وأحقيتها في أن توصف على أنها ثورة تكنولوجيا حديثة. لعلنا نتفق في البداية بأن مسألة تجميع ذرات المادة وجزيئاتها لتشكيل مُنتج ما، بغض النظر عن حجمه أو مقاييس أبعاده، هي وســـيلة معروفة تقوم علىهـــا كل طرق التصنيـــع، الحديث منها والقديم. وذلـــك لأن المواد الأولية الداخلـــة فـــي تصنيـــع أي مُنتج، هي في الأســـاس مؤلفة مـــن مجموعة من الـــذرات أو الجزيئات، تجمعت وتفاعلـــت بعضها مع بعض لتعطي في النهاية

هيــكل المادة المطلوب الحصول عليه. بيــد أن كل هذه الطرق التقليدية، حتى الحديثة منها والمستخدمة في صناعة رقائق الأجهزة الإلكترونية على مستوى الإنتاج الصناعي، تعبر بشــكل صارخ عن عجزها في فرض هيمنتها الكاملة على الترتيب أو النســق الذري داخل هيكل المُنتــج - وفقا لطموحات العلماء والباحثين - وعدم قدرتهــا على تأهيل تلك الذرات لأن تحتل مواقع محددة، مرتبة ومنتظمة بداخل الهيكل الذري للمادة.

وكان للكيميائيين الســبق في توظيف ذرات أو جزيئات المواد المختلفة من أجــل تخليق Synthesis هيــاكل ذرية أو هياكل جزيئيــة مؤلفة من ذرات أو جزيئــات تلك المواد. تقوم الطرق الكيميائية بتخليق تلك الهياكل النانوية، عن طريق خلط Mixing المحاليل المختلفة المحتوية على ذرات أو جزيئات عناصر أو مركبات يُراد اســتخدامها كوحدات بناء الهياكل النانوية للمنتج. ويتيح هذا الخلــط الفرصة لتلك الذرات أو الجزيئات في التحرك داخل المزيج، وتطوف هائمة فيه باحثة عن جزيئات المادة الأخرى، عســى أن تصطدم بها فتتفاعل معهــا أو تصادقها فتلتصق بها مكونة في ذلك جزيئات مركب مادة جديدة له هياكل ذرية محددة.

ويرى الفيزيائيون وعلماء هندســة المواد، في أن الجزيئات الناتجة عن تلــك الطرق الكيميائيــة تحتل مواقعها في البنية النانوية للمادة الناشــئة بأســلوب عشــوائي Random Fashion تغلب علــيه الفوضى ويغيب عنه الترتيــب والنظام. ويرون كذلــك، أن طرق التصنيــع الجزيئي عن طريق التعامل المباشــر مع ذرات المادة أو جزيئات المركب، تُتيح لنا التحكم المُتقن في وضع Placing تلك الجزيئات بمواقع محددة ومُختارة بالهيكل النانوي للمادة، وذلك بواسطة سلسلة من الخطوات فائقة الدقة.

وأود أن أشــير هنــا إلى أن طريقــة التجميع الموضعي المســتخدمة في ترتيب الــذرات أو الجزيئات بهيكل المادة المراد الحصول عليها، يغيب عنها «شبح» وقوع تفاعلات أخرى غير مقصودة أو غير مرغوب فيها Undesired Reactions، كمــا يحدث في كثير مــن الأحيان عند مزج أو خلط مركبين أو أكثر بالطرق الكيميائيــة التقليدية. وتؤدي تلك التفاعلات غير المرغوب في حدوثها بطبيعة الحال إلى تكون جزيئات لمركبات غير مرغوبة، تخلق لأنفسها

مواقع بالهيكل الجزيئي للمنتج، الأمر الذي يؤدي إلى حدوث خلل في خواص المُنتــج واضطراب في أدائه عند التطبيق. بيد أن التقدم المســتمر والتطوير في اســتخدام التقنيات والوســائل المتقدمة في عالم الكيمياء، قد أدى إلى انحســار تلك الســلبيات القائمة، وزيــادة في دقة الترتيــب الجزيئي داخل الهياكل النانوية، علاوة على سهولة الأسلوب وانخفاض تكلفته الإنتاجية.

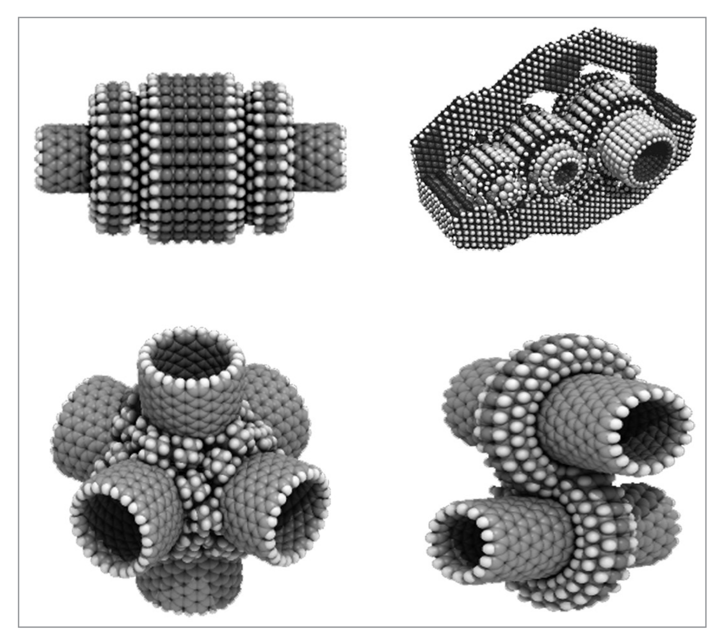
• التصنيع الجزيئي

ظلــت احتمالية الفشــل في تحويل فكرة تصميم وتصنيــع هياكل الأجهزة النانوية من مجرد حلم أو خيال إلى واقع وحقيقة، بمنزلة كابوس يقض مضاجع علماء الفيزياء ويؤرقهم، وذلك لأن الفشــل في تحقيق هذه الفكرة معناه عملية إجهاض مبكرة لكل ما يتعلق بعلم وتكنولوجيا النانو! هذا بالإضافة إلى أن هذا الفشل كان سيقود إلى حرمان البشرية من تلك الطائفة العريضة من المُنتجات النانوية المُبتكرة التي نستخدمها اليوم، الأمر الذي كان سيمثل لطمة قوية وخيبة أمل للقطاعات التطبيقية المختلفة، وعلى الأخص قطاع الطب والدواء.

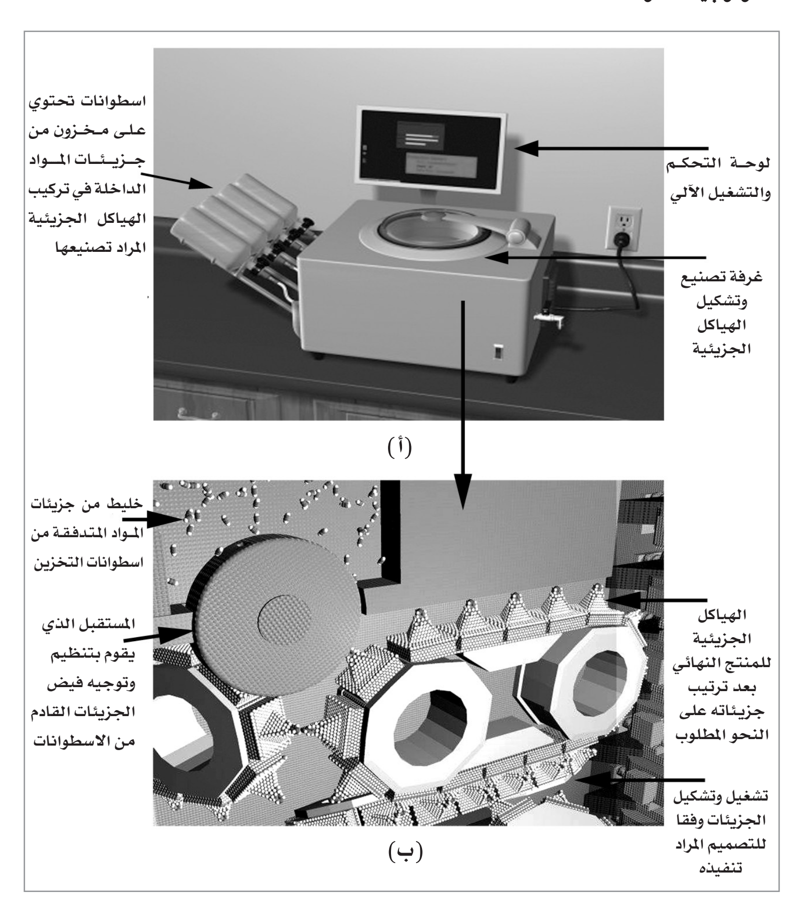
كما ذكرنا سلفا، فقد فاجأ «ايرك دريكسلر» مجتمع البحث العلمي باقتراح عبقري، تقدم به من خــلال عرض ورقة بحثية «تاريخية»، وذلك ضمن أعمال مؤتمر «أكاديمية العلوم الوطنية» بالولايات المُتحدة الأمريكية لعام 1981، وقد اقترح في هذه الورقة فكرة تقنية التصنيع الجزيئي لأي مُنتج، تلك الفكرة القائمة على فلســفة تكنولوجيا النانو في الإنتاج والتصنيع القائم على ذرات وجزيئات المــادة. وقد بين في بحثه هذا كيف أن «آلات تصنيــع الجزيئات» Molecular Machinery الموجودة في «النُظم الحية» Living Systems تثبت بوضوح جدوى القيام بمحاكاة تلك الماكينات عن طريق تقنيات «الهندســة الجزيئية المُتقدمة» Advanced Molecular Engineering التي تُمكننا من إنتاج ماكينات اصطناعية Artificial مشابهة، نستطيع بواسطتها تنفيذ أدق وأعقد التصميمات الجزيئية المرغوب في إنتاجها، وذلك بدقة النانومتر الواحد.

وقد أعطى دريكســلر في عرضه هذا تصميمــا لجزيئات البروتين المُخلــق، اعتبره الطريق إلى تصميم وتنفيذ جميــع التركيبات الجزيئية الاصطناعية لجميع المواد، بما فيهــا الخلايا الحية، والبداية الحقيقية

للتلاعب في ذرات وجزيئات المادة بهدف تشكيل هياكلها الذرية أو الجزيئية بدقة متناهية. وقد أثرى دريكسلر مجتمع البحث العلمي، بتصميمات هندسية لعديد من المُنتجات النانوية الدقيقة مثل التروس والجلب Bearings ووصلات التشغيل، قام بوضع تصميماتها باستخدام برامج المحاكاة الخاصة بتصميم الهياكل الذرية والجزيئية. ويعرض الشكل (6 - 9) بعض هذه النماذج، التي من المُعتقد إنتاجها بواسطة الهندسة الجزيئية خلال السنوات العشر المقبلة، أو قبل نهاية العام 2025 على أقصى تقدير. ويبين الشكل (6 - 10) رسما تخطيطيا افتراضيا لما سوف يكون عليه «المصنع الجزيئي» Molecular Factory، الذي هو عبارة عن ماكينة صغيرة يتم بداخلها تصنيع وتشكيل الهياكل الجزيئية المُراد تصنيعها.



الشكل (6 - 9): نماذج لتروس وجلب ووصلات تشغيل، تم وضع تصميماتها الافتراضية المبينة في الشكل بحيث تتألف مكونات هياكلها من مئات من جزيئات المواد المُختلفة التي من المُنتظر أن يتم ترتيبها على هذا النحو بواسطة آلات تصنيع الجزيئات المبينة في الشكل التالي [27].



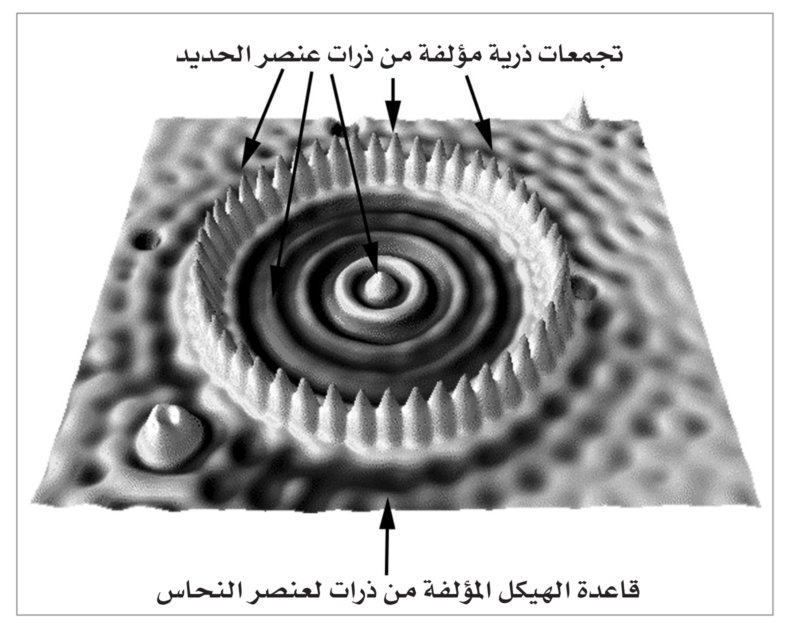
الشكل (6 - 10): (أ) نموذج افتراضي لما سوف تكون عليه ماكينة تصنيع هياكل الجزيئات، التي تستقبل جزيئات المواد الأولية المكونة لهياكل المنتجات المراد تصنيعها، وذلك من خلال أسطوانات مشحونة بجزيئات تلك المواد. ويتم داخل هذه الماكينة تصنيع وتشكيل تلك الجزيئات وترتيب أماكن وجودها في الهياكل المُراد إنتاجها، وذلك بواسطة برامج تشغيل آلية. ويبين الشكل (ب) مقطعا داخليا لماكينة تصنيع الجزيئات المبينة في (أ) حيث يتم داخلها ترتيب وتنظيم جزيئات المواد المندفعة من الأسطوانات، وذلك من خلال توظيف عدد من الأدوات النانوية الدقيقة. والشكل ككل يمثل الوضع الافتراضي الأكثر احتمالا لما سوف تكون عليه «مصانع النانو» الخاصة بتصنيع الهياكل الجزيئية القائمة على فكرة مؤسس هذا الاتجاه، البروفيسور إيرك دريكسلر [26] (قام مؤلف هذا الكتاب بإضافة الشرح على الشكل الأصلي الموجود بالمرجع رقم 26).

ويعتقد العلماء، أن التقدم المستمر في قدرة ودقة الأجهزة المُستخدمة على التلاعب بذرات وجزيئات المواد المختلفة، وإعادة ترتيب أوضاعها الداخلية وأماكن وجودها في شبكات الهياكل الداخلية للمادة، سوف يثمر مما لاشك فيه عن إعادة صياغة الترتيب الذري للمواد الصلبة، مما يعني القدرة على الحصول على صور عديدة من المادة الواحدة، تتباين في خواصها وسماتها، على الرغم من توحد صيغتها الكيميائية. ومن المأمول والمُنتظر أيضا، توظيف تقنيات إعادة الترتيب الذري والجزيئي للحصول على الماس Diamond وذلك بإعادة ترتيب ومواقع ذرات الكربون داخل شبكتها البلورية، لتكون على النهج الذي تسلكه ذرات الماس في بناء الشبكة. وسوف نتمكن كذلك من إنتاج شرائح أجهزة الحواسب الآلية عن طريق التلاعب بالبنية الداخلية لمادة السيليكا (المُكون الرئيسي لرمال الصحراء) والهيمنة على مكوناتها الداخلية، وذلك عن طريق إضافة نسب ضئيلة من ذرات عناصر أخرى من المواد.

ولم تمض سنوات كثيرة على مقترح التصنيع الجزيئي الذي تقدم به دريكسلر في العام 1981، حتى قام أربعة من العلماء المتخصصين في شركة IBM باحتضان هذا المقترح وابتكار نوع آخر من الميكروسكوبات يعُرف باسم الميكروسكوب النفقي الماسح Scanning Tunneling Microscope (STM) وينتمي هذا الميكروسكوب، الذي قد عرضنا رسما تخطيطيا له في الشكل «6 - 1»، لنفس عائلة ميكروسكوبات المسبار الماسح Scanning Probe Microscopes التي تضم ميكروسكوب القوة الذرية، الذي سبق أن تحدثنا عنه سلفا. وكما ذكرنا في الفصل الأول من الكتاب فقد نجح هؤلاء العلماء في توظيف الإبرة الدقيقة الموجودة بهذا الميكروسكوب النفقي الماسح (تُسمي المَجَس أو المسبار) من التقاط ذرات عنصر «الزينون» الخامل وتحريكها بدقة متناهية لإعادة ترتيبها واحدة تلو الأخرى على سطح بارد من فلز النيكل، لتشكل معا شعار الشركة مكتوبا بحروف قوامها ذري وأبعادها نانوية (الشكل 1 - 7).

وقد برهنت نتائج التجارب المُجراة، على قدرة هذا الميكروسكوب في أن يقوم بدور بارز في تجميع عدد ضخم من الذرات الخاصة بمواد مختلفة، لها خواص متباينة، وذلك في إطار بنية نانوية Nanostructured لهيكل ذري واحد. وأود هنا أن أوضح أن هذا البناء الهيكلي الذري المؤلف من عدد ضخم من ذرات المواد المختلفة يؤدي إلى تكوين هياكل ذرية تتمتع بخواص فريدة، حيث تجتمع فيها العديد من الخواص المتناقضة التي يستحيل تجمعها في هيكل ذري واحد. فعلى سبيل المثال، يعرف عن عنصر النحاس قدرته الفائقة على التوصيل الكهربي والحراري، ولكنه لا يتمتع بصلادة كافية تؤهله لكي يتم استخدامه منفردا بالتطبيقات التي تتعرض فيها أسطح قطع التشغيل لعوامل تؤثر في استقرار السطح وعدم خضوعة للتشكل والتشوه في أثناء التشغيل. لكن ماذا لو أضفنا نسبة معينة من ذرات فلز الحديد، المعروف بضراوته في التصدي للإجهادات الخارجية والذي يتمتع في الوقت ذاته بخواص جيدة في توصيله للحراة والكهرباء، إلى الهيكل الذري المؤلف من ذرات عنصر النحاس؟ ألن يوفر هذا في تقديم هياكل ذرية لمواد نانوية جديدة تتمتع بخواص التوصيل المتميز وكذلك تتحلى بمقاومتها الفائقة للإجهادات والصمود أمامها؟ هذا بالفعل هو ما قام به فريق آخر من العلماء في العام 1993[28، 29]، حين تلاعبوا بذرات العنصرين بواسطة جهاز الميكروسكوب النفقي الماسح، ليقدموا بذلك منظومة ذرية فريدة مؤلفة من ذرات عنصري النحاس والحديد (الشكل 6 - 11) تتمتع بخواص فيزيائية وميكانيكية غير مسبوقة.

ومن ذلك الحين، انضم هذا الميكروسكوب إلى تلك الأدوات المهمة التي نطلق عليها اسم المُجمعات (يُقصد هنا مُجمعات الذرات أو الجزيئات) Assemblers. وعلى الرغم من التقدم المستمر منذ ذلك التاريخ إلى يومنا هذا، بيد أن الطريق ما زال طويلا أمام التطبيقات الصناعية الفعلية لتلك التقنيات المُتقدمة في إنتاج مواد نانوية بهذه الكيفية. هذا على الرغم مما يشاهده قطاع الصناعات الإلكترونية من طفرة حقيقية في تجميع الشرائح الخاصة بالأجهزة الإلكترونية عن طريق بعض من تلك التقنيات.



الشكل (6 - 11): صورة مأخوذة بواسطة الميكروسكوب النفقي الماسح لمتراكبة هيكل ذري مؤلفة من ذرات عنصر النحاس المُغطاة بطبقات نانوية مكونة من ذرات عنصر الحديد [28] أضاف مؤلف هذا الكتاب الشرح على الشكل الأصلي الموجود بالمرجع الرقم 28.

• مزايا وعيوب تقنيات ميكروسكوبات المسبار الماسح في عملية التجميع الموضعي

أود في هذا الجزء أن أضع بين يدي القارئ الكريم مقارنة أعددتها لبيان مزايا وعيوب استخدام تقنيات ميكروسكوبات المسبار الماسح بنوعيه في عملية التجميع الذاتي للذرات أو الجزيئات وتكوين الهياكل الذرية أو الجزيئية للمُنتج.

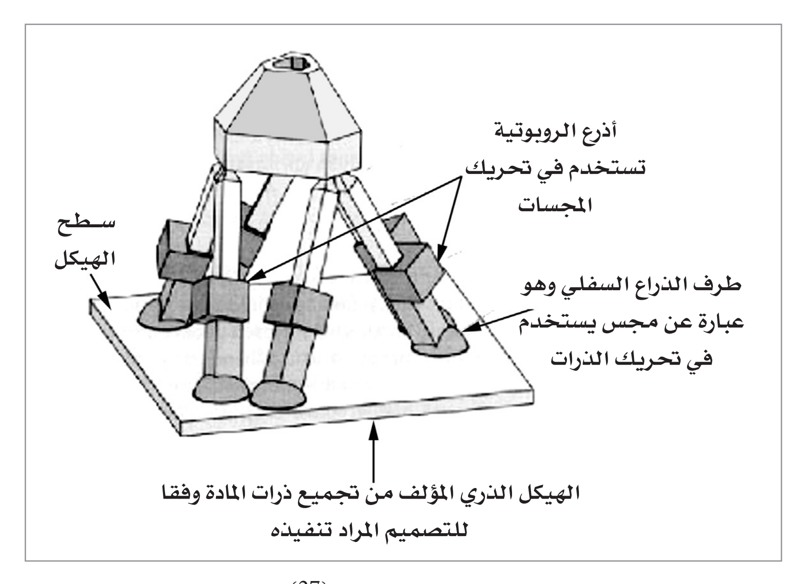
○ المزايا

- القدرة على التعامل مع الذرات أو الجزيئات الفردية، وتحريكها من مكان إلى آخر وترتيب أماكن وجودها وفقا للتصميم الموضوع.
- القدرة الفائقة على بناء هياكل ذرية لأشكال هندسية منتظمة ودقيقة على هيئة دوائر نانوية الأبعاد، لا تزيد أبعاد أقطارها على قطر الذرة الواحدة.

○ **العيوب**

- العيب الوحيد الذي يمكن أن يصم - إن جاز التعبير - هذه الطريقة بوضعها الحالي، هو أن تجميع الذرات والجزيئات لتشكيل الهياكل المطلوبة، بطيء جدا، مما يحد من استخداماتها على مستوى الإنتاج الصناعي. وهذا لا يمنع بالتأكيد من استخدامها في تصنيع الهياكل الجزيئية لبعض الأجهزة الدقيقة التي لا يتم إنتاجها بكميات ضخمة.

وفي رأيي الشخصي المتواضع، فنحن لا نزال نحتاج إلى مزيد من الجهد والعمل المتحليين بالصبر لإنتاج أجهزة تجميع للذرات والجزيئات ذات قدرة إنتاجية عالية، بحيث تحتوي على أذرع روبوتية Robotic Arms عديدة، تشبه تلك الأذرع الموجودة في ميكروسكوب القوة الذرية وتتسق مع التصميم الذي وضعه لنا دريكسلر (27) (الشكل 6 - 12)، لنتمكن بها من مضاعفة قدرة تلك الأجهزة على تجميع الذرات وترتيبها لنؤلف بها الهياكل الذرية أو الجزيئية على المستوى الصناعي الضخم. وفي إطار المتابعة اليومية للأبحاث المتعلقة بهذا الموضوع، وفي ظل هذا النمو المتزايد والتطور المذهل الذي تشهده تقنية التجميع الموضعي، ومع اتباع أسلوب المحاولة والخطأ، فإنني على ثقة بأن هناك كثيرا من الإنجازات التي سوف تتحقق مع ابتكار أنواع جديدة ومتطورة من أجهزة التجميع الذري الموضعي أو الجزيئي، وتطوير أداء الأجهزة المستخدمة حاليا. وكما قال لنا الأب الروحي لعلم وتكنولوجيا النانو - إن جاز لي استخدام هذا التعبير - البروفيسور ريتشارد فينمان: «وفقا لما أفهمه وأستطيع إدراكه، فإن أسس وقواعد الفيزياء، لا تقف عائقا أمام تحقيق المناورة بالأشياء، ذرة تلو الأخرى» (30). ويقصد فينمان في جملته هذه أنه حيث لا يوجد أي تناقض علمي أو خروج عن مألوف قواعد الفيزياء الحديثة ومفاهيم ميكانيكا الكم، فلا يوجد ما يوقف محاولاتنا ومناوراتنا الخاصة بإيجاد الحيل والسبل التي تؤهلنا إلى تحريك الذرات واستخدامها لبنات بناء الهياكل الذرية للمواد.



الشكل (6 - 12): تصميم مُبسط قام به دريكسلر [27] ليوضح فكرته في إنتاج أجهزة ضخمة روبوتية الأذرع، لها القدرة على تحريك ثلاثة ملايين من الذرات وترتيبها وفقا لنموذج الهيكل المُراد تنفيذه (أضاف مؤلف هذا الكتاب الشرح على الشكل الأصلي الموجود في المرجع الرقم 27).

وقد عبر البروفيسور «مارفن لي منسكي» Marvin L. Minsky - أحد أبرز علماء العالم شهرة في مجال الذكاء الاصطناعي - بدوره عن موضوع التجميع الموضعي الجزيئي للذرات والجزيئات في مقولة شهيرة، قال فيها: «لنفترض أننا بصدد عمل نموذج طبق الأصل لماكينة مثل المخ، الذي يحتوي على تريليونات من المكونات والأجزاء المختلفة، فإننا، وعلى الرغم من تسلحنا بالمعرفة المطلوبة، لا نستطيع الآن تحقيق هذا الإنجاز لبناء كل مكون من تلك المكونات في صورة فردية. ولكن، لو تصورنا أن لدينا ملايين الأجهزة والمعدات التشييدية القادرة على بناء آلاف المكونات في الثانية الواحدة، فإن مهمتنا لن تستغرق إلا دقائق معدودات فقط» [31].

• التجميع الذاتي

علـــى الرغم من الإبداع التقني الابتكاري الذي تتمتع به تقنيات طريقة التجميــع الموضعي، فإن ترتيــب الذرات والجزيئـــات وتوزيعها واحدة تلو الأخرى بغرض تجميع شـــكل الجهاز المـــراد المكون من هياكل نانوية البنية Nanostructured، يتطلـــب جهـــدا كبيرا ولكثير مـــن الوقت. وفي كل مرة نصنع فيها هياكل الأجهزة النانوية، نكرر محاولاتنا مرات ومرات من أجل فرض إرادتنا التقنية على تلك الأشـــياء المتناهيـــة في الصغر (الذرات أو الجزيئات)، والتلاعب بها وتشكيل تجمعاتها على النحو الذي نريده نحن.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو، أليس من الأجدى - على الأقل في الوقت الراهن - إذا ما تمكنا تشكيل البنية النانوية المراد الحصول عليها بمجرد خلط محلولين من محاليل المواد الكيميائية - تتركب أساسا من ذرات أحادية - ونتركها كي تقوم بإدارة شؤون تصادم جزيئاتها بعضها ببعض وتصميم الهياكل النانوية المطلوبـــة من الجزيئـــات الناتجة من تفاعلاتها الكيميائيـــة؟ بالتأكيد، الإجابة سوف تكون بـ «نعم»، لأن ذلك يعني توفير الوقت والجهد والتكلفة الخاصة ببناء هياكل الأجهزة النانوية، وضمان إعادة تصنيعها بالمواصفات والكيفية نفسها، ما يعني تلافي الأخطاء الشخصية Personal Errors وتفادي «الملل التقني» الذي يصحب اتباع أسلوب «المحاولة والخطأ».

وبالطبع لم يكن تســـاؤلي في الفقرة الســـابقة غائبـــا عن فكر وجهد العلمـــاء الذيـــن أثمـــرت جهودهم فـــي ابتكار طريقـــة كيميائية خاصة وعمليـــة، تقوم على فكرة مـــزج وتفاعل ذرات المركبـــات النانويـــة لإنتـــاج جزيئـــات تكون البناء الرئيســـي للهياكل النانوية، عُرفت باســـم التجميع الذاتـــيSelf-Assembly، وقد تكون الكلمات، المحفورة في ذهني منذ أن كنت طالبا في مرحلة الماجستير، التي قالها العالم الفرنسي الكيميائي، البروفيســـور «جان ماري لـــين» Jean-Marie Lehn الحاصل على جائزة نوبـــل في الكيمياء العام 1987، حين وصف الكيمياء في كلمات بســـيطة وعميقة، بأنها: «اســـتجواب للماضي، واستكشاف للحاضر، وبناء جسور المســـتقبل»، لربما كانت هذه الكلمات هي التي شحذت همم الكيميائيين، وألقـــت مهمة تصنيع هياكل ذرية وجزيئية فـــي ملعبهم، خصوصا بعد أن

أدركوا تلك الخطوات المتعثرة البطيئة التي يسير بها رفاقهم ومنافسوهم من علماء الفيزياء في إنجاز المهمة نفسها! إنه لتنافس رائع ومحمود، يهدف إلى تطور الإنسان وتحسين ظروف حياته ومعيشته.

ويمكننا أن نضع تعريفا سهلا وبسيطا لتقنيات التجميع الذاتي حين نصفها بأنها تلك العمليات التي تكوِّن خلالها مجموعة من الذرات أو الجزيئات بشكل تلقائي تجمعات منتظمة من الجزيئات لتكوين الهياكل الجزيئية المراد الحصول عليها. وتقوم تقنية التجميع الذاتي على أساس أن الجزيئات المكونة لتلك الهياكل، تسعى دائما إلى أن تكون مستقرة وأن توجد بأقل مستويات ممكنة من الطاقة المتاحة. ولتحقيق هذا الاستقرار، فإنها تسعى إلى الارتباط بالجزيئات الأخرى المتاخمة لها، أو بعبارة أخرى تسعى إلى تكوين لبنات الهياكل النانوية بتجميعها مع جاراتها من الجزيئات الأخرى، ما يحقق لها الاستقرار. وهناك عدد كبير من الجزيئات الكبيرة في الطبيعة تقوم بتكييف وضبط مواضعها ومواقعها في الهياكل الجزيئية وذلك عن طريق عملية التجميع الذاتي. وتُعد جزيئات البروتينات والدهون والغرويات Colloids عموما، أمثلة شهيرة لتلك الجزيئات كبيرة الأحجام التي تُجمِّع نفسها لتبني هياكلها الجزيئية المعروفة لنا.

وتهدف تكنولوجيا النانو إلى فرض سيطرتها على الجزيئات كي تتجمع بصورة ذاتية وفقا لتصميم جيد ورقابة مُحكمة على تلك الجزيئات، وذلك من أجل الحصول على الهياكل الجزيئية المُراد تنفيذها. وليس ثمة شك في أن بمقدورنا الحصول على هياكل نانوية إذا ما وظفنا ما توفره الطبيعة والفطرة لتلك الجزيئات بأن تتجمع بعضها مع بعض بأسلوب ذاتي وتلقائي، توظيفا سليما يمكننا من إنتاج مجموعة ضخمة من هياكل المواد النانوية تتمتع بخواص فيزيائية وكيميائية مرغوب فيها. وعلى الرغم من العشوائية، أو في عبارة أخرى عدم التجانس في تنظيم وترتيب الجزيئات الذي يغلب على تجمع تلك الجزيئات بعضها مع بعض، غير أنه يمكن استغلال هذا في إنتاج هياكل نانوية لمواد جديدة تتمتع بخواص فريدة لا توجد في أي مواد أخرى. وهناك عدد من العوامل المهمة [32] المسؤولة عن كمال عملية التجميع الذاتي وتحقيقها للمهمة المطلوبة منها بنجاح، نوجزها فيما يلي:

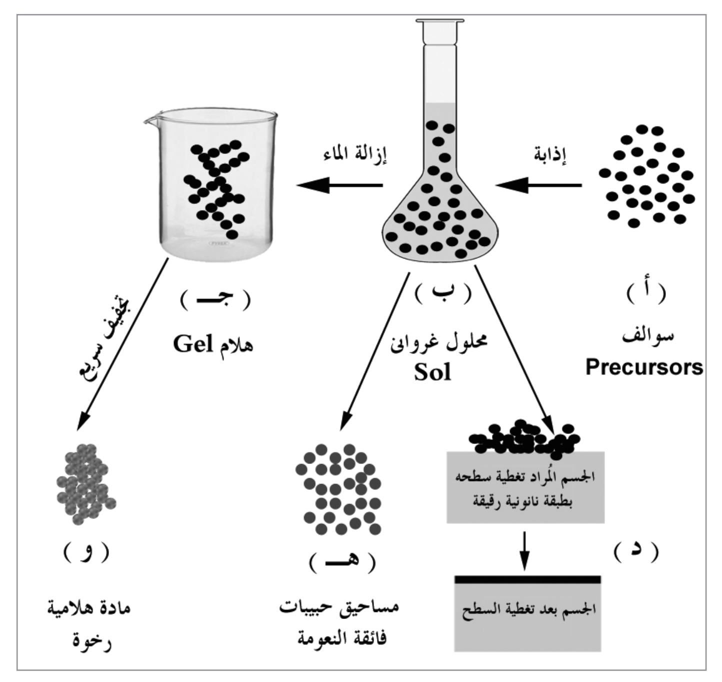
- طبيعة الجزيئات المُستخدمة وخواصها.

- التفاعل بين الجزيئات Intermolecular Interactions.
- المعكوسية أو ارتداد التفاعل وانقلابه إلى الوضع الذي كان عليه بالبداية Reversibility.
- قدرة الجزيئات على الحركة Molecular Mobility.
- الوسط التي تتم فيه العملية.

• طريقة الصول - جل (غروي - هلام)

تعد هذه الطريقة إحدى الطرق المنبثقة عن تقنيات «الكيمياء الرطبة» Wet Chemistry – التي تستخدم السوائل خلال التحضير – حيث يتم توظيفها في إنتاج طائفة عريضة من غرويات Colloids المواد العضوية وكذلك المواد غير العضوية لأنواع مختلفة من المواد، وعلى الأخص أكاسيد المواد الفلزية. وتُعتبر طريقة «الصول – جل» صديقة للبيئة، حيث لا تتخلف عنها أي منتجات ضارة بالبيئة [33]. ولمزيد من التفاصيل حول ماهية هذه الطريقة ونشأتها والتطورات التي أُدخلت عليها، يمكن للقراء المهتمين في الاطلاع على مؤلفات وفيرة في هذا الميدان. على سبيل المثال، أرشح اثنتين من أمهات المراجع [34، 35]، تتوافر بهما المفاهيم الأساسية لهذه الطريقة، والتي قلما تخلو منهما المكتبات الشخصية لعلماء هذا الفرع من العلوم [36].

وقد رأيت عند كتابة هذا الجزء الخاص بوصف عملية «الصول – جل» أن أستعين برسم توضيحي قمت بإعداده، ليصف المراحل المختلفة من خطوات إنتاج هياكل المواد النانوية. وتبدأ هذه الطريقة، في إذابة مساحيق حبيبات المواد الأولية سابقة التحضير، والتي يُطلق عليها السوالف Precursors (الشكل 6 – 13«أ»)، وهي غالبا ما تكون من الأكاسيد الكحولية Alkoxides للمواد. ونتيجة للتفاعلات المصاحبة لإذابة السوالف في المحلول، يتكون ما يعرف باسم «الصول Sol أو المحلول الغرواني»، وهو أشبه بمائع تُعلق به رواسب لحبيبات نانوية فائقة النعومة كما هو موضح في الشكل (6 – 13 «ب»). وعلى النقيض مما هو مبين بهذا الشكل، ونظرا إلى نانوية مقاييس أبعاد تلك الغرويات، فلا يمكننا في الواقع أن نرى تلك العوالق النانوية الأبعاد أو أن ندرك وجودها بالمائع، إلا من خلال الفحص بواسطة أجهزة التكبير العملاقة من الميكروسكوبات الإلكترونية عالية التكبير والدقة.



الشكل (6 - 13): رسم تخطيطي مبسط يبين مراحل إنتاج المواد النانوية من خلال طريقة «الصول - جل» الكيميائية، التي تُعد الطريقة الأولى المُستخدمة في إنتاج كميات ضخمة من مواد النانو على النطاق الصناعي.

ونستطيع استخدام «الصول» الناتج من عملية الإذابة هذه، لتشبيع وغمس أسطح المواد والمنتجات الفلزية وغير الفلزية به، حيث تترسب جزيئاته على أسطحها في صورة طبقات، نستطيع التحكم في أسماكها وفقا للغرض والاستخدام الذي من أجله غُطيت الأسطح بها (الشكل 6 - 13 «د»). وتُعد هذه الطريقة من أبسط الطرق المستخدمة في إنتاج الشرائح الإلكترونية، وأقلها تكلفة. ويستخدم الصول الناتج أيضا في تغطية أسطح المعدات لحمايتها من التآكل بالصدأ والتآكل بالبري والاحتكاك. وبالإضافة إلى ذلك، فيمكن توظيف «الصول» لإنتاج مساحيق الحبيبات النانوية فائقة النعومة (الشكل 6 - 13 «هـ») من مواد مختلفة، يمكن بعد ذلك تجميع حبيباتها لتشكيلها بواسطة المكابس، حيث نحصل منها على أجسام صلبة عالية الكثافة، يمكن استخدامها كمكونات للماكينات والآلات المختلفة.

ويُهيــأ «الصول» بعد نــزح وإزالة الماء منه (الشــكل 6 - 13«جـ») لتكوين الهــلام Gel [37]، الذي يجفَّف تجفيفا ســريعا للحصول على مواد هلامية، وهي عبارة عن جســيمات نانوية تشــكل في تجمعاتها أشكالا صلبة، ولكنها رخوة وغير متماســكة وتتمتع بلزوجه عالية (الشكل 6 - 13 «و»). وبالإضافة إلى ما تقدم، يُســتخدم الصول كذلك في تحضير أشــكال أخرى مختلفة من المواد النانوية، مثل الألياف، والعصي والأنابيب.

وقد تطورت طريقة الصول - جل، تطورا كبيرا خلال الســنوات العشر الأخيرة، مما رشــحها بقوة لأن تكون الطريقة الأولى التي تتم من خلالها عملية التجميع الذاتي، وذلك نظرا إلى الأسباب التالية:

- مرونتها وسهولة خطواتها في إنتاج أنواع مختلفة من المواد النانوية.
- قدرتهــا على إنتاح كميات صناعية ضخمة من حبيبات المواد النانوية متجانسة التركيب والبنية، تتمتع بنقاوة عالية تصل إلى 99.99 %.
- تُعد الطريقة الأقل تكلفة، والأسرع في عمليات التحضير.
- تنتج من خلالها مواد نانوية لمعظم السبائك والمواد السيراميكية والمواد المتراكبة، عند درجات حرارة غاية في الانخفاض.
- توظيف مواد أولية ســابقة التحضير (السوالف Precursors ومنخفضة التكلُفة، تستخدم لإنتاج المواد النانوية.

وسائل التوصيف

يقصد بوســائل التوصيف هنا، تلك الأدوات والتقنيات التي يتم توظيفها في اختبار المواد النانوية المُنتجة من أجل تعيين خواصها واكتشاف السمات الجديدة التي تتمتع بها. وليس ثمة شــك، فإن ضرورة تمتع المشــتغلين والباحثين بمجال تكنولوجيا النانو بمهارات فائقة في اســتخدام وتشــغيل تلك الأجهزة، وأن تكون لديهم الخلفية العلمية القوية التي تؤهلهم لتحليل وتفسير مخرجات نتائجها، هو أحد العناصر الأساسية التي يجب توافرها في العلماء العاملين في هذا المجال.

ورجوعا إلى مقاييس أبعاد المواد النانوية، التي تتراوح بين 1 و100 نانومتر، فلنا أن نتوقع مدى الجهد الكبير الذي بذله علماء النانو في إيجاد طرق مستحدثة، أو تطوير طرق سابقة، من أجل التعامل مع تلك الأجسام المتدنية في الحجم، وتعيين

خواصها بعناية بالغة ودقة كبيرة. ومن ثم، فلا بد من وسيلة تمكننا من رؤية هذه الجسيمات الصغيرة جدا، والتي لا تزيد عن مجموع أطوال أقطار بضع من الذرات، رؤية مباشرة، تمكن الباحث من الحكم عليها وتحديد خواص بنيتها التركيبية.

الميكروسكوبات الإلكترونية

ورجوعا إلى قدرة العين البشرية للإنسان، مهما بلغت شدة إبصارها، فهي لا تستطيع تمييز وتحديد الأشياء التي تقل أبعادها عن 1 ملليمتر (مليون نانومتر) بدقة ووضوح كامل. وحتى الميكروسكوبات الضوئية، التي تقل قوة التكبير فيها عن ألف مرة، تقف عاجزة أمام تحديد مثل هذه الجسيمات المتضائلة الأحجام، حيث لا تستطيع تعيين أبعاد المواد النانوية التي تقل في مقاييسها عن 200 نانومتر. لذا فلم يكن غريبا أن يتم I ختراع وسائل ميكروسكوبية متقدمة، وتطوير قدرات الميكروسكوبات الإلكترونية Electron Microscopes، وتعظيم قدرتها في تكبير الأشياء Magnification (وصلت الآن إلى نحو مليون ومائتي ألف مرة) وذلك من أجل رصد وتوصيف المواد النانوية. وتتمكن الميكروسكوبات الإلكترونية اليوم من تكبير الأشياء الصغيرة جدا، مثل الذرات، وجعلها أهدافاً واضحة المعالم لمستخدم الجهاز.

وعلى الرغم من أنه قد يتم استخدام طرق مساعدة وسريعة، مثل أشعة الحيود السينية X-ray Diffraction (XRD)، في توصيف بعض خواص المواد النانوية المُنتجة، مثل بنيتها التركيبية والبلورية، غير أن هذه الطرق التقليدية غير مؤهلة تأهيلا كاملا لتحديد الخواص الأخرى المتعلقة بمقاييس الأبعاد وكيفية توزيع الذرات داخل الشبكة البلورية للمادة. لذا، تعد الميكروسكوبات الإلكترونية هي السلاح الأول الذي يلزم توافره في أي معمل من معامل تكنولوجيا النانو، والذي من دونه لا نستطيع تعيين خواص مهمة ورئيسية لها.

وتستخدم الميكروسكوبات الإلكترونية شعاعا عالي الطاقة من الإلكترونات Beam of High-Energy Electrons بدلا من الضوء المرئي المُستخدم في الميكروسكوبات الضوئية، وذلك بهدف تعظيم قدرتها في تكبير الأشياء متدنية الأحجام والمقاييس.

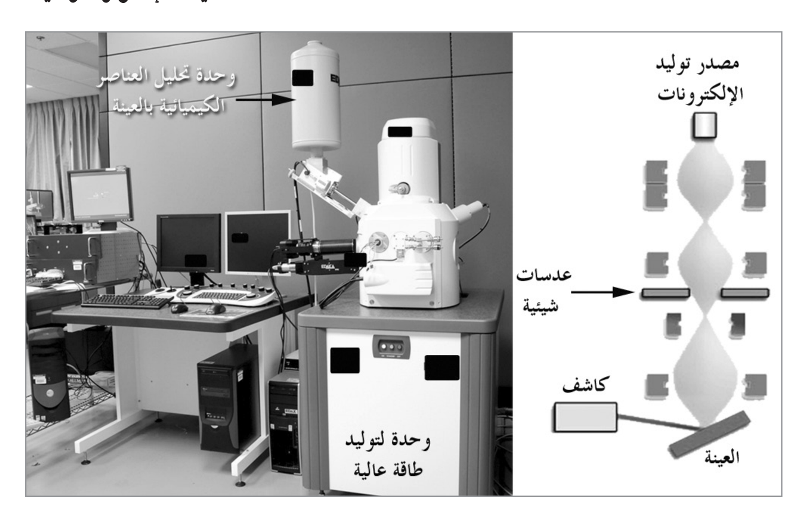
الميكروسكوب الماسح الإلكتروني

يســتخدم الميكروســكوب الماســح الإلكترونــي Scanning Electron Microscope (SEM) في تحليل وتعيين خواص أســطح العينات السميكة أو الرقيقــة من المادة، ومعرفة شــكلها - مورفولوجيــة Morphology - والقيــام بتحديد مقاييــس أبعادها الخارجية. ويتيح هذا الميكروســكوب قــوة تكبيــر تتراوح عادة بين عشــر مرات ونصف مليون مــرة، وفقا لنوع الجهاز المُســتخدم، ودقته، وخبرة المُستخدم لهذا الجهاز. ومن خلال بعض الإضافــات، يتمكن هذا الميكروســكوب من تحديــد العناصر الداخلة في تركيب العينة ونسبتها، بدقة جيدة.

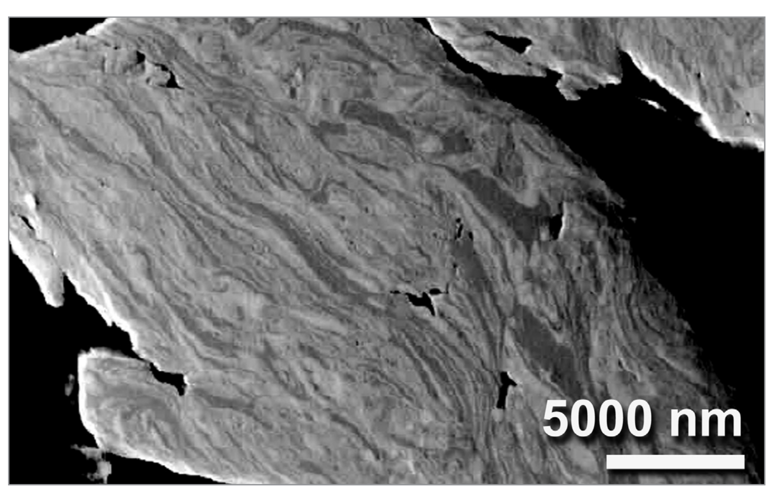
ويعرض الشــكل (6 - 14) صــورة لأحد أنواع تلك الميكروســكوبات، موضحــا عليه شــرحا لأجزائه الرئيســية، بينما يبين الشــكل (6 - 15) صــورة مورفولوجية لإحدى عينات المؤلف التي تم اختبارها بهدف اختبار بنيتها، الظاهرة في الصورة على هيئة طبقات مختلفة الســمك. وتُعد هذه الصورة، بمنزلة مثال من أمثلة عديدة، يوضح لنا ما يمكن أن نحصل عليه من معلومات خاصة بالعينات المُختبرة بواسطة هذا الجهاز.

الميكروسكوب النافذ الإلكتروني

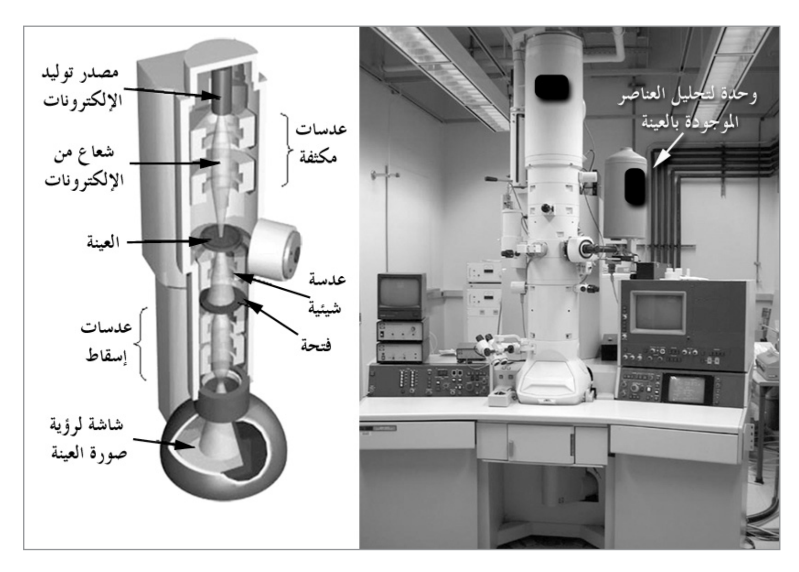
يستخدم الميكروســكوب النافذ الإلكتروني Transmission Electron Microscope (TEM)، شــأنه فــي ذلك شــأن الميكروســكوب الماســح الإلكتروني، شعاعاً من الإلكترونات لفحص واختبار العينات. وفي الوقت الذي يقوم فين الميكروســكوب الماسح بفحص أســطح العينات وتوصيف خواصهــا المورفولوجية الســطحية، يتميز الميكروســكوب النافذ بقدرته على اختراق العينة، التي توضع في مســار الشُعاع الإلكتروني القادم من مصدر توليد الأشــعة الإلكترونية الموجود أعلى مكان وضع العينة الشكل (6 - 16)، والنفاذ من خلالها، مســقطا صورتها أفقيا، كما هو مبين في الشــكل المذكور. ولضمان نفاذ الشعاع الإلكتروني بنجاح من خلال العينة، تعالج من أجل تخفيض سمكها وجعلها رقيقة، مما يتيح للشعاع اقتحامها والنفاذ منها بسهولة.



الشكل (6 - 14): صورة فوتوغرافية لأحد أنواع الميكروسكوبات الماسحة الإلكترونية الشائعة الاستخدام، الذي استخدمه المؤلف خلال عمله في جامعة طوهوكو اليابانية. رسم تخطيطي للجهاز، موضحا عليه شرح لمكوناته [8].



الشكل (6 - 15): صورة مورفولوجية لإحدى عينات المؤلف، تم اختبارها بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني [16].

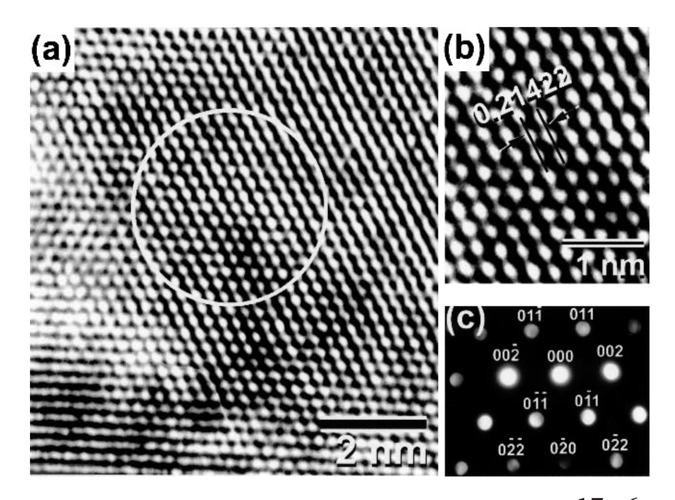


الشكل (6 - 16): صورة فوتوغرافية للميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة، الذي استخدمه المؤلف خلال عمله في جامعة طوهوكو اليابانية. ويظهر بجانب الصورة، رسم تخطيطي للجهاز، موضحا عليه شرح لمكوناته [8].

وتتراوح قوة التكبير الخاصة بالميكروسكوبات الإلكترونية الحديثة إلى نحو مليون مرة، مع دقة متناهية - تتراوح من 0.1 إلى 0.2 نانومتر - في فحص البنية الداخلية للمادة وترتيب الذرات داخل شبكتها البلورية، كما هو موضح في الشكل (6 - 17).

ويُعد الميكروسكوب النافذ الإلكتروني الأداة القوية لتكنولوجيا النانو في فحص المواد النانوية وتعيين مقاييس أبعادها وشكلها المورفولوجي. هذا بالإضافة إلى قدرته على تحديد بنية المواد النانوية، مهما تدنت مقاييس أبعادها، وتعيين فصيلة انتمائها البلوري. كما يوظف هذا النوع من الميكروسكوبات الإلكترونية في تعيين بعض الخواص الفيزيائية للمادة، مثل نقطة الانصهار، الصلادة، مقاومة الإجهادات، الموصولية الكهربية، ونشاطها الكيميائي. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الميكروسكوب النافذ يمكنه تعيين العناصر الداخلة في تركيب المادة

النانوية، وتحديد نسبة وجودها بدقة عالية، وذلك عن طريق تجهيزها بوحدات طاقة التشتت الطيفي للأشعة السينية Energy Dispersive X-ray Spectroscopy.



الشكل (6 - 17): صورة توضح البنية الداخلية لإحدى عينات المؤلف، موضحا بها المسقط الأفقي لترتيب وجود الذرات داخل الشبكة البلورية للمادة، تم اختبارها بواسطة الميكروسكوب النافذ الإلكتروني عالي الدقة (16).

ميكروسكوبات المسبار الماسح

كما ذكرنا سلفا، فإن الميكروسكوبات الإلكترونية، بنوعيها (الماسح أو النافذ) تتيح إمكانية فحص عينات المواد النانوية، فحصا دقيقا، من أجل التعرف على خواصها المورفولوجية وتركيبها البلوري، وإلى ما غير ذلك من معلومات مهمة سبق أن تحدثنا عنها بتفصيل أكثر في الجزء السابق من هذا الفصل. بيد أنه، على الرغم من تلك المعلومات الدقيقة والمهمة، فإن الصور الملتقطة للعينات باستخدام الميكروسكوبات الإلكترونية، تكون صورا ثنائية الأبعاد (غير مجسمة). لذا، تعتبر فئة ميكروسكوبات المسبار الماسح Scanning Probe Microscopes (SPMs) من الأدوات المهمة الخاصة بدراسة طوبولوجية Topology وتضاريس أسطح عينات المواد النانوية، ومعرفة ترتيب الذرات عليها. هذا وتوفر تلك الميكروسكوبات

صــورا طوبولوجية مجســمة (ثلاثية الأبعاد) بدقة عاليــة، تُمثل تفاصيل الخواص الفيزيائية (مثل الخواص الكهربية، الحرارية، السُمك، الخواص المغناطيســية) والميكانيكية (مثل الصلادة، مقاومة الإجهادات الخارجية) لسطح عينة المادة المُختبرة.

ويتســنى لهذا النوع الميكروســكوبات - كما ذكرنا ســلفا في هذا الفصــل - من تأدية تلك المهام، من خلال أداة على شــكل إبرة رفيعة، يُطلــق عليها «المجــس («أ» 18 - 6) «Probe»، مثبتة فــي نهاية طرف كابولي الميكروسكوب.

أهمية دراسة أسطح المواد

وقــد يتبادر إلى أذهاننا ســؤال منطقي، وهو لمــاذا كل هذا العناء المتمثــل في قياس خواص الذرات الموجودة على أســطح المواد، بعد أن وفرت لنا أجهزة النوع الســابق من الميكروســكوبات - الميكروسكوبات الإلكترونيــة - معلومــات دقيقة عــن مقاييس أبعاد حبيباتها وشــكل وترتيب ذراتها داخل شــبكتها البلورية؟ وقبل الإجابة عن هذا السؤال، أود أن نعود قليلا إلى صفحات الفصل الخامس، التي ناقشــنا فيها ما يمثله سطح المواد النانوية من أهمية بالغة، من شأنها أن تهيمن على كل خواص وســلوك المادة، وكيف تتميز المواد النانوية عن غيرها من المواد التقليدية، بارتفاع مساحات أســطحها، ووجود معظم ذراتها على تلك الأسطح. ولأن كل الأنشطة والتغييرات الكيميائية والفيزيائية الخاصة بأي مادة تحدث دائما على الســطح، فإن تضاعف قيم هذه الأســطح يؤدي دائما إلى زيادة درامية وكبيرة في تلك الأنشطة الحميدة والمرجوة للمادة، وهذا من شــأنه أن يبرز سمات وخواص فريدة وجديدة تميزها عن بقية المواد.

ومــن ثم، تتضح لنا أهمية دراســة أســطح المواد، وبــذل الجهد في البحث والتنقيب عن إدراك كيفية توزيع وترتيب ذراتها على تلك الأسطح، والتعرف على أوجه الاختلاف أو التجانس بالخواص والســمات المتعلقة بكل ذرة على حدة.

أنواع ميكروسكوبات المسبار الماسح

هناك نوعان رئيسيان من أنواع ميكروسكوبات المسبار الماسح هما: الميكروسكوب النفقي الماسح Scanning Tunneling Microscope (STM) وميكروسكوب القوة الذرية Atomic Force Microscope (AFM).

الميكروسكوب النفقي الماسح

يُعتبر الميكروسكوب النفقي الماسح أول ميكروسكوب في هذه الفئة من ميكروسكوبات المسبار الماسح، والذي - كما ذكرنا سلفا - قد اختُرع في العام 1981 بواسطة عالمين ألمانيين هما «جيرد بنينغ» Gerd Binning و«هينريتش روهرير Heinrich Rohrer، واللذان كانا يعملان بمعامل شركة آي بي إم IBM، الكائنة بمدينة زيورخ السويسرية، والذان تقاسما في العام 1986 جائزة نوبل في الفيزياء، الممنوحة لهما عن هذا الاختراع العبقري.

- **فكرة العمل**

يقوم هذا النوع من ميكروسكوبات المسبار الماسح بأداء «مهمته الاستكشافية»، من خلال إبرة رفيعة حادة، تمر على ذرات سطح عينة المادة المُراد تعيين خواصها. وهذه الإبرة (المسبار) الرفيعة الحادة، المُتصلة بذراع كابولي الجهاز، يتم تصنيعها من فلز التنجستن أو فلز البلاتين. ويُشترط في هذه الذرة، أن تستجيب للإجهادات الميكانيكية الناشئة المؤثرة في ذرات العينة عند ملامسة الإبرة لها، في توليد جهد كهربي بين الذرة الأحادية وذرات سطح مادة العينة.

وتقوم الإبرة «بجس» كل ذرة من الذرات الموجودة على سطح العينة، وذلك من خلال رحلتها المسحية، التي تسير فيها الإبرة ببطء على خطوط وهمية مستقيمة ومتوازية، يتباعد بعضها عن بعض بمسافات متدنية الصغر، بحيث لا تزيد على قطر الذرة الواحدة. وخلال هذه الرحلة المسحية، تمر الإبرة على السطح صعودا وهبوطا عند المرور، لضمان ثبات شدة التيار الكهربي

عنـــد قيمة ثابتة، مما يـــؤدي إلى تمكن الإبرة، فـــي رحلتها، من المحافظة على تســـاوي المســـافات البينيـــة الفاصلة بين خطوط الشبكة الوهمية.

وتجدر الإشـــارة هنا، إلـــى أنه عند اقتراب تلـــك الإبرة الحادة المصنعـــة مـــن مـــواد فلزيـــة ذات موصليـــة جيـــدة للكهرباء - كالتنجستن أو البلاتين - بالقرب من سطح مادة موصلة - مادة العينة - فإنه يتولد تيار، يُعرف باسم التيار النفقي Tunneling Current، ينشـــأ معه فرق في الجهـــد الكهربي بين مادة الإبرة وسطح مادة العينة.

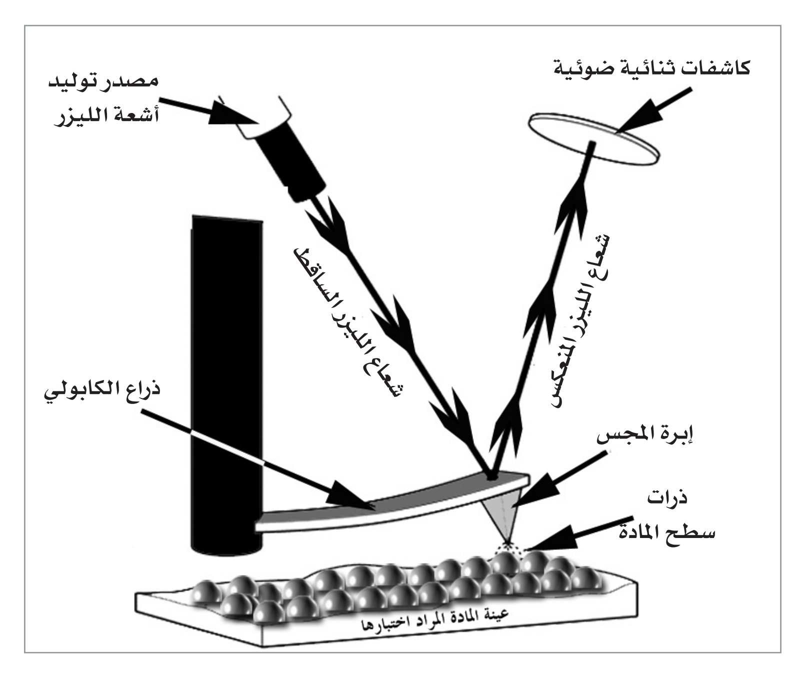
- **ميكروسكوب القوة الذرية**

على الرغم من اعتبار الميكروســـكوب النفقي الماسح، أحد أهم الأجهزة التي أدت إلى تقدم البحوث والاكتشافات الخاصة بعلم وتكنولوجيا النانو، فإنه يستخدم فقط في اختبار عينات المواد النانوية ذات الموصلية الكهربية، الأمر الذي حد من تطبيقاته. لذا، فقد قام «جيرد بنينغ» Gerd Binning مع «كالفين كوات» Calvin Quate في العام 1986 بعمل تعديلات جوهرية لهذا الميكروســـكوب، والذي أطلقا عليه اسم ميكروســـكوب القوة الذرية Atomic Force Microscope (AFM) [38]. وقـــد أدت تلـــك التعديلات الابتكارية إلى زيادة مســـاحة المواد التي يمكنه اختبار خواص السطح لها، بحيث شـــملت المواد رديئة الموصلية الكهربية ومواد العوازل الكهربية. هذا بالإضافة إلى تعديل تصميم «المجس» ليكون مقياس بُعد قطر طرفه المدبب الحاد، غاية في الصغر، مما أتاح زيادة في دقة عمل المجس (نانوي الدقة)، ومصداقية بمخرجات نتائج فحوصه [39، 40] لأسطح المواد النانوية.

هذا ويختلف ميكروسكوب القوة الذرية عن ميكروسكوب المسبار الماسح، في شكل ونوع مادة المجس المستخدمة، والذي يكون على هيئة رأس حاد منحن (على شكل خطاف Hook مصنوع من مادة شبه موصلة، مثل السيليكون.

وكمـــا هو موضح فـــي الشـــكل «6 - 18»، فـــإن ذراع الكابولي الحامل للمجـــس، يبدأ في التحرك ببطء فوق ســـطح العينة المـــراد اختبار خواص

ســطحها . وخلال هذه الرحلة، يقترب المجس من ذرات السطح، الأمر الذي يؤدي إلى تولد قوى تجاذب أو تنافر بين إبرة المجس وبين ذرات سطح العينه، مما يؤدي إلى انحراف في موضع ذراع الكابولي (صعودا أو هبوطا). ويبين الشكل نفسه، أن قياس مقدار القوة المسؤولة عن إحداث هذا الانحراف في موضع ذراع الكابولي، يتم عن طريق ســقوط شــعاع من الليزر على السطح الخلفي للذراع المُنحرف، ويتم ذلك في كل مرة ينحرف فيها هذا الذراع عن موضعه الأصلي. وهذا الشعاع الساقط ينعكس على مجموعة من الكاشفات الثنائيــة الضوئية Photodiode Detectors عاليــة الدقة، والتي من خلال تحويلها للإشــارات الضوئية القادمة من أشعة الليزر المنعكسة إلى إشارات كهربية، يتم تكوين خريطة طوبوغرافية عالية الدقة، تُبرز تفاصيل تضاريس وخواص سطح المادة، كما هو مبين في الشكل (6 - 19).



الشــكل (6 - 18): رســم توضيحي يبين فكرة عمل ميكروسكوب القوة الذرية في اختبار خواص سطح المواد. وفي الشكل، يظهر ذراع كابولي الجهاز الذي ينتهي بإبرة المجس في أثناء تحركها أعلى ذرات سطح عينة المادة المراد اختبارها.

● أنواع أخرى من ميكروسكوبات المسبار الماسح

بالإضافة إلى النوعين السابقين من ميكروسكوبات المسبار الماسح، توجد أنواع مختلفة أخرى، لا يزال البعض منها قيد البحث والتطوير، نذكر منها الأنواع التالية:

- ميكروسكوب القوة المغناطيسية Magnectic Force Microscope.
- ميكروسكوبات الليزر الماسح Laser Scanning Microscopes.
- الميكروسكوبات الضوئية الماسحة قريبة الحقل Near-Field Scanning Optical Microscopes.

وتتميز هذه الأنواع المُبتكرة من ميكروسكوبات المسبار الماسح، بدقتها العالية وقدرتها الفائقة على تعيين خواص متعددة لسطح عينة المادة، منها:

- تحديد البنية الإلكترونية عند درجات الحرارة المنخفضة.
- تحديد التركيب الكيميائي.
- تعيين الخواص البصرية.
- تعيين الخواص الحرارية.



7

الكربون: أمير المواد وعميدها

«أرجح أن تـؤدي الزيادة في أعداد ذرات الكربون إلى زيادة نشاط وشراهة تلك الكريات، مما يعني إعلان مزيد من الاكتشافات الجديدة، وفتح آفاق متقدمة من التطبيقات التكنولوجية الفريدة في المستقبل القريب»

المؤلف

«تحمل المواد النانوية بين جنباتها، صفات الغرابة والعظمة في وقت واحد»! هذا ما قاله لي أستاذي العالم الجليل البروفيسور كنجي سوزوكي Prof Kenji Suzuki في العام 1985، حين كنت شابا يافعا في بداية مشواري لدراسة الماجستير في علم وتكنولوجيا النانو بمعمل هذا الرجل النابغة بجامعة طوهوكو اليابانية. ظلت هذه الكلمة عالقة في ذهني إلى الآن، منذ لحظة لقائي بهذا الرجل القدير في مكتبه المتواضع الكائن في أكبر مؤسسة بحثية في اليابان تهتم بالمواد المتقدمة عامة، وبمواد وتكنولوجيا النانو على وجه الخصوص. ولا أخفي على القارئ الكريم أنني في تلك اللحظة ترددت في أن أسأله: «وما سر هذه الغرابة المغموسة بالعظمة؟»!

في ذلــك الوقت، كان الوســط البحثي في العالم كلــه، مازال «يحبو ويســير مترنحا» بين جنبات مــواد وتطبيقات تكنولوجيــا النانو. وكانت الآمــال المنعقدة عليها كبيرة، ولكن النتائــج البحثية الخاصة بها ما زالت متواضعة، تتدنى عن مستوى تلك الأمال العريضة. وما زاد الطين بلة، هو امتزاجها - أي تكنولوجيا النانو - بالأساطير وروايات الخيال العلمي، مما جعــل المجتمعات المدنية بالــدول المتقدمة - وحتى حكومات تلك الدول - في تلك الفترة المبكرة من مشوار النانو مع البشرية، تعتقد أن النانو، على صعيدي المواد والتكنولوجيا، ما هي إلا إرهاصات متوجة بإبداعات علمية وبحثية لمجموعة مــن الباحثين المتميزين من ســاكني «الأبراج العاجية»، الذيــن لا يدركون تفاصيل المشــاكل اليومية الدقيقة التــي يعانيها رجل الشــارع العادي! كان هذا هو الانطباع الســائد بين البشر خلال العقدين الأخيرين من القرن المنصرم.

لم تطل على البروفيسور ســوزوكي فترة ترددي، فأردف شارحا في بساطة شديدة أسباب ذلك التميز المغلف بالغرابة والعظمة الذي تحتكره المــواد النانوية. وليأذن لي القــارئ الكريم بأن أنقل إليه هذا الشــرح، ملخصا إياه.

المــواد النانوية متميــزة، حيث تجمع في طيات بنيتهــا الذرية خواص مختلفة وعديدة، تخول للمادة الواحدة منها أن تســتخدم وبكفاءة نادرة في أكثــر من تطبيق. وتجمع الحبيبات النانوية لمواد الســيراميك في صفاتها علــى العديد من المتناقضات المتميزة، فصلادتها وبأســها الشــديدان، لم يحرماهــا مــن أن تكون مرنة وصلبــة. لذلك، نجد أن مواد الســيراميك النانوية، مثل الزجاج والفخار، لا تتكســر بسهوله عند سقوطها أو الطرق عليها، وهذا شيء غريب في حد ذاته! إذ كيف يتمتع السيراميك بخواصه المعروفة عنه إلى جانــب تمتعه بفئة الخواص التي تحتكرها المواد الفلزية لنفســها فقط؟ وكان سؤاله هذا، بمنزلة أول توجيه يصدر عنه كي أحاول مجتهدا، خلال مرحلتي دراســتي للماجســتير والدكتوراه بمعمله، الإجابة عن هذا السؤال.

الكربون وتكنولوجيا النانو

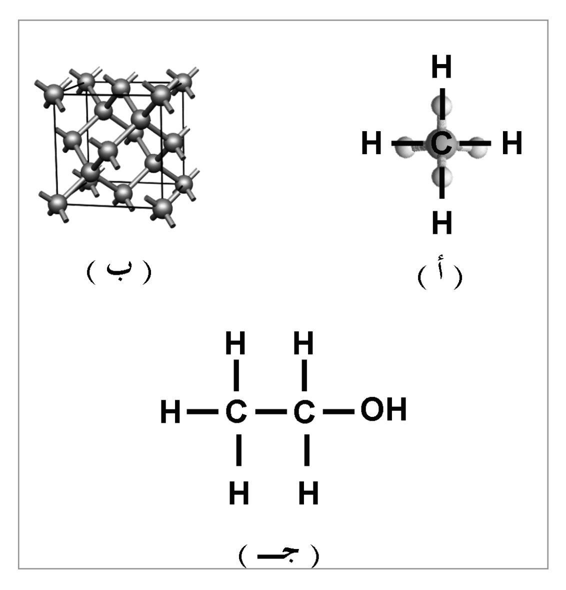
ليس ثمة من شك في أن عنصر الكربون C، الذي يدخل في تكوين نحو 19% من كتل أوزان أجسامنا، يعد عنصرا أساسيا ومهما ترتبط به حياتنا على سطح هذا الكوكب، فهو يدخل في تركيب البروتينات، والكربوهيدات، والدهون والأحماض النووية Nucleic Acids. وتوجد ذرات الكربون في كل مكان من حولنا، وفي ملايين من جزيئات المواد المختلفة التي نستخدمها في كل لحظة من لحظات حياتنا اليومية، في الغذاء الذي نتناوله، والملابس التي نرتديها، والأقلام التي نكتب بها، وأيضا في الوقود الذي يحرك مركباتنا، في البر والبحر والجو.

وتوجد مركبات الكربون في الصور الثلاث للمادة، فهي قد تكون في الصورة الغازية (مثل غاز البروبان Propane)، والسائلة (مثل البنزين) والصلبة (مثل الغرافيت والماس). وتتميز مركبات الكربون بتنوع خواصها وبتباين سماتها، وذلك يرجع إلى ثلاثة عوامل رئيسية هي:

– لذرة الكربون القدرة على الارتباط مع معظم ذرات المواد، وذلك من خلال روابط قوية، تعرف باسم الروابط التساهمية Covalent Bonding، والتي من خلالها ترتبط ذرة واحدة من الكربون مع أربع ذرات أخرى لمادة واحدة أو مواد مختلفة، كما هو مبين في الشكل (7 – 1 «أ») الذي يوضح نموذجا شهيرا للرابطة التساهمية الناشئة بين ذرة كربون وأربع ذرات هيدروجين لتكوين جزيء غاز الميثان CH4، Methane.

– حين ترتبط ذرة الكربون بذرة كربون أخرى، والذرة الأخرى ترتبط بذرة ثالثة من الكربون، فتتكون شبكة من ذرات الكربون Carbon Network لها بنية ماسية Diamond-like Structure الشكل (7 – 1 «ب»).

– لكل ذرة من ذرات الكربون المؤلفة لسلاسل شبكة الكربون الحرية، لأن ترتبط بأربع ذرات لمواد أخرى، ليست بالضرورة أن تكون من الكربون، لتكوين سلسلة Chain متشابكة مؤلفة من ذرات مواد مختلفة (الشكل 7 – 1 «ج»). ويؤدي هذا التعدد النوعي في الذرات المنتسبة لمواد مختلفة الخواص، إلى تكون مركبات تحمل في خواصها صفات جامعة لكل خواص وصفات ذرات المواد الداخلة في تكوينها، مما يؤدي إلى اتساع رقعة تطبيقاتها في قطاعات كثيرة ومتنوعة.



الشكل (7 - 1): ترتبط ذرة الكربون بذرات الكربون المماثلة لها أو بذرات مواد أخرى عن طريق الرابطة التساهمية لتكوين ملايين من المركبات مثل (أ) غاز الميثان، (ب) الماس، (ج) الكحول الإيثيلي [1].

وفي إطار تلك الخواص الفريدة والمتميزة لهذا العنصر، لم يكن من الغريب أن يستأثر الكربون بشغف واهتمام علماء تكنولوجيا النانو، وأن يخصصوا له مساحة بحثية واسعة، منذ منتصف ثمانينيات القرن الماضي، وحتى يومنا هذا، خاصة بعد ما تحقق من إنجازات تكنولوجية في مجال تخليق المواد الجديدة خلال الفترة السابقة، والتي تبلورت في توظيف الكربون في إنتاج مواد شديدة القوة والبأس، مثل ألياف الكربون Carbon Fibers التي تم استخدامها كمواد مقوية وداعمة للبلمرات والمواد الفلزية، وذلك بغرض تأليف مواد متراكبة Composite Materials تجمع في خواصها الصلادة والقوة، بجانب تمتعها بالمتانة، اللدانة والقابلية للتشكل.

وبعد تحقيق تلك الإنجازات - التي مازالت مستمرة حتى اليوم - المرتبطة بعلم المواد وتخليق مواد كربونية متقدمة تتلاءم مع المتطلبات الملحة والكثيرة لتكنولوجيات إنتاج المعدات والأجهزة الحديثة، خرج الكربون من تلك الدائرة المغلقة والضيقة التي ارتبط بها خلال القرون السابقة، فلم يعد فقط مصدرا من مصادر الوقود، بل وجد لنفسه وظائف مرموقة في قطاعات صناعية كثيرة مثل صناعة السيارات، والطائرات والمركبات الفضائية، وصناعة الإلكترونيات، وصناعة الأدوات والأجهزة الرياضية. فلم يعد غريبا اليوم أن نسمع عن استخدام الكربون، كمادة رئيسية لإنتاج العديد الأجهزة المحمولة من الحواسب، والهواتف، وغير ذلك من الأجهزة الحديثة والمتقدمة التي تعبر عن روح هذا القرن الذي نعيش به. وأحسب أن ذرة الكربون سوف تلقى الاهتمام البحثي نفسه والتقدير التطبيقي، وربما أكثر مما هو عليه الآن، خلال المراحل المتعاقبة لحقبة تكنولوجيا النانو من هذا القرن.

الصور المختلفة للكربون

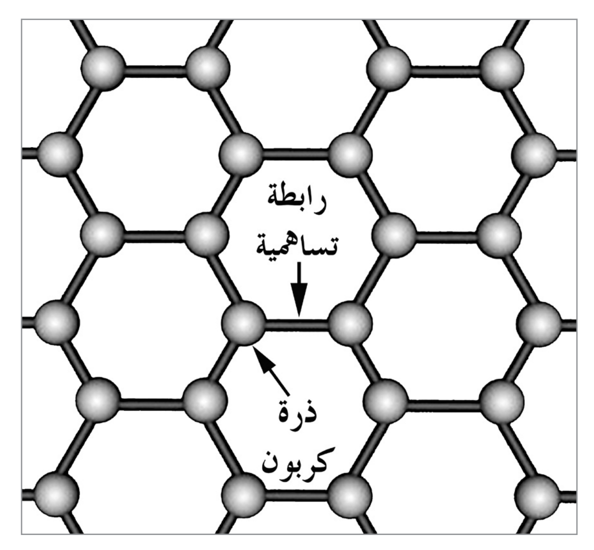
من أهم الأسباب التي جذبت علماء تكنولوجيا النانو نحو الكربون، واعتبارهم له كأهم مادة أولية لتلك التكنولوجيا الجديدة، هي الصور المغايرة والمختلفة Allotropes التي يتم عليها ترتيب ذرات الكربون النقي، بحيث تشكل مجموعة متنوعة من الصور، مثل الكربون غير البلوري أو الأمورفي، والجرافيت، والماس، والفولورين. وكما ذكرنا سلفا في الفصل الثالث من هذا الكتاب، فإن اختلاف الصور والترتيب الذي توجد عليه ذرات أي مادة، يؤدي إلى هذا التنوع والتباين في الخواص والسمات الذي نلاحظه بين المواد. وخلاصة القول هنا، أن تلك الأشكال المختلفة التي يوجد عليها الكربون توفر له أن يتمتع بمجموعة من الخواص العديدة، وفقا للبنية الهيكلية للشكل الموجود عليه، وهذا يعني فتح المجال أمام أشكاله المتنوعة والمتباينة للاستخدام في التطبيقات الصناعية المختلفة.

• الغرافيت

عـــادة ما يصنَّف الغرافيـــت Graphite إلى فئتين، فئة خام Ore الغرافيـــت الموجودة أصلا في القشـــرة الأرضية [2]، فئة الغرافيت المخلق أو المصنع Synthetic Graphite الذي يخلَّق من فحم الكوك معمليـــا. ويظهر الغرافيت الطبيعي أو المخلـــق على هيئة طبقات أفقية ممتدة رقيقة الســـمك Horizontal Thin Layers، لذا فهو يندرج تحت فئة المواد ثنائية الأبعاد. وتتشكل تلك الصفائح الرقيقة Thin Sheets عن طريق الروابط التســـاهمية التـــي تربط ذرات الكربون بعضها ببعض، مكونة في ذلك تشكيلات كربونية سداسية منتظمة، كما هو موضح بالشكل (7-2). ويحظى الغرافيت باهتمام علمـــاء تكنولوجيا النانو، وذلك نظرا إلى ما يتمتع بـــه من خاصيتين مهمتين هما: القوة Strength، والموصلية الكهربية Electrical Conductivity.

وبالإضافة إلى ما نعرفه عن دخول الغرافيت في صناعة أقـــلام الرصاص، وعلى الرغم من اســـتخدامه في عدة مجالات تقليدية أخـــرى، مثل صناعة بواتق Crucibles صهـــر الفلزات بالأفران في درجات الحـــرارة المرتفعة، والقوالـــب Moulds التـــي تســـتقبل مصهـــور الفلزات Molten Metals ليصـــب بهـــا، غير أنه يســـتخدم الآن وبشـــكل رئيســـي في عديد من القطاعـــات الصناعية الأخرى مثل:

- الأجهزة الكهربائية.
- البطاريات.
- الأقطاب الكهربية Electrodes وصناعة أفران القوس الكهربي Electric Arc Furnaces المستخدمة في صهر الفلزات.
- مواد التشحيم Lubricants.



الشكل (7 - 2): شكل تخطيطي يبين البناء الهيكلي لطبقة رقيقة السمك من الغرافيت، تشكلت عن طريق الروابط التساهمية الناشئة بين مجموعة من ذرات الكربون، رتبت نفسها واصطفت لتشكيل حلقات سداسية مترابطة [1].

• **الماس**

يعد الماس Diamond أصلد مادة عرفها الإنسان، حيث يعزى تمتعه بهذه الصفة إلى الترتيب الذري الفريد لذرات الكربون داخل هيكله (الشكل 7 - 1 «ب») والتي خلعت عليه رداء تلك الصفة الثمينة، علاوة على تقليدها له بكثير من الصفات الباهرة الأخرى، التي نذكر منها:

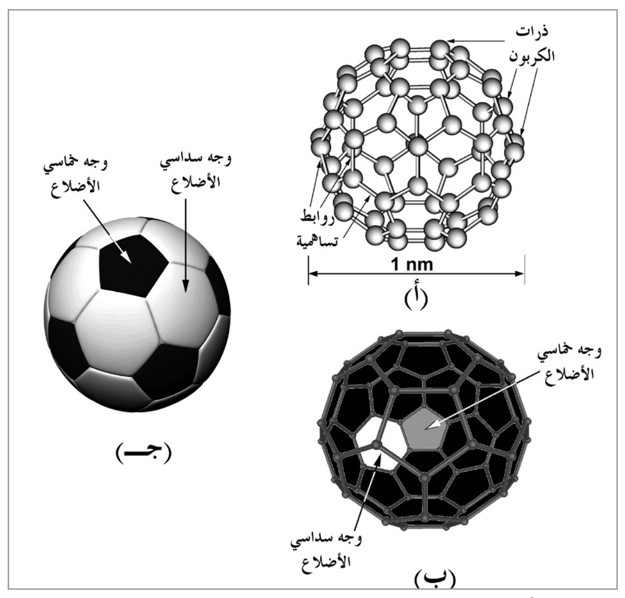
- انخفاض معامل الاحتكاك Low Coefficient of Friction.
- ارتفاع قيم التوصيل الحراري High Thermal Conductivity.
- ارتفاع قيم المقاومة الكهربية High Electrical Resistivity.
- انخفاض قيمة معامل التمدد الحراري Low Thermal Expansion Coefficient.

وعلى الرغم من كل هذه الصفات الرائعة التي تتكتل مجتمعة في بلورات الماس الباهرة، فإنه، وعلى النقيض من الغرافيت «الرخيص» الذي لايجد لنفسه مكانا داخل علب حفظ المجوهرات الأنيقة بمحلات ومعارض الحلي، أو أن يفتخر أعلياء القوم باقتنائهم بلوراته وحبيباته مثلما يفعلون مع شقيقه الماس، فإن الترتيب الذري للكربون في الماس، قد سحب منه خاصية التوصيل الكهربي، ليميز بها الجرافيت، ليجعل منه النجم الألمع في دنيا التطبيقات الصناعية الحديثة.

• الفولورين

ليس من المألوف أن تُكتشف مواد جديدة تتميز بقدرتها على تغيير حياة الإنسان أو أن تكون سببا في تفجير ثورات تكنولوجية عملاقة، بصورة متكررة خلال فترات زمنية قصيرة. وقد يستغرق الأمر لتحقيق ذلك عدة عقود، أو ربما عدة قرون. ويمثل الفولورين Fullerene، نموذجا لتلك المواد الفريدة شديدة التميز، التي استطاع الإنسان التوصل إليها وإنتاجها، قبل أن ينتهي القرن الماضي بخمسة عشر سنة.

والفولورين الذي يمثل الصورة الثالثة من صور الكربون بعد الغرافيت والماس يعرف باسم «الكربون الستيني» (C_{60})، نظرا إلى أن الجزيء الواحد له يتكون من ستين ذرة من الكربون، ترتبط كل واحدة منها بثلاث ذرات أخرى مماثلة، كما هي الحال تماما في مادة الغرافيت. لكن الخاصية المميزة وغير المسبوقة التي ينفرد بها الفولورين، هي أن ذرات الكربون المؤلفة لجزيئه الواحد، تكون هيكلا هندسيا كروي الهيئة، يبلغ قطره نحو 1 نانومتر (الشكل 7 – 3 «أ»). وتتساهم تلك الذرات في ترابطها لتكوين 32 وجه، منها 20 وجها سداسيا و 12 خماسيا (الشكل 7 – 3 «ب»)، لتتشابه في مظهرها وتعدد أوجهها مع كرة القدم – ساحرة الملايين أو الساحرة المستديرة (الشكل 7 – 3 «ج») كما يسميها كثير من معلقي البرامج الرياضية.



الشكل (7 - 3): (أ) رسم تخطيطي يبين كيف تتساهم ستون ذرة من ذرات الكربون لتكوين روابط تساهمية قوية تجمعها لتأليف أشكال هندسية كروية، تعرف باسم الكربون الستيني C_{60} أو كريات بكي Buckyballs. ويوضح الرسم في (ب) كيف ينتج عن الترابط التساهمي القائم بين ذرات الكربون، أوجه خماسية وسداسية، تؤلف هيكل «كرية بكي»، لتحاكي في شكلها هذا المظهر الخارجي لكرة القدم (ج) [1].

وأود أن أسرد هنا، في عجالة، قصة اكتشاف الفولورين والتوصل إلى إنتاج تلك الكريات الكربونية الضئيلة التي أذهلت - ومازالت - العالم بخواصها غير المسبوقة وتطبيقاتها الفريدة. ففي سبتمبر من العام 1985 أعلن ثلاثة من علماء الكيمياء البارزين، هم البروفيسور روبرت كورل Prof Robert F. Curl، البروفيسور السير هارولد كروتو Sir Prof. Harold Kroto والبروفيسور ريتشارد سمالي Richard E. Smalley بجامعة رايس Rice University الأمريكية، عن توصلهم لاكتشاف نوع جديد من صور الكربون، أطلق عليه - كما ذكرنا سلفا - اسم الكربون الستيني C_{60}، وقد ضم هذا الفريق البحثي اثنين من طلاب الدراسات العليا بالجامعة نفسها، هما جمس هيث James Heat [3] وشون أوبرين Sean O'Brien [4]، اللذان قاما بدور المعاونة في إجراء بعض الاختبارات المعملية.

وقد زلزل هذا الاكتشـــاف، بما يمثله من ســـبق علمي غير متوقع، ربوع الوسط العلمي، وعُلقت عليه آمال عريضة، وأحلام تطبيقية كثيرة. وقد أدى هذا الكشف الكبير إلى ترسيخ قواعد تكنولوجيا النانو، وتأكيد قدرتها على تخليق مواد غير مسبوقة، لتفتح بها آفاقا عريضة من التطبيقات الرائدة.

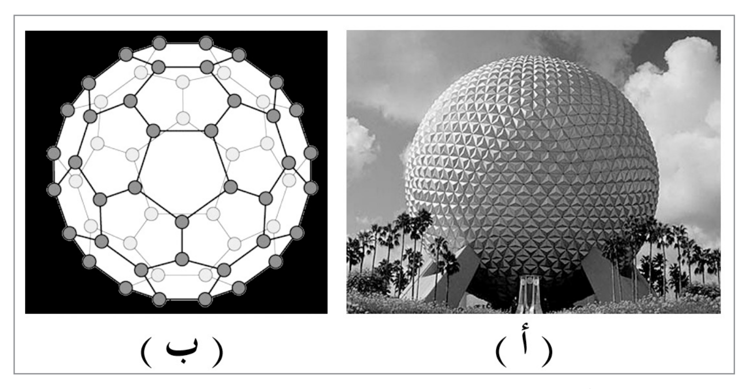
وقد اســتغرق الأمر تسع ســنوات، ليتيقن الوســط العلمي من حقيقة المــادة، وصحة التجارب التي أجراها الفريــق البحثي بجامعة رايس، حتى تقاسم الأساتذة الثلاثة جائزة نوبل في الكيمياء لعام 1996، والتي صادف تاريخها الذكرى المائة لوفاة مؤســس الجائزة العالم البورفسور ألفرد نوبل Alfred Nobel. وعلى الرغم من عدم مقاســمة طالبي الدراسات العليا - جمس وشون - للجائزة، فإنهما نالا كثيرا من التقدير والإعجاب لمشاركتهما الفعليــة فــي صنع هذا الإنجــاز التاريخي المدون بأحرف من نور بســجل الاكتشافات والاختراعات البشرية، منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا.

ومــن الطريــف أن يذكر هنــا أن الفولورين Fullerenes قد ســمي بهذا الاســم نسبة إلى اســم المهندس المعماري الشهير ريتشــارد بكمينستر فولور Richard Buckminster Fuller [5] الــذي اشــتهر وذاع صيتــه في تصميم القباب الجيوديسية Geodesic Domes [6] التي تتشابه في مظهرها مع تلك الكريات الكربونية المخلقة في المعمل (الشكل 7 - 4). لذا فقد أطلق عليها - أي الكريات الكربونية - اسم «فولورين بكمينستر Buckminster Fullerene»، بيد أن هذا الاســم لم ينل الاستحسان اللائق. وقد أجاد الفريق حين اختاروا «كرات بكي» أو «بكي بول» (Buckyball) كاسم تدليل متداول وبسيط.

وقد أردت من سرد قصة اكتشاف «البكي بول»، أن أذكر نفسي وأذكر قراء هذا الكتاب من الشباب العربي الواعد، بفضيلة التعاون، ليس فقط في مجال البحث العلمي، بل في كل المجالات، فلكل منا دوره، صغر هذا الدور على مسرح الحدث أم كبر. وكما رأينا، فإن الدور الذي قام به شابان من طلبة الماجستير والدكتوراه بجامعة رايس، المتمثل في تحليل واختبار مخرجات التجارب الإبداعية لأساتذتهما العلماء، هو دور رئيسي ومؤثر، أدياه بكل جد واجتهاد وأمانة.

وأتذكر هنا، مع القارئ الكريم، أمير الشــعراء أحمد شــوقي حين قال في قصيدته الرائعة سلوا قلبي:

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
وما استعصى على قوم منال إذا الإقدام كان لهم ركابا



الشكل (7 - 4): مقارنة في الشكل والمظهر بين أحد المباني الفريدة التي صممها المهندس المعماري المبدع ريتشارد بكمينستر فولور لتكون على شكل قبة جيوديسية (أ) [5] و(ب) «البكي بول»، التي عمل على تخليقها معمليا، فريق عمل بحثي بجامعة رايس الأمريكية في العام 1985 [1].

تطبيقات كريات بكي بعالمنا الواقعي

خضعت جزيئات «البكي بول» منذ اكتشافها لعديد من الاختبارات المختلفة المجراة عليها، حيث أكدت على تمتع تلك الفئة من المواد الكربونية بقائمة طويلة من الخواص الفيزيائية والكيميائية والميكانيكية غير المسبوقة، مما كان له بالغ الأثر لترشيحها وبقوة في كثير من المجالات التطبيقية المختلفة. وتعد القطاعات الصناعية الخاصة بإنتاج الحواسيب، الأجهزة الإلكترونية، الحساسات Sensors وكذلك خلايا الوقود Fuel Cells، أهم القطاعات الإنتاجية المستفيدة من كريات بكي.

وخلال السنوات القليلة الماضية، أظهرت نتائج البحوث الطبية والدوائية المجراة على البكي بول، بأنها مادة واعدة بالتطبيقات المتقدمة في قطاع الطب والدواء. واكتشفت واحدة من كبرى شركات تصنيع الدواء العالمية، مدى فاعلية الفولورين عند استخدامه في إنتاج عقاقير السيطرة على الآثار التدميرية الناجمة عن اعتلال المخ بأحد الأمراض الدماغية، مثل مرض «ألزهايمر» Alzheimer ومرض «اعتلال الأعصاب الحركية»، المعروف باسم «لو جيهريج»

Lou Gehrig’s (ALS)، هذا في الحين الذي اكتشفت فيه شركة دوائية أخرى معروفــة، تطبيقا مهما لتلك الكريــات، التي أظهرت فاعليتها بأن تســتخدم كمضــادات أكســدة Antioxidants قوية، حيث برهنت نتائــج التجارب التي أجرتها تلك الشــركة على قدرة البكي بول في معادلة Neutralization الجذور الحرة، المعروفة باسم الشقائق Free Radicals داخل جسم الإنسان، وذلك من خلال تكوين رابطة تساهمية بين الإلكترون الحر لجزيئات وذرات تلك الشقائق وبين إحدى ذرات الكربون التي تتألف منها كريات بكي، مما يعني وقف نشاطه وتحييده عن أداء أنشــطته السلبية على الوظائف الحيوية داخل الجسم. ولأن كرة بكــي الواحدة تتألف مــن 60 ذرة من ذرات الكربون توجد على الســطح الخارجي للكرة، ولأن ذرة الكربون الواحدة تســتطيع أن ترتبط تساهميا بأربع ذرات أو جزيئــات في وقت واحد - بخلاف ارتباطهــا بذرات الكربون المماثلة لها بكرة بكي - فلنــا أن نتخيل مقدار العدد الضخم من الإلكترونات الخاصة بالشقائق التي لذرات الكربون الارتباط معها ووقف نشاطها.

وبالإضافة إلى ما ســبق، مــا زال هناك العديد مــن التطبيقات الفريدة المقترحــة للبكي بول في مجالات الطب، والدواء، والتكنولوجيا الحيوية، والتي تُنشَر بصورة شبه شهرية في عدد ضخم من المجلات العلمية المرموقة [7، 8].

وخلال السنوات العشر الماضية وحتى اليوم، فإن الجهود البحثية الخاصة بتحسين خواص كريات بكي تتواصل وتسير على قدم وساق. حيث أدت زيادة عدد ذرات الكربون الموجودة بها، مما هي عليه الآن - 60 ذرة - إلى 70 [9]، 76 [10]، 84 [11] ذرة، إلــى اكتشــافات مثيرة لصور أخرى من الكربون، مثل C_{70} وC_{76} وC_{84}، تطالعنا بها الدوريات العلمية المتخصصة في كل يوم. وأرجح أن تؤدي تلك الزيادة في أعداد ذرات الكربون إلى زيادة نشــاط وشراهة تلك الكريات، مما يعني إعلان مزيد من الاكتشافات الجديدة، وفتح آفاق متقدمة من التطبيقات التكنولوجية الفريدة في المستقبل القريب.

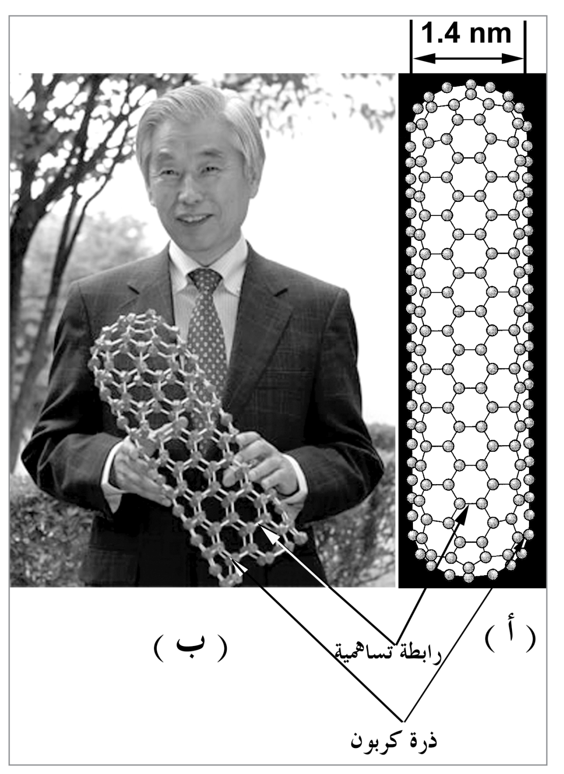
أنابيب الكربون النانوية

انتهينا في الجزء الســابق من معرفة ومناقشة الكربون الستيني أو كرات بكي، واستعرضنا أهم الخواص التي تتميز بها، وماهية التطبيقات الفعلية لتلك الكريات. ولم يكد الوسط العلمي يفيق من دهشته وانبهاره عقب إعلان اكتشاف البكي بول في العام 1985، حتى فاجأنا البروفيســور الياباني الشهير إيجيما S. Iijima، الباحث العلمي بشركة إن إي سي NEC اليابانية، في العام 1991

باكتشافه أنابيب الكربون النانوية Carbon Nanotubes [12]، التي بهرت، وما تزال، العالم كله! وكأن القرن الماضي كان على موعد مع القدر ليفصح لنا عن اكتشـــافات «نانو تكنولوجية» جديدة خلال عقوده الأربعة الأخيرة. وقد مهدت هذه الفتوحات النانو تكنولوجية المتوالية والمبتكرة، الطريق أمامها كي تتربع على عرش «تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين»، وذلك بوصفها أهم التكنولوجيات التي عرفها الإنســـان حتى اليوم. ولأنني عاصرت ومارست التجارب البحثية خلال الحقبات الأولى من عمر تكنولوجيا النانو، وبمنتهى الأمانة وعدم التحيز لمجالي أو لأحد أســـاتذتي - البروفيسور إيجيما - أود أن أؤكد للقارئ الكريم أن مـــا قام به إيجيمـــا وفريقه كان بمنزلة إعجاز أكاديمـــي وبحثي في مجال علوم النانو والمواد المتقدمة غير مسبوق. أيضا، فقد مثل هذا الاكتشاف لطمة قوية لكل المتشككين في هوية تكنولوجيا النانو، ومسمارا أخيرا في نعوش تلك الشـــكوك! ومن الطريف أنه بعد أشهر قليلة من ذلك الاكتشاف، «هرول» كثير من هؤلاء المتشـــككين صوب «إمبراطورية تكنولوجيا النانو»، ســـاعين إلى أن يكونوا من حاشيتها وتابعيها! ولم لا فأبواب العلم غير موصدة، ومجال البحث العلمي في تكنولوجيا النانو مفتوحة لجميع المتخصصين الحقيقيين المحترفين، أما الهواة من مدعي التخصص، فهذا موضوع آخر!

ماهية أنابيب الكربون النانوية؟

أنابيـــب الكربـــون النانوية، التـــي تتفرد بصفات وخواص مدهشـــة لم يعرفها الإنســـان من قبل، هي عبارة عن أنابيب طولية مجوفة ذات أقطار متناهيـــة في الصغـــر، حيث تتدنى مقاييس أبعـــاد أقطارها إلى نحو 1.4 نانومتـــر. ويوضح الشـــكل (7 - 5) في (أ) رســـما تخطيطيـــا لأنبوبة من تلـــك الأنابيب، والتي فيها تترابط ذرات الكربون بعضها ببعض بواســـطة الروابـــط، متطابقة في هذه بنفس الروابط التســـاهمية التي تجمع بينها في مـــواد الكربون الأخرى، مثل الغرافيت، والمـــاس وكرات بكي. ويعرض الشـــكل (7 - 5) في (ب) صورة فوتوغرافية للبروفيســـور إيجيما حاملا فيها نموذجا ليـــس مطابقا للمقاييس الحقيقية لأنبوبة الكربون التي تكاد ترى تحت الميكروسكوبات الإلكترونية النافذة فائقة التكبير، كان قد جمعه بنفســـه ليعرض عليه، خلال أحد المؤتمرات الدوليـــة، كيف تترابط ذرات الكربون في سلاسل طولية ممتدة لتكون أنبوبة الكربون النانونية.



الشكل (7 - 5): (أ) رسم تخطيطي من تصميم مؤلف هذا الكتاب يوضح شكل أنبوبة من أنابيب الكربون النانونية، التي لا يتعدى مقياس بعد قطرها 1.4 نانومتر. ويبين الشكل أيضا ذرات الكربون، التي ينتج عن ترابطها التساهمي بعضها ببعض تأليف هيكل الأنبوبة. ويعرض الشكل في (ب) صورة فوتوغرافية للبروفيسور إيجيما، أخذت له وهو يحمل بين يديه نموذجا مكبرا عشرات الآلاف من المرات لأنبوبة الكربون النانوية التي اكتشفها في العام 1991 (1).

كيف تم الاكتشاف؟

يروي البروفيسور إيجيما، أنه كان متعلقا ومغرما بكريات بكي، ليس فقط بسبب جمال مطلعها عند فحصها وتعيين بنيتها تحت الميكروسكوبات الإلكترونية النافذة، ولكن نظرا إلى أنها تمثل مستقبل صناعة الحواسب والأجهزة الإلكترونية. لذا، وهو الباحث بشركة NEC إحدى أهم شركات صناعة الإلكترونيات في العالم، فقد انجرف نحو

دراســـة البكي بول، حيث كثف أنشـــطته البحثيه حول تطويرها وتحسين خواصها وسماتها، وذلك منذ أن أعلن فريق العمل البحثي بجامعة رايس الأمريكية اكتشافهم لها.

وفـــي إحدى المرات التي قام فيهـــا إيجيما بتخليق تلك الكريات، وفي أثناء فحصه لها تحت الميكروســـكوب النافذ الإلكترونـــي، لاحظ وجودها مختلطة مع جســـيمات نانوية أســـطوانية الشـــكل لا تتعدى أقطـــار مقاطعها الدائرية 1.4 نانومتر، برزت تحت الميكروســـكوب وكأنها أنابيب مفرغة! وقد لفتت تلك الجســـيمات ببنية هياكلها الفريدة المؤلفة مـــن مئات الآلاف من ذرات الكربون المرتبطـــة، وامتـــداد أطوالها إلى عـــدة مئات من النانومتـــرات، انتباه إيجيما، فاســـتوقفته ونحته عن فحص ما أمامه من كريات بكي. ومن هنا بدأت قصة الاكتشاف، الذي لم يفصح عنه إيجيما إلا بعد التأكد مرات ومرات من صحته، حيث قام بتحضير عشرات العينات الأخرى بنفس طريقة التحضير المستخدمة في العينة الأولى، الذي أثبتت صدق ما شاهده وصحة التجربة التي جعلت منه أشهر علماء القرن العشرين في مجال علم وتكنولوجيا النانو.

وأود هنا أن أطرح عدة تساؤلات: هل المصادفة وحدها هي المسؤولة عن تحقيق هذا الإنجاز العلمي غير المسبوق؟ ماذا لو قدر لتلك العينة أن تقع تحت عيني فاحص آخر غير إيجيما؟ هل كان سيصب تركيزه على تلك الأنابيب معتبرا إياها جسيمات غريبة تلوثت بها العينة؟ ومن يدري، فلربما كانت هذه الأنابيب الفريدة تقع أمام عيون فاحصين وعلماء آخرين قبل إيجيما، لكنها لم تسترع انتباههم.

إذن، والكلام هنا إلى أبنائي الشـــباب وزملائي من الباحثين العرب، ليس من العار مطلقا أن يكتشـــف الباحث ظاهرة ما مـــن قبيل المصادفة، فمعظم الاكتشـــافات تمت على هذا النحو. ولعل نيوتن وتفاحته الشـــهيرة أحد أبرز النمـــاذج الدالة على هـــذا - لكن الأمر غير المقبول هنـــا، أن تتوافر لنا هذه «المصادفـــة» من دون أن تســـترعي ملاحظتنا وانتباهنـــا. ولربما تكون قصة اكتشـــاف أنابيب الكربون من الأمثلة الجيدة التي توضح كيف يستغل الباحث ما يراه، وكيف يسخر كل علمه المكتسب في تبرير سبب وقوع هذه المصادفة. وتماما مثلما فعل إيجيما وفريقه البحثي، فقد كانت تبريراتهم العلمية منطقية، تســـتند إلى أسس وأركان العلوم الأســـاسية، وهو ما جعل الوسط العلمي في العالم أجمع مطمئنا إلى تلك النتائج، ومصدقا لهذا الإنجاز العلمي الكبير.

أنواع أنابيب الكربون النانوية

تُحضَّر أنابيب الكربون النانوية بواسطة عدة طرق، من بينها:

- طريقة التفريغ القوسي Arc Discharger، وهي الطريقة التي استخدمها إيجيما في تحضير عينته الأولى لتلك الأنابيب.
- طريقة ترسيب الأبخرة الكيميائية Chemical Vapor Deposition (CVD).
- التذرية بواسطة أشعة الليزر Laser Ablation.

ويبذل الباحثون والعلماء منذ فترة، جهدا مضاعفا من أجل التوصل إلى طرق إنتاجية أخرى، أقل تكلفة وأكثر إنتاجية لتسد حاجة السوق العالمية من هذه المنتجات النانوية، التي ما زالت أسعارها مرتفعة.

ورجوعا إلى عدد الجدران التي تتألف منها الأنبوبة الواحدة، يمكن تصنيف أنابيب الكربون النانوية المنتجة إلى فئتين هما: أنابيب أحادية الجدران Single-walled Nanotubes (SWNT) وأنابيب متعددة الجدران Multi-walled Nanotubes (MWNT).

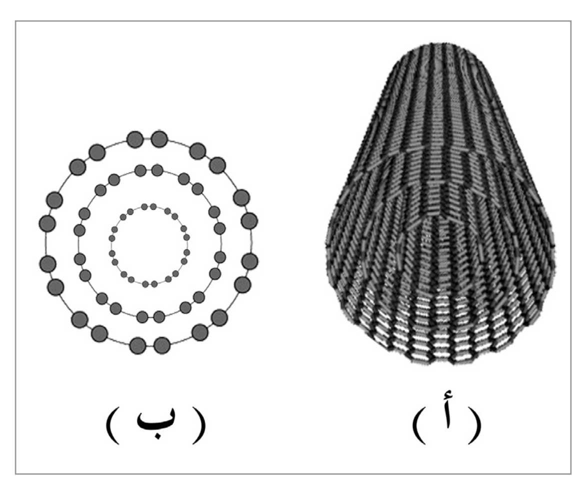
الأنابيب أحادية الجدران

يوضح الشكل (7 - 5) في (أ) رسما تخطيطيا لأنبوبة الكربون أحادية الجدران، وهي النوع الأكثر شهرة من الأنابيب. وإذا تأملنا جيدا ذلك الشكل، سوف نستنتج أن تلك الأنابيب الفردية يمكن تخيلها على أنها صفائح طولية من الغرافيت، ملفوفة على هيئة أسطوانات مصمتة، ينتهي طرفاها بنصفي كرة من كرات بكي، ولذلك يطلق عليها أحيانا، اسم أنابيب بكي Buckytube، وحيث إن النسبة بين طول وقطر هذه الأنابيب كبيرة للغاية، حيث تصل قيمتها إلى مليون، فإنه يمكننا تجاهل قيمة تلك الأقطار لضآلتها، وأن نعبر عن هذه الأنابيب ببعد واحد فقط One-dimensional Structure وهو الطول، الذي قد يمتد ليصل إلى 50 ألف نانومتر.

الأنابيب متعددة الجدران

يوضح الشكل (7 - 6 «أ») رسما تخطيطيا لأنبوبة من الأنابيب النانوية المتعددة الجدران، المؤلفة من مجموعة متداخلة من أنابيب أحادية الجدران لها أقطار مختلفة لكنها تشترك في مركز واحد (7 - 6 «ب»). وتختلف

أطـوال وأقطار بنية هذا التركيب عن نظيره في الأنابيب أحادية الجدران اختلافا بينا مما يؤثـر بطبيعة الحال في خواصها التي تختلف تماما عن خواص الأنابيب أحادية الجدران.



الشكل (7 - 6): (أ) رسم تخطيطي يوضح شكل أنبوبة من الأنابيب المتعددة الأقطار، المؤلفة من مجموعة من الأنابيب المتداخلة. وعند مشاهدة هذه الأنابيب من مسقط أمامي، نلاحظ أنها عبارة عن عدة دوائر مختلفة الأقطار ومتحدة في المركز، كما هو موضح في (ب) [1].

الخواص

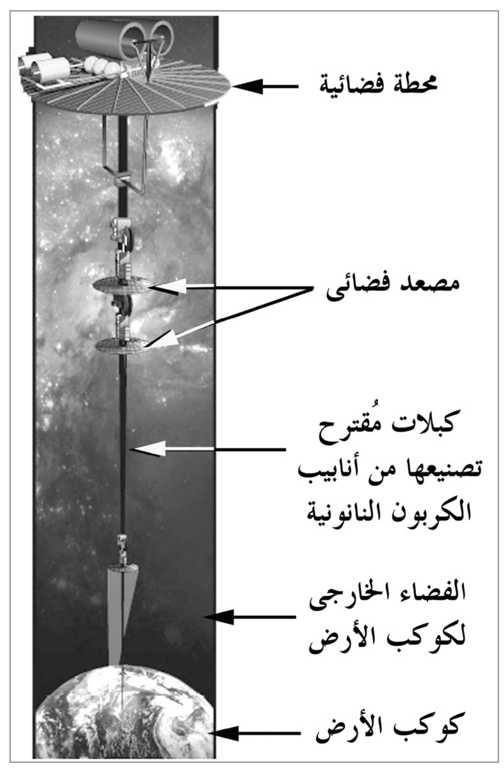
بعدما أفردنا تلك المساحة العريضة، التي وصفنا من خلالها البنية التركيبية لأنابيب الكربون النانوية، من المنطقي أن يتساءل القارئ الكريم، ومعه كل الحق في ذلك، عن ماهية أمارات «الحسن» في الصفات و«الكمال» في الخواص التي تتمتع بها تلك الأنابيب النانوية، والتي جذبت إلى «مملكتها» أكثر من ستة آلاف باحث من مختلف بقاع العالم؟

كان لارتفاع قيم «قوة أو مقاومة الشد» (Tensile Strength) [13] التي تتمتع بها تلك الأنابيب، أبلغ الأثر في جذب انتباه الأوساط العلمية بمختلف تخصصاتها، والصناعية على حد سواء. وقد تم تعيين مقدار مقاومة الشد لأنابيب الكربون النانونية بواسطة ميكروسكوب القوة الذرية، ووجد أنها تساوي 100 ضعف قيمة مقاومة أقصى أنواع الصلب لإجهادات الشد! وذلك على الرغم من خفة أوزانها، حيث تتدنى كثافتها إلى سدس - $\frac{1}{6}$ - قيمة كثافة الصلب.

ولم يكن من الغريب أن تعمد وكالة ناسا NASA [14] إلى تنفيذ مشروع برنامج بحثي ضخم، اشــترك فيه 50 عالما متميــزا ينتمون إلى 20 مركزا بحثيا، بهدف دراســة مدى إمكانية اســتخدام أنابيب الكربون النانوية في صنع كابلات Cables قوية لمصاعد فضائية Space Elevators، تكون قادرة علــى الربط بين المحطات الأرضية ومحطات الفضاء الخارجي، وذلك وفقا للرسم التخيلي الموضح بالشكل (7 – 7). وانتهى تقرير المرحلة الأخيرة من المشــروع [15] إلى التوصية في أن فكرة تصنيع كابلات من أنابيب الكربون قائمة وممكنة، شريطة استمرار الجهود نحو تحقيق ذلك الهدف، الذي تبلغ تكلفته المتوقعة نحو 10 مليارات دولار. وقد أوضحوا في تقريرهم، أن المدة الزمنية المطلوبة لتنفيذ ذلك المصعد الفضائي، يتوقع ألا تزيد على 15 عاما، وذلك بدلا من 300 عام، كما أفادت بذلك دراســة سابقة قد أجريت لنفس الهدف، لكن قبل اكتشاف الأنابيب الكربونية، نانوية الأقطار.

وعلى الرغم من تساوي مقدار قيمة صلادة Hardness هذه الأنابيب مع الماس [16] – أصلد مادة معروفة للإنسان – فإن أنابيب الكربون النانوية مرنة Elastic، حيث تبدي مقاومة فائقة ضد التشوه والكسر إذا ما عُرِّضت لأعلى قيــم من إجهادات الثني والانحناء Bending Stresses، متفوقة في ذلك على جميــع فئات المواد المرنــة Elastic Materials المعروفة، وتفوق قيمة مقاومة الصلب للانحناء بنحو خمســة أضعاف. وقــد وفرت تلك المرونة Elasticity العالية، التي تتســم بها أنابيب الكربون، قدرة فائقة على اســتعادة شــكلها الطبيعي بعد زوال أي إجهادات قد تؤثر فيها، وذلك دون أن تبدي أدنى تغير أو تشوه مصاحب، وكأنها قطعة من المطاط المعروف بمرونته العالية.

وبالإضافــة إلى تلك الخواص الميكانيكــة الفريدة التي تتمتع بها أنابيب الكربــون النانونية، فهــي أيضا تتمتع بعدد ضخم من الخــواص الفيزيائية والكيميائية الفريدة. وتأتي قدرة تلك الأنابيب على الموصلية الكهربية، أحد أهم الخواص الفيزيائية التي تتمتع بها، حيث تتضاعف في قيمتها عن قيمة فلــز النحاس بنحو 1000 مرة [17]. وأضف إلى ذلك، قدرتها غير المعهودة بأي مادة على التوصيل الحراري Thermal Conductivity، الذي تتســامى قيمته لتزيد بنحو عشرة أضعاف على ما هي عليه بفلز الفضة [18].



الشكل (7-7): تصميم افتراضي يبين نموذج مصعد الفضاء، مكون من مركبتين، المقترح إنشاؤه ليربط بين المحطات الأرضية على سطح كوكب الأرض بنظيرتها الفضائية. ويوضح الشكل كابلات مصنوعة من أنابيب الكربون النانوية المسؤولة في حمله والصعود به إلى المحطات الخارجية، أو الهبوط إلى المحطات الأرضية على سطح كوكب الأرض. (الصورة منقولة من المرجع 15 مع بعض التصرف من قبل مؤلف هذا الكتاب في إضافة الشرح على الشكل)

التطبيقات الفعلية والمتوقعة

إن الخواص التي تتمتع بها أنابيب الكربون النانونية، مع وجود عدة مئات من الأبحاث العلمية المنشورة في أعرق الدوريات العلمية، قد تُصعِّب مهمة مؤلف أي كتاب في أن يحصر التطبيقات الخاصة بهذه الفئة الفريدة من المواد النانوية. وقد رأيت أن أعرض ملخصا لبعض هذه التطبيقات، الحالي منها أو المرتقب، وذلك من خلال النقاط التالية:

○ تخزين الطاقة Energy Storage

- صناعة خلايا الوقود Fuel Cells.
- تخزين الطاقة الشمسية Solar Storage.
- صناعة أوعية لتخزين الهيدروجين Hydrogen Storage Containers.
- صناعة بطاريات الليثيوم Lithium Batteries.
- صناعة المكثفات الكهروكيميائية فائقة السعة Electrochemical Supercapacitors.

○ الإلكترونيات Electronics

- أجهزة الانبعاث الحقلي Field Emitting Devices.
- الترانزستورات Transistors.
- المجسات النانوية والحساسات Nanoprobes and Sensors.
- الحساسات الكيميائية Chemical Sensors.
- شاشات العرض المسطحة Flat Panel Display Screens.
- أجهزة النظم الكهربائية والميكانيكية الميكرومترية Microelectro Mechanical Systems (MEMS).

هذا وتوظف أنابيب الكربون النانوية في عدة مجالات أخرى، من بينها:

- دعم وتقوية المواد المتراكبة Composite Reinforcements.
- صناعة فلاتر (مرشحات) تنقية المياه Water Filters.
- صناعة الأغشية Membranes المستخدمة في عمليات تحلية المياه Water Desalinations.
- تدوير المخلفات Waste Recycling.
- توصيل الدواء (إلى داخل جسم الإنسان) Drug Delivery.



8

أمثلة لنانويات أخرى

«إن المصادفة، المبنية على قاعدة متينة من الأسس العلمية، والممزوجة بالإصرار والكفاح، من شأنها أن تؤدي إلى اكتشافات علمية فريدة غير متوقعة»

المؤلف

استفضنا في الفصل السابق في الحديث عن الصور المختلفة لعنصر الكربون ومواده النانوية، التي اكتُشفت خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وذلك نظرا إلى الأهمية التكنولوجية القصوى التي تمثلها تلك المواد.

ولكن، هل هذا فقط ما تمتلكه خزائن تكنولوجيا النانو من مواد مبتكرة وفريدة؟ بالطبع لا، عزيزي القارئ، فكما تعلم، هناك العشرات والعشرات من «النانويات» الفريدة التي اكتُشفت خلال الفترة نفسها المواكبة لاكتشاف صور الكربون النانوية المتقدمة. وما زالت روائع الإبداعات البحثية النانوية، تهدي البشرية موادها الجديدة بصورة شبه يومية. وقد رأيت قبل أن ننتقل معا إلى أعتاب الباب الثالث

الخاص بنمــاذج للتطبيقات الواعدة لتكنولوجيــا النانو، أن أعرض خلال صفحات هذا الفصل من الكتاب بعضا من المواد النانوية الفريدة، بصفاتها المتميزة واستخداماتها المهمة، الحالية والمرتقبة.

- **المحفزات الضوئية النانوية**

ليــس بخافٍ عــن القارئ الكريم، أنــه منذ بداية هــذا القرن، ارتبط مصطلــح الحفــز الضوئــي Photocatalysis ارتباطا وثيقــا بتكنولوجيا النانــو، الأمر الذي نتــج عنه ميلاد عدد من المخرجــات المبتكرة المعروفة باســم المحفزات الضوئيــة النانويــة Nano Photocatalysts، والتي تلقى منذ ســنوات قليلــة، رواجا وإقبالا منقطعي النظيــر. وفي الآونة الأخيرة أيضــا، ونتيجة لنجاح تكنولوجيــا النانو في إنتاج تلــك الفئة المتميزة من المواد المتعددة الاســتخدامات والتطبيقات Multifunctional Materials، أضحى كثير من المصطلحات الفنية والتقنية المرتبطة بعمل وأداء تلك المواد النانوية المتقدمة، كلمات شائعة وتعبيرات متداولة بين أفراد الأسرة.

فمن منا لم يسمع عن كريمات ودهانات البشرة الحاجبة Sun Blocker للأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس للوقاية من تأثيراتها الضارة؟ مــن منا لم يتابع حمــلات الدعاية والترويج الخاصــة لكثير من المنتجات الكهربية مثل الثلاجات، ذات الأســطح الداخلية المُغطاة بطبقة رقيقة من تلــك المحفزات الضوئية التي تعمل كمضــادات للبكتيريا Anti-bacterial والفطريات Anti-fungicidal لمنعهما من الانتشار بداخلها؟

وكثيرا ما نســمع ونشاهد اليوم، تقارير عن توافر أجهزة تكييف مزودة بفلاتر هوائية خاصة، قادرة على التخلص من البكتريا العالقة بجو الغرف المُغلقة وتنقيته من العوالق الدقيقة التي تضر جسم الإنسان عند استنشاقها. ونشــاهد كذلك في الأســواق كثيرا مــن الأجهزة التــي تُوظف المحفزات الضوئيــة النانوية لتنقية الوســط الهوائي الداخــل للمنازل، وتخليصه من الروائح الكريهة Deodorizing. هذا إلى جانب توافر فلاتر مياه لها القدرة علــى تصفية وتنقية مياه الشــرب داخل المنزل من العوالــق والملوثات، إلى جانب تخليصها من العوالق البكتيرية والفطرية التي قد توجد بها.

وفــي قطاع المباني والعمارة، أصبح اســتخدام ألــواح زجاجية مُغطاة بطبقة رقيقة شــفافة من حبيبات المحفزات الضوئية، كواجهات للبنايات، أمرا مألوفا، حيث تحافظ تلك المحفزات على نظافة تلك الأسطح بصورة دائمة، وتحول دون ترســب أي عوالق أو ملوثات هيدروكربونية عليها، لذا فهــي تضمن ما يُعرف الآن بمصطلح التنظيف الذاتي Self-cleaning. كل هذه المُنتجات وغيرها، متوافر الآن بشــكل واسع في كل الأسواق العالمية، وعلى الأخص في أســواق منطقتنا العربية، المعروفة بقدرتها الاستيعابية والاستهلاكية الضخمة للمنتجات التكنولوجية المتقدمة، ولاسيما منتجات تكنولوجيا النانو التي أصبحت ملء السمع والبصر.

• **حبيبات ثاني أكسيد التيتانيوم**

ترجع معرفة العالم بمادة ثاني أكســيد التيتانيوم TiO_2 إلى عهد بعيد، حيث كانت وما زالت مساحيقه الناعمة تستخدم في صناعة مواد الأصباغ والطلاء. وترجع أســباب اســتخدام هذه المادة خلال تلــك الفترة الزمنية الطويلة لرخصها وثباتها الكيميائي، علاوة على أنها مادة صديقة للإنسان والبيئة. وعلــى الرغم من هذا الثبات الكيميائــي العالي لمادة TiO_2، فإنه عنــد تعرضها لمصدر من مصادر الضوء، مثل الأشــعة فوق البنفســجية، يزداد نشــاطه الكيميائي بشــكل كبير ومُلاحظ. وقد عُرفت تلك الخاصية الكيميائية منذ نحو 80 ســنة، حــين لوُحظ «تَقَشُّــر Flaking» في طبقة الحوائط المطلية بدهان TiO_2، وذلك عند تعرضها لأشعة الشمس [1]، التي تُسبب أيضا تغيرا في ألوان الأقمشة التي تدخل بصبغتها مادة TiO_2.

ومنذ مطلع القرن الماضي، كثّف العلماء والباحثون من مختلف المدارس العلمية في العالم دراســتهم بشأن هذه الظاهرة التي تُعرف باسم النشاط الضوئي Photoactivity، حيث أظهرت نتائج تلك الدراســات المستفيضة التي خضعت لها حبيبات TiO_2، بأنها مادة لها قدرة عالية على الامتصاص والتشبع بأشعة الشــمس فوق البنفسجية، وهذا يؤدي إلى تولد ذرات من الأكســجين على ســطح تلك الحبيبات. وقد عزا العلماء سبب «النصاعة الظاهرية» التي تبديها الصبغات والدهانات المؤلفة من تلك الحبيبات، إلى

خاصية فريدة تتمتع بها هذه المادة، تُعرف باسم «القصارة أو الابيضاض الضوئي Photobleaching». وهذه الخاصية ليست محصورة فقط في حبيبات TiO_2 النانوية، لكنها موجودة في أكاسيد نانوية أخرى، وإن اختلف مقدارها وشدتها، مثل أكسيد الزنك ZnO.

• **ظاهرة الحفز الضوئي**

وجدت أن أتحدث في البداية عن الكيفية والأسباب المؤدية إلى أن تسلك حبيبات أكسيد التيتانيوم TiO_2 هذا السلوك عند تعرضها لأشعة قادمة من مصدر ضوئي معين مثل أشعة الشمس فوق البنفسجية. كلنا نتذكر ميكانيكية امتصاص الضوء في المواد من أشباه الموصلات Semiconductors النقية، مثل السيليكون والجرمانيوم، والتي إذا ما عُرضت إلكتروناتها الواقعة في نطاق التكافؤ الخارجي Valance Band لذرات تلك المواد، إلى مصدر ضوئي - طاقة ضوئية، تُسمى طاقة الفوتونات Photon energy - يعمل ذلك على إثارتها و«تمردها» على البقاء والاستمرار في هذا النطاق من الذرة، وذلك كنتيجة لاكتسابها تلك الطاقة. وتتبع ذرات المحفزات الضوئية النانوية، مثل TiO_2، الميكانيكية نفسها، فقد أكسبتها مقاييس أبعاده النانوية الصغيرة جدا خواص المواد من أشباه الموصلات، على الرغم من كونها أكاسيد فلزية.

وعند اكتساب هذه الإلكترونات طاقة عالية، تفوق في قيمتها مقدار قيمة الطاقة التي تربطها بنواة الذرة، فإنها تتحرر، متسامية على مدارها، لترتقي إلى نطاق آخر يُعرف باسم نطاق التوصيل Conduction Band، الذي يفصله عن النطاق الأول فجوة، تُعرف باسم فجوة النطاق Band Gap. وخلاصة القول هنا، إن الإلكترونات المهاجرة من مداراتها الخارجية الواقعة في نطاق التكافؤ، تكتسب طاقة عالية تسمى Band-gap Energy، تكون كالجسر الرابط بين نطاقي التكافؤ والتوصيل، والتي بها تتمكن الإلكترونات الخارجية من عبور الفجوة. وحيث إن الإلكترونات بالذرة تحمل شحنات سالبة، فإنها حينما تغادر مواقعها بنطاق التكافؤ، تحمل معها تلك الشحنات، تاركة من ورائها

فراغات موجبة الشــحنات. ولكن ســرعان ما تنجذب تلك الإلكترونات ســالبة الشــحنات، نحو مواقعها الأصلية (الفراغات الحاملة لشحنات موجبة) فتعود إليهــا وتحتلها. ولكنها لا تكاد تتأثر ثانية بفوتونات ضوء الشــمس - طاقة ضوئية - حتى تترك مواقعها مرة أخرى، لتنطلق إلى نطــاق التوصيل. وهكذا تكون الإلكترونات فــي حركة دائبة داخل بلورة المواد من أشباه الموصلات، ليتولد بذلك جهد كهربي بينها وبين الفجوات موجبة الشــحنات، وعلى أساس ذلك الجهد يســير التيار الكهربي، بين القطبين - السالب والموجب.

• التنظيف الذاتي للأسطح

قبيل نهاية تســعينيات القرن الماضي، أجــرى فريق عمل بإحدى الجامعــات اليابانيــة تجربة مهمــة بهدف التحقق مــن مدى فاعلية طبقات TiO_2 المؤلفة من حبيبات نانوية، على إذابة الملوثات العضوية من على ســطح المواد [2]. وقــد أجرى الفريق تجربــة رائدة، والتي فيها رُسِّــبت طبقة من حمض الإستيريك (مادة عضوية)، بلغ سُمكها نحو 2 نانومتر، وذلك فوق ســطح بلورة أحادية من مادة TiO_2. وقام الفريق بعد ذلك بحســاب عدد الجزيئات من حمض الإستيريك التي تُغطي المساحة السطحية لمادة TiO_2. وقد وجدوا أن السنتيمتر المربع الواحد مــن TiO_2 يغطيه نحو 10^{16} جزيء من حمض الإســتيريك. ثم قاموا بعد ذلك بتعريض هذه الطبقة العضوية المترســبة لفوتونات ضوئيــة صادرة عن مصدر لتوليد الأشــعة فوق البنفســجية، وذلك لفترات زمنية مُختلفة. وبعد كل فترة زمنية، لاحظ الفريق أن سُــمك الطبقــة يتناقص تدريجيا مع زيادة المُدة الزمنية المخصصة لتعريضه للفوتونــات الضوئيــة، إلى أن تلاشــت الطبقة تمامــا بعد تعريضها للمصــدر الضوئي لمدة 20 دقيقــة. وقد اســتنتج الباحثون من تلك التجربة، قدرة مادة ثاني أكســيد التيتانيوم (TiO_2) على تحليل مادة حمض الإستيريك العضوية، المترسبة على السطح وتحويلها إلى بخار ماء وثاني أكسيد الكربون.

وقد أثارت هذه التجربة، وما تلاها من سلســلة تجارب للفريق ولفرق بحثية أخرى من جميع المدارس البحثية في العالم، جدلا كبيرا، حيث أكدت نتائج كل تلك التجارب مدى فاعلية المحفزات الضوئية النانوية لمادة TiO_2 فــي مجال تغطية ووقاية الأســطح من تراكم الملوثــات والعوالق العضوية الموجودة بالأوســاط البيئية المختلفة. وأرجعت النتائج تلك الخاصية التي تتمتــع بها مــادة TiO_2 إلى أن تعرض المادة لذلــك المصدر الضوئي يؤدي إلى تكون فجوات موجبة الشــحنات في بلوراتها، ما يخلق بيئة مؤكســدة قوية، من شأنها تحليل المواد العضوية وتحويلها إلى مركبات هيدروكربونية صديقة للبيئة. ومنذ ذلك الحين سُميت هذه العملية باسم التنظيف الذاتي Self-Cleaning للأسطح.

وقــد أوحت تلك القدرة المتميزة التي تتمتــع بها حبيبات مادة TiO_2 النانويــة، لفريق بحثــي ياباني بالتعاون مع هيئة الطرق الســريعة هناك وذلك لتنفيذ مشــروع بحثي مشــترك، قــام فيه الفريــق بطلاء أغطية كشــافات الإنــارة لمصابيح الصوديوم، المســتخدمة في إضــاءة الأنفاق المنتشرة بشــبكة الطرق الســريعة هناك، بطبقة رقيقة شفافة من مادة TiO_2 النانوية، وذلك بغــرض التنظيف الذاتي للأغطية الزجاجية لتلك الكشــافات [3]. وقد بُنيــت الفكرة على أســاس أن مصابيح الصوديوم الموجودة داخل الكشافات تشــع منها طاقة ضوئية قوية يمكنها الوصول بســهولة إلى الطبقة المُستخدمة في طلاء أغطية الكشافات. وبالفعل قد نجحت الفكرة، إذ تمكنت حبيبات مادة TiO_2 النانوية من حماية أســطح أغطية الكشــافات الخارجية مع الترسيبات الهيدروكربونية الناتجة عن ســوء التهوية داخل تلك الأنفاق بالطرق الســريعة التي تســتوعب يوميا كثافة مرورية عالية.

ويوضح الشكل (8 - 1) صورة لموقع النفق (الشكل 8 - 1 «أ») التُقطت بغرض إبراز تأثير طلاء أغطية كشــافات الصوديوم بطبقة رقيقة شفافة من مادة TiO_2 النانوية، في عتامة أو نقاوة أغطية الكشــافات بعد تشغيل مصابيح الصوديوم المســتخدمة في إضاءة النفق. ويتضح من هذا الشكل، أنه على الرغم من تشغيل النفق لأشهر عدة، تحت ظروف الكثافة المرورية

العالية نفسـها التي يعانيها، فإنه مع اسـتخدام طبقة من TiO_2، حافظت أغطية كشـافات الصوديوم على درجة نقاوتها (الشكل 8 - 1 «ب»)، الأمر الذي أدى إلى المحافظة على مستوى الإنارة المطلوب توافره داخل النفق.

ويعقـد الشـكلان (8 - 1 «جـ») و(8 - 1 «د») مُقارنة أجريت للغرض نفسه، على غطاء واحد من كشافات الإنارة طُلي بطبقة من TiO2 «جـ» بينما لم يطلَ الجزء الآخر «د». وبعد تشغيل الإضاءة عدة أشهر، اتضح أن الجزء الـذي لم يضأ، قـد تراكمت عليه ترسـيبات هيدروكربونية كثيفة، فأصبح معتما، هذا على النقيض من الجزء الآخر. هذا ويمثل الشـكل (8 - 1 «د») صورة لأحد أغطية كشـافات الإنارة المضاءة لأشـهر عـدة، والتي لم تُغطَ بطبقة TiO_2 النانوية، أُخذت كصورة مرجعية تُسـتخدم للمقارنة بين نقاوة أسطح الكشافات المُضاءة، قبل وبعد عملية الطلاء.

• مكافحة البكتيريا والتلوث الميكروبي

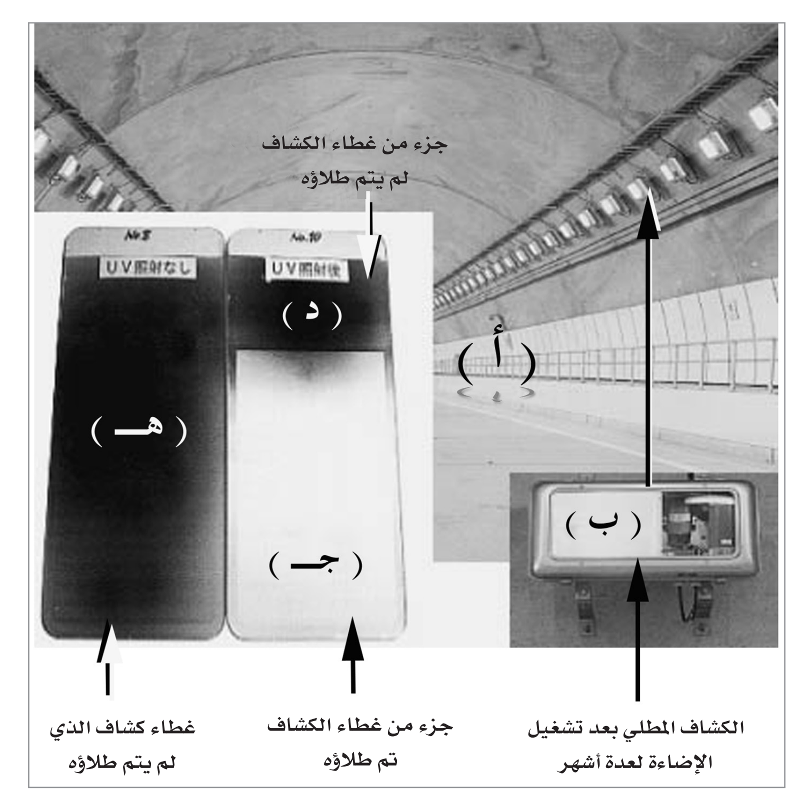
ومع تزايد الأنشـطة البحثية والتطبيقية المُكثفة التي أجرتها كثير من الأكاديميات ومراكز البحوث في العالم على حبيبات ثاني أكسيد التيتانيوم TiO_2، أكـدت مُخرجـات البحـوث العلمية أن قدرة المحفـزات الضوئية النانويـة، مثل TiO_2، الفائقة على تحليل المـواد والمركبات العضوية يمكن تطبيقها في مجال الكائنات المجهريـة Microorganisms. وقد أوضحت التجـارب التي أُجريت لمعرفـة تأثير حبيبـات TiO_2 النانوية في الخلايا المعروفة باسـم الإيشيرشـيا كولي المعوية Escherichia Coli (E. Coli)، وقدرة تلك الحبيبات على القضاء نهائيا على تلك الخلايا البكتيرية، وذلك من خلال تعريضها لمدة أسـبوع واحد لمصدر إشـعاعي من الأشـعة فوق البنفسجية، وبكثافة بسيطة لا يزيد مقدارها على $1mW/cm_2$ [4].

وفي دراسـة أخرى، أظهرت النتائج أن القضاء على نشاط خلايا الإيشيرشيا كولي المعوية، يمكن أن يتم تنشيطه بصورة أقوى وفي حيز زمني أقل، إذا مـا غُلفت حبيبات TiO_2 النانوية بأغطية نانوية رفيعة السـمك، مخلقة مـن فلزي النحاس أو الفضـة [5]. وقد أكدت نتائج هـذه الدراسـة، أن وجود تلك الطبقات الفلزية الرفيعة على أسـطح

حبيبـــات TiO_2، يضاعـــف من قدرتها في القضـــاء على تلك الخلايا الجرثومية، حتى في عدم وجود الأشـــعة فوق البنفســـجية، والاكتفاء فقط بتوفير مصباح إضاءة من الفلوريسنت [5] كمصدر إضاءة ضعيف لتوليد الفوتونات الضوئية التي تحتاج إليها المحفزات الضوئية النانوية لأداء وظائفها.

وتجدر الإشـــارة إلى النتائج العلمية المهمة التي وفرتها دراســـة حديثة أُجريـــت في العام 2009[6] بهدف التعـــرف على قدرة المحفزات الضوئية النانويـــة لمادة TiO_2 على قتل الفيروســـات العالقة بالأجـــواء المُغلقة، مثل مراكز التســـوق، المكاتب، دور الســـينما والمســـرح، التي تزداد فيها أنشطة الفيروســـات التي تصيب الجهاز التنفســـي للإنســـان. وقـــد خلُصت تلك الدراســـة المهمة إلى توفير عوامل الحماية الصحية والبيئية اللازمة لرواد تلك الأماكن، وذلك عن طريق استخدام أنواع مُبتكرة من مُنقيات الجو التي تدخل مادة TiO_2 في تصنيعها، والتي من شأنها أن تقضي نهائيا على هذه الفئة من الفيروســـات الخطيرة التي قد يكون من بينها الفيروس المعروف باسم إنفلونزا الخنازير Swine Flu (H1N1).

ومنذ أن نُكب العالم في الســـنة الماضية بتفشـــي H1N1، واتساع رقعـــة الإصابة به في أماكن متعددة في العالم، تنافســـت الشـــركات العالمية المتخصصة في إنتاج أجهزة مُنقيات الجو والفلاتر، في توظيف حبيبات وطلاءات مادة TiO_2 النانوية وإدخالها في صناعة منتجاتها. ولا أدري، فلربمـــا صدقت تلـــك النتائج البحثية التـــي تؤكدها الفرق البحثيـــة التابعة لتلك الشـــركات المُجراة، بقـــدرة منتجاتها على دحر هذا النوع الجديد من الفيروســـات من خلال تصفية الهواء وترشيحه بمصاف خاصة، غُطيت تغطية أسطحها بحبيبات بتلك المادة. هذا في الحين الذي تؤكد فيه دراســـة أخرى، أجرتها إحدى الشركات اليابانية المتخصصة في إنتاج الملابس، أنها قد توصلت إلى إنتاج أقنعة Masks خاصة، تترسب على ألياف أنسجتها طلاءات نانوية من حبيبات TiO_2، لهـــا القدرة على قتل فيروس H1N1 ومنعه من التســـلل والدخول إلى الجهاز التنفسي [7].



الشكل (8 - 1): (أ) جسم النفق وقت تشغيل إنارة كشافاته بعد أشهر عدة من طلاء أغطيتها بطبقة شفافة مكونة من حبيبات TiO2 النانوية، (ب) صورة لأحد الكشافات الموجودة في (أ)، (جـ) جزء من غطاء كشاف طلي، (د) جزء للكشاف نفسه الموضح في (جـ) لم يتم طلاؤه، (هـ) غطاء كشاف إنارة - لم يُطلَ بالكامل - بعد تشغيله فترة طويلة امتدت أشهرا عدة. (الصورة منقولة من المرجع 3 مع تصرف مؤلف هذا الكتاب في إضافة الشرح والتعليق على الصور المبينة).

وفي ظل ما توفره الخواص الكهروضوئية الفريدة التي تتمتع بها حبيبات TiO2 النانوية، فقد وُظفت في أعمال دهان وطلاء جدران غرف العمليات الجراحية، وغرف المرضى بالمستشفيات، حيث أثبتت التجارب الميدانية التي أُجريت، قدرة تلك الحبيبات في التعامل مع مختلف أنواع البكتيريا، الميكروبات وبعض الفيروسات - باعتبارها مواد عضوية - التي قد تتراكم على أسطح تلك الجدران، في القضاء عليها.

• أسطح نانوية مقاومة للبلل بالماء

كما ذكرنا في الفصل السابق من الكتاب، أن المصادفة، المبنية على قاعدة متينة من الأسس العلمية، والممزوجة بالإصرار والكفاح، من شأنها أن تؤدي إلى اكتشافات علمية فريدة غير متوقعة. فمن الطريف أن يذكر هنا، أنه في أثناء إجراء بعض الاختبارات الخاصة بتعيين الخواص التي تكتسبها أسطح المواد المُغطاة بطبقة نانوية من TiO_2 من أجل ترسيخ وفهم عملية التنظيف الذاتي لأسطح هذه المواد، اكتشف العلماء ظاهرة فريدة أخرى لم تكن في حسبانهم مطلقا! فهم لم يهدفوا إلى دراسة مدى قدرة قطرات الماء على بلل Wettability سطح المادة المُغطاة بطبقة من TiO_2 قبل وبعد التعرض لإشعاع الأشعة فوق البنفسجية.

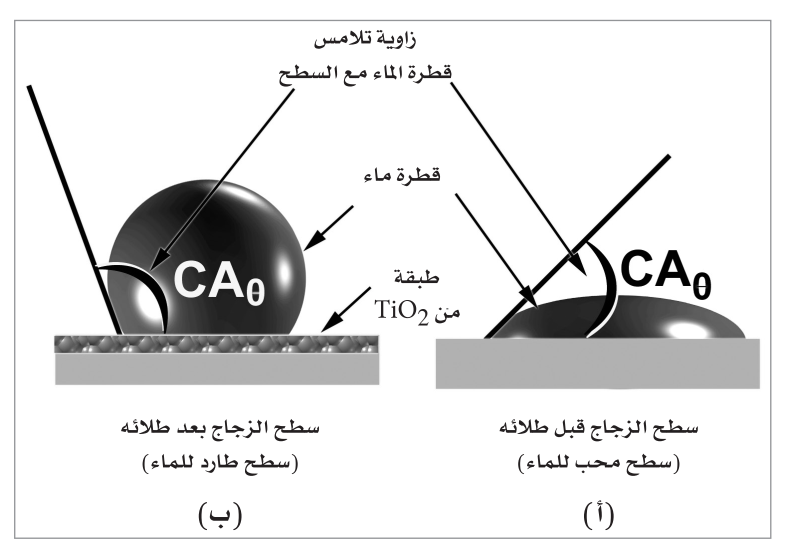
ومن المعروف أنه تقيّم قابلية سطح مادة ما للبلل والتأثر بالماء Surface Wettability – حبه للماء Hydrophilic أو بغضه وكراهيته له Hydrophobic – بواسطة قياس ما يسمى زاوية تلامس قطرة من الماء Water Contact Angle (CAΘ) لسطح مادة ما. وكلما زادت قيمة هذه الزاوية كان السطح كارها لقطرات المياه وطاردا لها. وعلى النقيض، فكلما قلت قيمة تلك الزاوية، دل هذا على حب السطح لقطرات الماء بأن تلتصق وتتراكم عليه.

ولكي نتفهم هذه الظاهرة عمليا، فما علينا إلا أن نقارن بين حالتين: الأولى، هي أن نقوم بسكب مقدار من الماء على سطح نظيف أملس ناعم، مصنوع من الزجاج مثلا، والثانية، هي أن نسكب المقدار المتبقي من الماء على سطح ورقة من الأوراق المستخدمة في لف الأطعمة عند إدخالها في أفران الطهو – تكون دائما مغطاة بطبقة شمعية. وسوف تمكننا تلك التجربة المهمة والبسيطة، من مشاهدة الفرق بين الحالتين بوضوح تام. فبينما تميل قطرات الماء الموجودة على السطح الزجاجي الأملس في أن «تتفلطح» لتستقر على السطح الزجاجي، تميل فيه نظيراتها من القطرات الموجودة على الورق المغطى بالطبقة الشمعية في أن تتكور على هيئة كرات تسهل إزاحتها من على السطح، ومن ثم فهي كارهة للمياه.

ونعــود ثانية إلــى المصادفة التي أدت إلى إظهــار صفة فريدة تتمتع بهــا مــادة TiO_2. فعند اســتخدامها في تغطية ســطح جســم ما، فإن قيمة - CAΘ المبدئية تمتد لعشــرات مــن الدرجات، وذلك اعتمادا على خشــونة وتضاريس سطح هذا الجسم. بيد أنه إذا ما تعرض سطح هذا الجســم المُغطى بمادة TiO_2 إلى الأشــعة فوق البنفســجية فإن قطرات الماء الموجودة على هذا الســطح تبدأ بأن تظهر انخفاضا كبيرا في قيمة الزاوية CAΘ ومن ثم تتولد عندها النزعة في أن تنتشــر انتشــارا أفقيا على السطح. هذا وقد حاولت كثير من الدراسات البحثية أن تفسر هذه الظاهرة غير المألوفة وأن تجيب عن الأساس العلمي لها [8، 9]. وتتلخص التفســيرات العلمية التي انتهت إليها نتائج تلك الدراسات، في أن سطح الزجاج الخارجي، عند تعرضه لقطرات من الماء فهي تنتشر وتلتصق به، مكونة في ذلك قيم زاوية كبيرة تعبر عن اســتقرارها على هذا الســطح المُحب لها. وفي حالة ترســب طبقة لزجة من الملوثات العضوية الموجودة بالهواء الجوي على هذا الســطح، فإنها تتكور وتتراكم مجتمعة على هذا السطح الزجاجي ما يؤدي إلى إعاقة الرؤية من الداخل. وفور تغطية تلك الأســطح الزجاجية، المُعرضة لمصدر الأشــعة فوق البنفسجية الآتية من الشمس، بمادة TiO_2 النانوية، فإن هذا يؤدي في البداية إلى تناقص في قيم زاوية تلامس القطرات لهذا الغطاء الموجود فوق الســطح الزجاجي، ما يحول دون استقرار القطرات على السطح، كما هو موضح في الشكل (8 – 2). أما إذا كان الســطح ملوثا بترسيبات هيدروكربونية، فإن طبقة TiO_2 تُحوّل تلك التجمعات الكروية إلى طبقة رفيعة السمك من الماء، لا تُعيق الرؤية.

وفــي الوقت الــذي يحمي فيه طلاء مادة TiO_2 الأســطح الزجاجية للبنايات والمنشــآت من البلل وتراكم قطرات المياه عليها، فهي في الوقت نفســه تقيها من التصاق حبيبات الأتربة والغبار بأســطحها، وذلك عن طريق تحليل المواد العضوية اللزجة العالقة على أســطح تلك الحبيبات – الأكســدة عن طريق التحفيز الضوئي – ما يحول دون التصاقها بالسطح الزجاجي المُعالج.

وقد وظفت بعض من شـــركات إنتاج السيارات الكبرى في العالم مادة TiO_2 نانوية الحبيبات، في طلاء الأسـطح الزجاجية الخارجية للسيارات والمرايـا الجانبية بها. وقد كانــت النتائج مدهشـــة، إذ يوفر هذا الطلاء الشفاف غير المُعيق للرؤية في أثناء سير المركبة، وقاية دائمة لتلك الأسطح الزجاجيـــة من أن تتجمــع عليها قطرات مياه الأمطـــار، كما أضاف إليها القدرة على تحليل جزيئات المواد الهيدروكربونية والتخلص منها. ويعرض الشـــكل (8 – 3) صورة مرآة جانبية، لإحدى السـيارت في أثناء سـيرها تحت هطول الأمطار، والتي قد طُلي نصف مســاحتها بطبقة شــفافة من مادة TiO_2 النانوية، بينما لم يُطل النصف الآخر بها. ومن الشــكل نستنتج أن وجود هذه الطبقة على سطح المرآة قد منع تراكم قطرات المياه – التي تكــون عادة محملة بملوثـــات عضوية – من الالتصاق بســطحها، ما وفر وضوح الرؤية النموذجية لقائد المركبة.



الشـكل (8 – 2) : رسـم تخطيطي يعقد مقارنة بين شـكل قطرة من الماء توجد على (أ) سـطح زجاجي أملس غير مغطى و(ب) السـطح نفسـه، ولكن بعد طلائه بطبقة رقيقة مؤلفة من حبيبات نانوية لمادة TiO_2. ومن الشـكل، نسـتطيع ملاحظة تدني قيمـة زاويـة التلامس بين قطرة الماء على السـطح غير المُغطـى (أ) مقارنة بقيمتها العالية بعد طلاء السطح بالمادة (ب) [10].



الشكل (8 - 3): صورة فوتوغرافية التقطت لمرآة جانبية، لإحدى السيارات إبّان سيرها في أثناء هطول الأمطار، طُلي نصفها بطبقة رقيقة شفافة من مادة TiO_2، بينما لم يُطل النصف الآخر، وذلك للمقارنة بين مدى وضوح الرؤية بالحالتين (11).

• معالجة التربة

كما ذكرنا مسبقا، فإن حبيبات مادة TiO_2 تُعد من أكثر المواد النانوية المتعددة الوظائف، إذ تُستخدم في مجالات عديدة، قد يصعب حصرها في فصل واحد من أي كتاب متخصص في تكنولوجيا النانو. وقد تمكن فريقٌ ياباني منذ فترة، في معالجة وتطهير مياه الصرف المتخلفة عن عمليات ري المحاصيل الزراعية، والتي تحتوي على مركبات عضوية متطايرة Volatile Organic Compounds، وذلك باستخدام المحفزات الضوئية النانوية لمادة TiO_2. وقد أرجع فريق العمل البحثي بهذا المشروع، أسباب نجاحهم إلى أن استخدام حبيبات نانوية من مساحيق TiO_2 فائقة النعومة،، قد أدى إلى سهولة انتشار تلك الحبيبات وتغطيتها مساحة كبيرة جدا من سطح التربة المُراد معالجتها. فقد كان للمساحة السطحية الكبيرة التي تتمتع بها تلك الحبيبات، الدور الأول في تجميع الأشعة فوق البنفسجية القادمة من الشمس، والتي أهلت تلك الحبيبات في أن تؤدي دورها بوصفها مؤكسدات قوية قادرة على تحليل الملوثات العضوية بالتربة وتحويلها إلى صور أخرى صديقة للبيئة (12).

وقد صمم هذا الفريق أيضا، نظاما مبتكرا يتألف من طبقات ورقية رقيقة مُغطاة بحبيبات نانوية من TiO_2، وذلك من أجل معالجة وتنقية التربة الملوثة بكلوريدات مركبات المواد العضوية. وقد قام الفريق البحثي

في بداية التجربة، بحرث التربة المُرادة معالجتها، وذلك بغرض إظهار لُبها للخارج وتعريضه لأشـعة الشمس. ثم غطَّى الفريق بعد ذلك هذا السطح الداخلي مـن التربة بالأفرخ الورقية المُغطاة بحبيبـات TiO_2 والتي تُرش بحبيبات ناعمة من مسحوق الكربون المُنشط Activated Carbon. وأعقب ذلك، تسـخين التربة عن طريق خلطها بأكسـيد الكالسـيوم، ما أدى إلى تبخر المركبات العضوية المتطايرة المُلوثة للتربة، متحولة إلى غازات سرعان ما تمتصها حبيبات الكربون المنشـط الموجود على أسطح الأفرخ الورقية، وذلك بمجرد تصاعدها من التربة.

وتبـدأ عندئذ مهمـة حبيبات TiO_2 النانوية المُعرضة لضوء الشـمس - مصدر الأشعة فوق البنفسجية - والموجود أسفل حبيبات الكربون، في التعامل مع جزيئات الأبخرة العضوية التي امتصتها حبيبات الكربون، وأكسـدتها كي تتحول إلى صور مركبات عضوية بسيطة صديقة للبيئة [12].

- **الحبيبات الكمومية**

الحبيبات الكموميـة Quantum Dots، هي عبارة عـن بلورات نانوية Nanocrystals مـن مواد أشـباه موصـلات، تُحضّر معمليـا على هيئة جُسـيمات كُروية Nanoparticles Spherical ذات أبعاد ثلاثية (X, Y, Z) منتظمة أو شـبه منتظمة. وعلى الرغم من أن هـذه الكُريات، كما ذكرنا، تُحضر على صورة مركبات لأشـباه الموصلات مثل مركبات، CdS، CdSe، PbS، ZnS، CdTe، فإنـه كثيرا ما تكون على هيئة حبيبات نانوية لعناصر فلزية حـرة مثل الذهـب Au، الفضة Ag، البلاتـين Pt، الحديد Fe، أو حبيبات لسبائك فلزية مثل سبائك PtFe، CoPt3 وغيرهما.

- **نبذة تاريخية**

يرجـع الفضل في تحضير وتعيين خواص هذه الفئة المتقدمة من المواد النانوية لأشـباه الموصلات إلى عالم الكيمياء الشهير البروفيسور/ لويس بـروس Louis E. Brus - أسـتاذ الكيميـاء بجامعـة كولومبيا الأمريكية الذي انتقـل للعمل في معامل بل Bell Labs الشـهيرة بالولايات المتحدة

الأمريكية - حين نشـــر مقالا بحثيا في العام 1983 [13] أوضح فيه تأثير تصغير أبعاد حبيبات بلورات مركب CdS في تحسين الخواص الإلكترونية لها. ويواصل البروفيســـور بروس وفريق عمله حتـــى اليوم انفراداتهم في إثراء الأوســـاط العلمية لعلم النانو باكتشـــافاتهم المهمة المثيرة، إذ تمكنوا من استحداث وابتكار طرق واعدة، تمكنوا بها من تحضير عدد كبير كبير مـــن الحبيبات الكمومية لأشـــباه الموصلات. لذا فلم يكـــن غريبا أن ينال البروفيســـور بروس في العام الماضي 2008 جائزة Kavli Prize، مقدمة من الأكاديمية النرويجية للعلوم التابعة لوزارة التعليم والأبحاث النرويجية، وذلك مناصفة مع العالم الياباني الشـــهير سوميو إيجيما Sumio Iijima الـــذي يرجع إليه الفضل في تحضير أنابيـــب الكربون النانوية [14]، وذلك تقديرا لجهودهما المستمرة والناجحة وإبداعاتهما الخلّاقة في مجال علم وتكنولوجيا النانو.

• الخواص

يُتيح تناهي صغر مقاييـــس أقطار تلك البلورات النانوية (الحبيبات الكمومية)، التي تتراوح بين 2 و10 نانومترات، في أن تحصر داخل هذا الحيـــز الحجمي الصغير، عددا من الذرات يتراوح ما بين 10 و50 ذرة على الأكثر، لذا فهي تســـلك ســـلوك الذرة الأحادية Single Atom من المـــادة. وهذا التركيب غير المألوف للحبيبـــات الكمومية، وغير المتوافر في أي مواد نانوية أخرى، قد أهلها بأن تحتكر لنفســـها عددا كبيرا من الخواص الفريدة. وقد جذبت هذه المواد اهتمام الباحثين والعلماء منذ أن تعرفوا على بعض من خواصها البصرية غير المسبوقة. فقد وجدوا أنه بتعريضها لمصدر خارجي من الضوء، مثل الأشعة فوق البنفسجية، فإن ذراتهـــا تمتص هذا الضوء ثم تطلقه ولكن في صورة ألوان مختلفة عند أطوال موجية Wavelengths معينة. وقد اكتشفوا أيضا أن هذا الضوء المنبعث منها يعتمد اعتمادا كليا على مقاييس أقطار هذه الحبيبات إلى جانب اعتماده على هوية ونســـب العناصر الداخلـــة في تركيبها. ومن الطريـــف أن يذكر هنا، أن زيـــادة أبعاد أقطار تلك الحبيبات، تؤدي إلى

انبعاث اللون البنفسجي منها (نهاية الطول الموجي من ألوان الأطياف المرئية)، هذا في الوقت الذي تزداد فيه زُرقة هذه الحبيبات مع تناقص مقاييس أبعاد أقطارها.

● التطبيقات

أتاحت الخواص الفيزيائية والكيميائية الفريدة للحبيبات الكمومية أن تجد لها مجالات متنوعة وعديدة في كل الأفرع والقطاعات الصناعية، وعلى الأخص في صناعة الإلكترونيات وفي التطبيقات البيولوجية والطبية المختلفة.

● في المجالات الطبية

– تستخدم كواصمات فلورية Fluorescent Markers لتعيين أماكن وجود الأورام والخلايا السرطانية بالجسم، مهما تدنت مقاييس أبعاد تلك الأورام وصغر حجمها. وتختلف الألوان الظاهرة لتلك العلامات – الوصمات – المُحددة لأماكن وجود الأورام، باختلاف أبعاد أقطار الحبيبات الكمومية المُستخدمة. لذا، فهي تُعد الوسيلة الوحيدة ذات المصداقية العالية المستخدمة الآن للكشف المُبكر عن وجود السرطان في الجسم.

– يُقترح أن يتم تحمل تلك الحبيبات الكمومية بعقارات طبية ومواد كيميائية، بحيث توجه إلى الخلايا السرطانية بالجسم وتدحر موضعيا في مراقدها داخل أو بجوار الخلايا السليمة للجسم.

● في الصناعات الإلكترونية

إلى جانب توظيف الحبيبات الكمومية في كثير من أجهزة الألعاب الإلكترونية الحديثة، فهي أيضا تجد لها تطبيقات عريضة في المجالات التالية:

– تُستخدم في صناعة الديودات الباعثة للضوء LED، Light Emitting Diodes مثل المصباح الصغيرة الموجودة في الجانب السفلي من أجهزة التلفزيونات التي تظهر بلون أخضر عند تشغيل الجهاز، بينما تظل على لونها الأحمر عند غلق الجهاز ووضعه

في حالة الاستعداد للتشغيل. كذلك فهي تُستخدم في إضاءة اللمبات الصغيرة الموجودة أعلى أرقام أطوال الموجات المكتوبة بشاشة أجهزة المذياع والتي تضيء فور نجاح المُستخدم في استقبال موجة محطة إذاعية معينة.

- تُستخدم في الإضاءة الذاتية لعلامات التحذير المرورية وكذلك في لوحات الإعلانات الموجودة بالطرق السريعة، إذ تمتص تلك الحبيبات الكمومية ضوء كشافات السيارات لتضيء بألوان مختلفة، بناء على أبعاد أقطار الحبيبات المستخدمة في ذلك، والتي عادة ما تكون متباينة في الأبعاد حتى ينبعث منها الضوء بألوان مختلفة وجذابة.
- يقترح توظيفها في إضاءة الإشارات المرورية في الشوارع.
- تُستخدم في تطبيقات مشغلات أقراص الفيديو الرقمية، إذ تُصنع منها أشعة الليزر.

الأزرق Blue Laser المستخدم في قراءة بيانات تلك الأقراص.

- **في مجال الطاقة الجديدة والمتجددة**

- سوف تُوظف تلك الحبيبات الكمومية في تصنيع الجيل الثالث من الخلايا الشمسية الفوتوفولطية Photovoltaic Cells وذلك لكفاءتها الفائقة في توليد الطاقة بنسب تتجاوز حاجز 60 في المائة. وهذه النسبة إذا ما قُورنت بنسبة كفاءة مادة السيليكون التقليدية المستخدم للغرض نفسه، والذي لا تزيد كفاءته النظرية على نسبة 33 في المائة، لتبين لنا مدى أهمية تلك الحبيبات في مجال الطاقة الشمسية.

- **في الحاسبات الكمومية**

تمثل الحبيبات الكمومية أملا كبيرا للبشرية في تحقيق قفزة تكنولوجية غير مسبوقة فيما يُعرف باسم الحسابات الكمومية في الحالة الصلبة Solid-State Quantum Computing. وتجرى الآن أبحاث مكثفة ترمي إلى استخدام تلك الحبيبات في تخزين البيانات والقيام بالعمليات الحسابية المعقدة، وذلك لما تتفوق به الحبيبات الكمومية على أشباه الموصلات التقليدية من خواص إلكترونية غير مسبوقة. وقد نُشر أخيرا

في عدد شهر يوليو لعام 2009 من مجلة الطبيعة Nature الشهيرة [15] بأن فريق عمل بحثي تابــع لجامعة ييل الأمريكية Yale University قد تمكن مــن إنتاج النموذج الأولي من أول معالج حســابات كمومية للحالة الصلبة Solid-State Quantum Processor يُنتج على مستوى العالم [15].

وعلى النقيض من الأجهزة الإلكترونية التقليدية التي تســتخدم في تشغيلها الشحنات الإلكترونية لنقل الإشارات Signals وفي أثناء تنفيذها العمليات الحســابية، فإن الحبيبات الكمومية تســتخدم الاســتقطاب الضوئي في تنفيذ تلك العمليات، التي تؤدي إلى زيادة خيالية في سرعة تنفيذ تلك العمليات، نتيجة لتقليل كم الطاقة المفتقدة في أثناء تشــغيل الأنظمة الحاسوبية.

- **السبائك الفلزية نانوية الحبيبات**

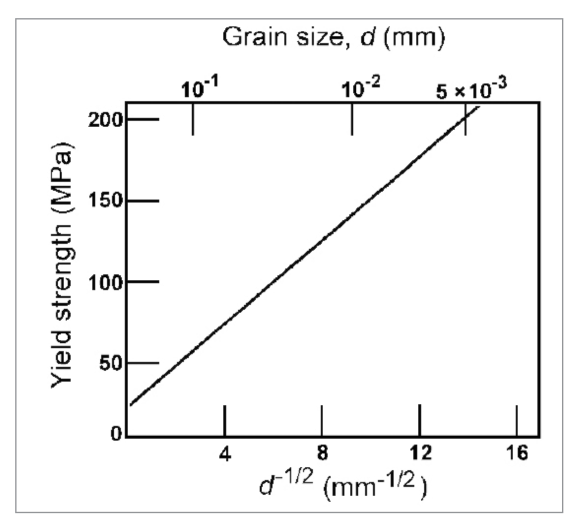
تمرس علماء المواد ومهندســو إنتاج الســبائك [16] الفلزية، منذ فترة طويلة، على تخليق ســبائك قوية تتسم بخواص جيدة، حتى قبل أن يدركوا ويتفهمــوا البنية الداخلية المهيمنة على تلك الخواص. وقد اقتصرت طرق إنتاج الســبائك، في الماضي، على عملية تســخين وصهر العناصر المكونة للســبيكة لضمــان تفاعلها وذوبانها معــا، من أجل تكوين طور الســبيكة المطلوب إنتاجها. وبعد الحصول على هذا الطور، يُخضع لعدة أيام لإجراء بعــض العمليات الميتالورجية عليه، مثل المعالجــات الحرارية والميكانيكية، وذلك من أجل تحسين خواصه وزيادة قوته، ما يضمن الحصول على منتج صلب ومتين يتحمل عمليات التشغيل المستقبلية له.

وكما تناولنا مسبقا بالشرح والتفصيل [17]، فإن تصغير مقاييس أبعاد الحبيبات الداخلية للمواد بصفة عامة، يؤدي إلى تحسين خواصها المُختلفة. ومن ضمن هذه الخواص التي تتحسن من جراء تصغير الحبيبات الداخلية للســبائك الفلزية الخواصُ الميكانيكية [18] الممثلة في رفع مقاومة ومتانة الســبيكة، وزيادة صلادتها وقدرتها على تحمل الإجهادات الخارجية التي تتعرض لها في أثناء عملية التشغيل. وقد أدت نتائج الأبحاث الرائدة التي أُجريت في حقبة الثمانينيات من القرن الســابق [19] إلى تكثيف الأنشطة

البحثية المتعلقة بدراسة السلوك والخواص الميكانيكية للسبائك الفلزية نانوية البنية الحبيبية Nanocrystalline Metallic Alloys، وتخليق عائلات جديدة منها، تتفوق في خواصها الميكانيكية على نظيرتها من المواد التقليدية كبيرة الحبيبات.

ويوضح الشكل (8 – 4) نموذجا للعلاقة الرابطة بين متغيرين، هما: مقاييس أبعاد حبيبات Grain Size لسبيكة البرونز، ومقدار المقاومة التي تُبديها السبيكة كي لا تخضع للإجهادات التي تتعرض لها Yield Strength. ومن الشكل المبين نستطيع ملاحظة علاقة التناسب العكسية التي تربط بين المتغيرين، فمع تناقص مقاييس أبعاد حبيبات السبيكة، تزداد مقاومتها أمام إجهادات الخضوع [18].

وقد أشارت نتائج أبحاث أخرى، إلى أن المقاومة القصوى لإجهاد الشد Ultimate Tensile Strength التي تبديها سبيكة الحديد والنيكل قد تضاعفت نحو خمس مرات عند تصغير مقاييس أبعاد الحبيبات الداخلية للسبيكة، ذلك في الوقت التي تضاعفت فيه صلادتها نتيجة هذا التصغير الحبيبي، لتصل إلى نحو ستة أمثال ما كانت عليه [20].



الشكل (8 – 4): اعتماد مقاومة المقاومة التي تُبديها سبيكة البرونز لإجهادات الخضوع Yield Strength، على أبعاد مقاييس حبيباتها Grain Size [18].

التطبيقات

تجد سبائك المواد الفلزية، نانوية البنية الحبيبية، لنفسها مجالا عريضا في التطبيقات التكنولوجية المتقدمة، حيث تدخل عنصرا أساسيا في تصنيع المُنتجات المبتكرة المُستخدمة في القطاعات الصناعية التالية:

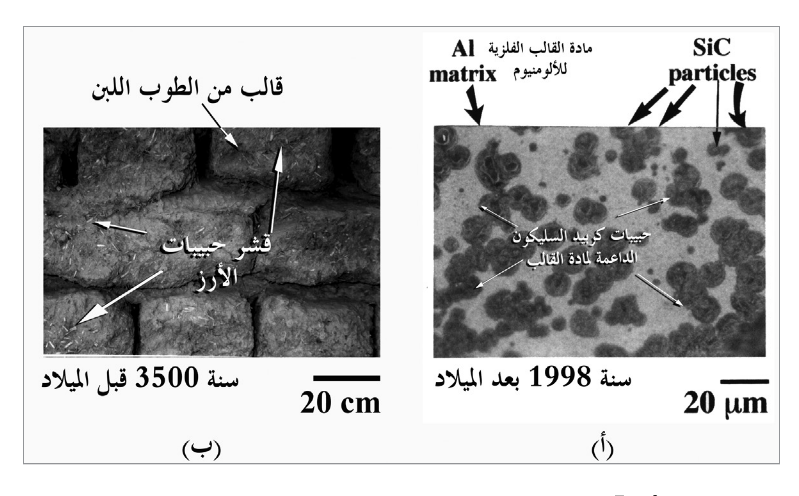
- صناعة هياكل ومحركات السيارات (سبائك الألومنيوم Al، سبائك الماغنسيوم Mg).
- صناعة الطائرات والمركبات الفضائية (سبائك التيتانيوم Ti).
- صناعة المحولات والمواتير الكهربية (سبائك المواد المغناطيسية Magnetic Materials، مثل سبائك الحديد Fe والكوبالت Co، والعناصر الأرضية النادرة Rare Earth Elements).
- صناعة الموصلات فائقة الموصولية الكهربية المُستخدمة في صناعة الحواسب فائقة السرعة (مثل سبائك النيوبيوم Nb المُضافة إليها مواد لأشباه الموصلات مثل الجيرمانيوم Ga، القصدير Sn).
- الرقائق الإلكترونية (فلز النُحاس ذو الحبيبات النانوية).
- صناعة الأغشية والرقائق المُستخدمة في تغطية أسطح المُعدات والأدوات الفلزية، بغرض حمايتها من التآكل عن طريق البري والصدأ (مثل سبائك الزنك Zn، النيوبيوم، التيتانيوم)،.
- صناعة أوعية وبطاريات تخزين الهيدروجين (مثل سبائك الماغنسيوم).
- صناعة بطاريات السيارات والمركبات (سبيكة الرصاص – الكالسيوم Pb-Ca).
- صناعة أغطية فلزية رقيقة السمك، لتغليف هياكل المركبات الفضائية والصواريخ، لحمايتها من الانهيار إثر تعرضها لدرجات الحرارة المرتفعة خلال رحلاتها في الفضاء الخارجي (سبائك التجستن W، المولبديوم Mo).
- التطبيقات الحديثة في المجال الطبي، الحالية والمستقبلية:

- إنتاج الشرائح والمسامير المُستخدمة في تثبيت العظام المكسورة داخل الجسم (سبائك الصلب المقاوم للصدأ، وسبيكة التيتانيوم – ألومنيوم – فانديوم Ti6Al4V [21].
- إنتاج الدُعامات الخاصة بتوسيع شرايين القلب (سبائك التيتانيوم) [22].
- تخليق حبيبات الذهب النانوية المُتوقع استخدامها في دحر الأورام السرطانية داخل الجسم [23].
- تخليق حبيبات الفضة النانوية المُستخدمة في قتل أنواع عديدة من البكتريا، والمُرجح توظيفها في قتل أنواع مختلفة من الفيروسات [24].

- **المتراكبات النانوية**

كما أشرنا من قبل [25]، تعد المتراكبات – التي تتزاوج بها خواص عديدة ناشئة عن خلط مادتين أو أكثر بعضها ببعض – أحد أنواع المواد الهندسية المتميزة، وذلك لما لها من صفات وتطبيقات عديدة في المجالات الهندسية المتنوعة. ومن الطبيعي أن يثمر هذا التآلف بين عدة مواد مختلفة في الخواص ومتباينة في السلوك، مادة متراكبة ليس لها نظير حيث يجتمع عدد من الخواص المتفاوتة فيها. وقد أضافت تكنولوجيا النانو بُعدا مهما جديدا لتلك الفئة من المواد، وذلك من خلال تخليق حبيبات متناهية في الصغر، تُوظف كمواد داعمة ومقوية – دُعامات نانوية Nano-Reinforcements لمادة الأساس. وقد أثبتت تلك الحبيبات تفوقها على نظيرتها من مساحيق الحبيبات كبيرة الحجم في تحسين مادة الأساس، ورفع مقاومتها وصلادتها.

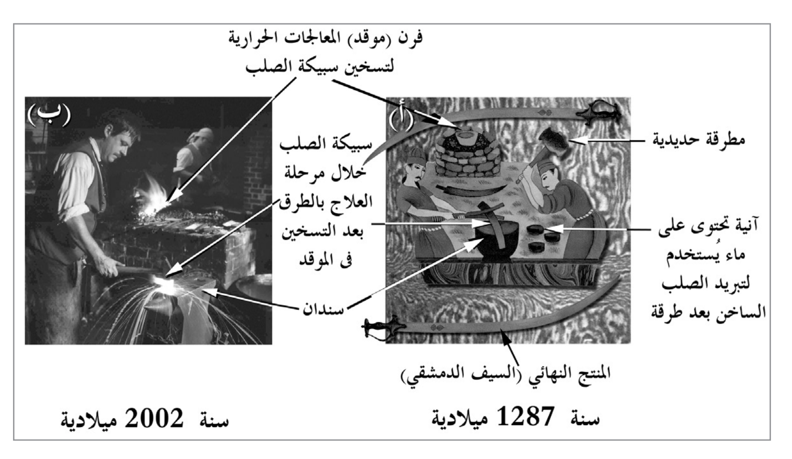
ويعرض الشكل (8 – 5 «أ») صورة مأخوذة بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني Scanning Electron Microscope لعينة من متراكبة الألومنيوم المُدعم بحبيبات من كربيد السيليكون SiC [3]. وتُوظف تلك المتراكبة في أغراض صناعية متعددة، منها صناعة بلوكات محركات السيارات وكذلك في صناعة بعض من أجزاء هياكل الطائرات والصواريخ.



الشكل (8 - 5): يوضح الشكل (أ) صورة مجهرية بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لعينة مادة متراكبة تتألف من قالب المادة الأساسية وهو سبيكة لفلز الألومنيوم الذي تمت تقويته بإضافة نسب حجمية مختلفة من حبيبات كربيد السيليكون شديدة الصلادة، وذلك بغرض الحصول على مادة متراكبة خفيفة الوزن عالية المقاومة والصلادة، ما يؤهلها للتطبيقات المدنية والعسكرية في مجالات صناعة السيارات، الطائرات والصواريخ [25]. ويبين الشكل (ب) صورة لقالب من الطوب اللبن الذي استُخدم لبناء سور الجدار الخارجي لمعبد الأقصر جنوب مصر، حيث تمت تقوية تلك القوالب بإضافة القشور الخارجية لحبيبات الأرز إليها [18، 26]. ويبين الشكل بوجه عام مدى تطابق فلسفة تخليق المواد المتراكبة على الرغم من اتساع الهوة الزمنية الفاصلة بين المشهدين.

تصحيح علمي وتاريخي واجب

قد يظن البعض منا، أن المواد المتراكبة هي وليدة اليوم أو الأمس القريب - كما يحلو لكثير من علماء الغرب أن ينسبوا فكرة تصنيعها إليهم - وهذا في الواقع مخالف للحقيقة. فكما ذكرت في أحد الكتب العلمية المنشورة لي في الخارج [18]، فإن فكرة دمج مادتين أو أكثر داخل مادة أخرى، ترجع إلى أكثر من 5 آلاف عام، حين أدرك الإنسان المصري القديم أن إضافة القشور الخارجية لحبيبات الأرز إلى قوالب الطوب اللينة (الطوب اللبن) المُصنعة من الطمي Mud، تعمل على تقوية ودعم هذا الطوب المستخدم في أغراض البناء وحمايته من التشققات (الشكل 8 - 5 «ب»). لذا فهي تضيف خواص لم تكن موجودة أصلا في مادة الطمي.



الشكل (8 – 6): توضح الصورة في الشكل (أ) رسما من وحي الخيال نُشر كغلاف لإحدى الدوريات العلمية المتخصصة التي يشارك في تحريرها مؤلف هذا الكتاب (28). وتوضح الصورة منهاجية الصُناع العرب الأوائل وتقنياتهم الموظفة لتحسين الخواص الميكانيكية لسبيكة الصلب المُستخدمة في صناعة السيف الدمشقي، وذلك في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الميلادي. هذا بينما تعرض الصورة الفوتوغرافية في الشكل (ب) مسبكا خاصا بإحدى المدن الألمانية الشهيرة بصناعة الصلب (29). وتبرهن الصورتان في الشكل أعلاه على فضل العرب في نقل ابتكاراتهم وتقنياتهم إلى الصناع الأوروبيين، من دون مقابل، وذلك خلال فترة الفتح العربي وامتداد الخلافة غربا إلى جنوب فرنسا. وغني عن الذكر، فقد كانت أوروبا في تلك الحقبة الزمنية بعيدة كل البعد عن صناعة الصلب الجيد، إذ كانت تعاني تفشي الفقر والجهل الدامس الذي امتد بها إلى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي. وعموما، فإن كلتا الصورتين توضحان مدى التشابه في طرق المعالجة في الماضي والحاضر، وإن اختلفت الأدوات المُستخدمة وتباينت نوعية وهوية المنتج المُصنَّع.

هذا وقد أدرك أجدادنا العرب، في القرن الثاني عشر الميلادي، كيف أن المعالجات الحرارية والميكانيكية للصلب (27)، المتمثلة في تكرار عمليات تسخين الصلب ثم طرقه وهو ساخن (الشكل 6 – 8 «أ») تُكسب الصلب صلادة ومتانة فائقتين، ما يُحسن من خواصه الميكانيكية والفيزيائية. وقد أيدت الدراسات الحديثة هذا المذهب من المعالجات، الذي ابتكره العرب في تلك الفترة، وذلك لأن تلك المعالجات

تـؤدي إلى تكوُّن طبقات رفيعة السـمك من الصلب مختلفة التركيب، تتوالى متراصة بعضها فوق بعض، معطية في ذلك متراكبة نموذجية، وصلبا قاسيا متينا. وقد تناسى البعض موقعة حطين حين أذاقت السيوف الدمشقية العربية الغزاة مرارة الهزيمة، عندما تحطمت سيوفهم الهزيلة على نصال السيوف العربية. وأستطيع التأكيد أن العرب كانوا في طليعة شعوب الأرض الذين تمرسوا وابتكروا طرقا فريدة لمعالجة الصلب، تلك الطرق التي لا نزال نستخدمها حتى يومنا هذا، وإن اختلفت المسميات وتنوعت التقنيات (الشكل 8 - 6 «ب»). وحتى يومنا هذا، فما زالت سبيكة الصلب الخاصة بالسيف الدمشقي تلقى اهتماما كبيرا من الباحثين من مختلف المراكز البحثية المعنية بدراسة وسلوك السبائك الفلزية، وتأثير العمليات الحرارية والميكانيكية في خواصها.

• تصنيف المتراكبات النانوية وتطبيقاتها

يمكن تصنيف المتراكبات النانوية، شأنها شأن المتراكبات التقليدية، وذلك رجوعا إلى نوع مادة القالب - مادة الأساس المُراد إضافة سمات وخواص جديدة إليها، عن طريق دعمها بحبيبات نانوية لمادة أو مواد أخرى تختلف عنها - التي عادة ما تكون من مواد لينة أو ضعيفة، أو تفتقر إلى إحدى الخواص المهمة.

• متراكبات الكربون

تتميز تلك الفئة من المتراكبات عن غيرها، بانخفاض تكلفتها وسهولة الحصول عليها من مصادر متعددة غنية بالمواد الكربونية، مثل الفحم. وتصنع متراكبات هذا النوع من القوالب بطريقة تكنولوجيا المساحيق Powder Technology، وذلك من خلال كبس وتجميع مساحيق الكربون الناعمة، باستخدام المكابس الساخنة عند درجات حرارة عالية.

وعلـــى الرغم من أن معظــم المواد المقوية المضافة إلـــى هذا النوع من القوالـــب تكون عادة أليافا كربونية Carbon Fibers نانوية البنية، فإن تلك المواد المضافة قـــد تختلف وتتنوع، وذلك بناء على طـــرق تصنيع المتراكبة والخواص المطلوب الحصول عليها.

وتُعد قابضات الســيارات (دوبرياج) Clutches ووسائد فرامل Brake Pads الطائـــرات، بعضا من الأمثلة التطبيقية المهمة التي فيها يُوظف هذا النوع من المتراكبات.

- **متراكبات السيراميك**

على الرغم من تميز قوالب هذا النوع من المواد السيراميكية بارتفاع صلادته، ومقاومته للإجهادات الناشـــئة عن أحمـــال الضغط، مع ثباته الحـــراري والكيميائـــي، فإنه فقير فـــي التوصيل الكهربـــي والحراري. لـــذا، فتتنوع المواد النانويـــة المضافة إلى تلك القوالـــب، من عناصر أو سبائك فلزية، مواد سيراميكية أو ألياف زجاجية تبعا للخواص المطلوب الحصول عليها والتطبيقات التي ستوظف فيها. وتستخدم هذه الفئة من المتراكبات في تصنيع منتجات التشـــغيل التي تعمل عند درجات الحرارة العالية، مثل أجـــزاء من محركات الصواريخ، أو تلـــك الأجزاء المعرضة لعوامـــل البـــري والصدأ والتآكل في أثناء التشـــغيل، مثـــل بعض أجزاء الماكينات والمحركات.

- **المتراكبات الزجاجية**

تتشـــابه المواد الزجاجية Glasses مع المواد الســـيراميكية في كثير مـــن الخواص، فهي مـــواد قصفة ذات صلادة مرتفعـــة وثبات حراري عـــال. وتتألف متراكبات هذه الفئة من القوالب عن طريق إضافة مواد صلبة، مثل حبيبـــات نانوية الأبعاد من الأكاســـيد الفلزية أو الألياف. هـــذا وتتميز متراكبات هذا النوع بمقاومتها الفائقة عند التشـــغيل في درجات الحـــرارة العالية Strength at High Service Temperatures، ما يوفـــر لها عوامل النجاح للاســـتخدام في صناعـــة مكونات أجزاء

المحركات المقاومـــة للحـــرارة Heat Resistance Parts for Engines، وأيضـــا في أجزاء المحركات التي لها صلة بالعوادم ومخلفات الاحتراق الداخلي، مثل غرف العادم Exhaust Chambers وحلقات تجميع العادم Exhaust-Collector Rings.

● **المتراكبات الفلزية**

تعد قوالب الفلزات أكثر أنواع القوالب شـــيوعا واســـتخداما. ويتوقف اختيار الفلز المســـتخدم في تصنيع مادة القالب على الغرض من استخدام المتراكبة النانوية والخواص المرجوة منها. فمثلا، إذا كان الهدف هو تأليف متراكبات للاستخدام في بيئة أو أجواء مؤكسدة Oxidizing Environments عند درجات الحرارة العالية، فإن قوالب فلز التنجستن تكون الأنسب لهذا الغـــرض، وذلك نظرا إلى الثبات الحراري والكيميائـــي لهذا الفلز المقاوم للانصهار. وقوالب العناصر الفلزية الخفيفة، مثل الألومنيوم والماغنسيوم تجـــد مكانا مرموقا في الصناعات التي يكون الوزن فيها عاملا مهما، مثل صناعة السيارات والطائرات والمركبات الفضائية.

وتتألف المتراكبـــات الفلزية من قوالب لمواد فلزية تضاف إليها نســـبة حجمية بسيطة من مواد مدعمة لعناصر فلزات حرة أو مواد سيراميكية.

● **متراكبات البلمرات**

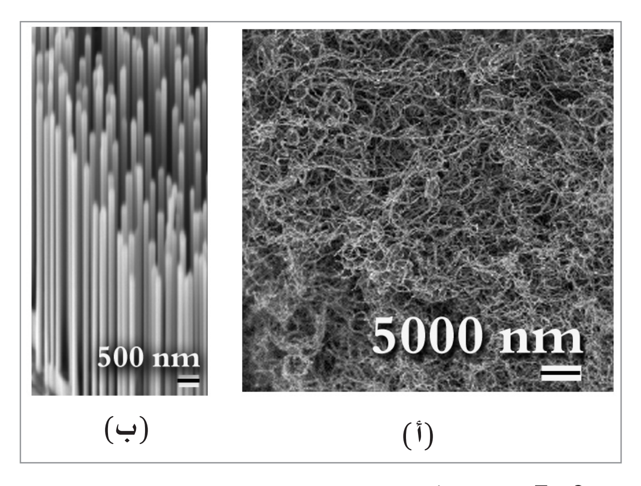
تتكون قوالب هذا النوع من المتراكبات من مادة البوليســـتر Polyesters أوالفينيل إســـتيرز Vinyl Esters، وذلك نظرا إلى شيوع استخدامهما وقلة تكلفتهما. وعادة ما تُدعم هذه القوالب بالألياف الكربونية النانوية أو أنابيب الكربون النانوية، وكذلك أنابيب الصلصال الطبيعي أو المُخلَّق. وسبب اختيار هـــذه الأنواع من المواد النانوية الداعمة يرجع إلـــى ما تتميز به من مقاومة عالية وصلادة، علاوة على أنها خفيفة الأوزان، وبالتالي لن تؤثر ســـلبا في خواص هـــذه القوالب من ناحية الوزن. وتتميز الأليـــاف والأنابيب النانوية للكربون بعدم التأثر بالرطوبة، وبثباتها الكيميائي العالي، وارتفاع مقاومتها أمام كل الأحماض والقلويات والمذيبات، عند درجة حرارة الغرفة.

وتوظـف متراكبات هذا النوع مـن القوالب البلمريـة اليوم بكثرة في تصنيـع الأدوات الرياضية، مثل مضارب التنس وأعصية مضارب الغولف، وكذلك في تصنيع قضبان صيد الأسماك. كما أن هذه المتراكبات تعد مواد واعدة حين تستخدم في بعض من أجزاء هياكل السيارات والطائرات.

● **الأسلاك النانوية**

علـى الرغم ممـا تمتلكه أنابيـب الكربون النانويـة [30] من خواص وصفات فريدة، وتطبيقات رائدة في كل المجالات بلا استثناء، فإن الطرق المسـتخدمة في تنمية Grown أطوال تلك الأنابيب، وتصويب أشـكالها المنحنية، التي تشـبه خيوطا متشابكة وملتف بعضها حول بعض (الشكل 7 - 8 «أ»)، لجعلهـا مسـتقيمة وقائمة، تعد مسـألة تقنيـة صعبة حتى هذه اللحظة. وتحتاج التطبيقـات الصناعية إلى أنابيب نانوية الأقطار، طويلة ومسـتقيمة، من أجل توظيفها في المجـالات المتعلقة بالصناعات الإلكترونيـة المتقدمـة. أيضا، فإنه على الرغم مـن الجهود المكثفة التي يقـوم بها كثير من الباحثين حول العالـم، من أجل تنمية أطوال الأنابيب النانوية وفردها Straighten لتكون على هيئة عصي طويلة منتصبة، فإن هذه المعضلة ما زالت تمثل تحديا تقنيا كبيرا، قد يحتاج فك شـفرته إلى وقت طويل وجهود مضاعفة.

لكـن، هـل يعتـرف العلماء بـأن قامـوس أي لغة يحتـوي على كلمة «مسـتحيل»؟ فـي الواقع، وكما يعلم القارئ الكـريم، لا وجود لهذه الكلمة فـي قواميس اللغة الخاصة بتلك الفئة المثابرة من البشـر. قد تُسـتخدم كلمات وصفات أخرى مثل «صعب» (Hard)، من أجل شحذ الهمم البحثية ورفع الطاقات الابتكارية عنـد الباحثين والعلماء. وفي إطار هذا المفهوم، تجلت فكرة الاسـتعاضة عن اقتـراح توظيف أنابيب الكربون - على الأقل في المرحلة الراهنة - في صناعة الدوائر الإلكترونية، وإحلال الأسـلاك النانوية Nanowires [31]، التي يمكن تخليقها على هيئة أشـكال عمودية مسـتقيمة، وتنمية أطوالها لتصل إلى عدة مئات من النانومترات، (الشكل 7 - 8 «ب»)، بدلا من تلك الأنابيب.



الشكل (8 - 7) : صور مأخوذة بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لعينات حُضّرت بمعمل مؤلف هذا الكتاب لمواد نانوية من: (أ) أنابيب كربون نانوية أحادية الجدران، و(ب) أسلاك نانوية رأسية، مخلقة من عنصر النُحاس الفلزي [32].

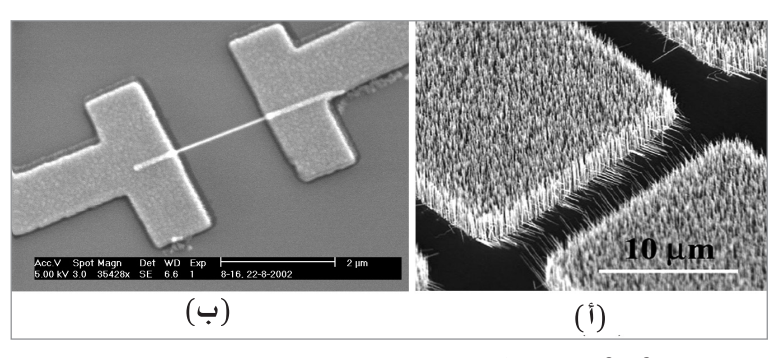
• ماهيتها؟

بداية، يمكننا وضع تعريف مبسط للأسلاك النانوية، فنقول إنها عبارة عن أسلاك رفيعة جدا، ذات أقطار نانوية الأبعاد، تتخذ أشكالا قائمة ومستقيمة. وتتميز تلك الأسلاك بإمكان تخليقها من مصادر عديدة، وفقا للخواص المطلوب الوصول إليها والاستخدامات المقُترحة. لذا، فقد تكون هذه الأسلاك النانوية، أسلاكا فلزية مُصنعة من عناصر الفلزات الحرة للنيكل Ni، النُحاس Cu، الذهب Au، أو البلاتين Pt، وسبائكها. ويمكن أيضا، تخليقها من عناصر مواد أشباه الموصلات، مثل السيليكون Si أو الجاليوم Ga، أو من مركباتها المختلفة. ويضاف إلى ذلك إمكان إنتاج تلك الأسلاك من مواد المحفزات الكهروضوئية للأكاسيد، مثل ثاني أكسيد السيليكون SiO_2، وأول أكسيد الزنك ZnO، وغيرهما.

• التطبيقات

لن تجد الصناعات الإلكترونية أفضل من الأسلاك النانوية كمواد فريدة لصنع الجيل الجديد من الترانزستورات والدوائر الإلكترونية المتناهية الصغر. ولتحقيق هذا الغرض، يُؤلف هيكل الترانزستور من

ترتيب مجموعة ضخمة من تلك الأسلاك النانوية، إما عن طريق توجيهها وتعليقها بصورة رأسية على سطح قاعدة مادة الترانزستور، كما هو موضح بالشكل (8 - 8 «أ»)»، أو بترسيبها - بإحدى الطرق الكيميائية - على هيئة طبقات (الشكل 8 - 8 «ب»).



الشكل (8 - 8) : صور مأخوذة بواسطة الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لنماذج أولى من ترانزستورات متناهية الصغر مخلقة من مواد لأشباه الموصلات على هيئة: (أ) أسلاك نانوية رأسية لمادة نيتريد الغاليوم GaN تم تعليقها وتوجيهها في شكل رأسي [33]، (ب) طبقات مؤلفة من مركب فوسفور الإنديوم InP [34].

ومن الاستخدامات الراهنة والمستقبلية للأسلاك النانوية، نذكر ما يلي:

- الترانزستورات المستخدمة في تصنيع المعالجات الصغيرة Microprocessors في الحواسب والأجهزة الإلكترونية الدقيقة.
- النظم الكهربائية والميكانيكية الميكرومترية والنانومترية الخاصة بأجهزة الروبوت النانوية Nanorobots، المزمع توظيفها في التعامل الموضعي مع الأورام السرطانية، وذلك عن طريق إدخالها جسم الإنسان المصاب عبر دورته الدموية.
- من المُعتقد أن تؤدي الأسلاك النانوية دورا مهما في تصنيع الحواسب الكمومية Quantum Computers.
- صناعة الخلايا الشمسية الفوتوفولطية.
- الحساسات والمجسات النانوية Nanosensors.

■ صناعة دوائر التوصيل الإلكترونية الخاصة بالشرائح التي ستُستخدم في تحليل الحمض النووي Deoxyribonucleic Acid DNA للإنسان، وتحديد الصفات الوراثية له.

• مواد الطلاء النانوية واستخداماتها

عادة ما ينجم عن تشــغيل المُعدات والماكينات، أن تنشــأ على أسطحها شــروخ وأن تعاني أنواع تآكلات ناجمة عن البري أو الصدأ، ما يؤدي إلى انهيار المُعدَّة أو الماكينة بعد فترة من التشغيل. لذا، فإن العمليات الخاصة بتغطية أســطح المُعدات والأدوات المســتخدمة فــي التطبيقات الصناعية المختلفــة، تُعد من المســائل التقنية التي أولتها تكنولوجيــا النانو اهتماما كبيرا. وتهدف الأغشــية النانوية المُســتخدمة في طلاء أسطح المواد إلى تعزيز وتحســين خواص تلك الأســطح، وذلك من خلال تغليفها بأغشــية مؤلفة من حبيبات نانوية - عادة ما تكون من كربيدات أو أكاسيد الفلزات - تتمتــع بصلادة فائقة ومقاومة عالية، تحولان دون تعرض ســطح المادة الأصلي للانهيار أو التآكل.

وتســتخدم كذلك الأغطية والدهانات النانوية في أغراض أخرى، مثل تغطية أســطح الهيــاكل الداخلية للثلاجات وغســالات الملابس والصحون بطبقــة مؤلفة من حبيبات نانوية من فلــز الفضة، تتراوح أبعــاد أقطارها بين 2 و5 نانومترات، حيث يمنع وجود هذه الدهانات الفضية نانويــة الحبيبات، من التراكم البكتيــري داخل تلك الأجهزة والأدوات الكهربية.

• الطرق المُستخدمة في الطلاء

تختلــف الطرق المســتخدمة في تخليــق طبقة الطــلاء النانوي على الســطح المراد تغطيته، وفقا لسمك الطبقة المُراد الحصول عليها وطبيعة كل من مــادة الطلاء ومادة الســطح. وعادة ما تُوظف تقنيات الترســيب الكيميائية، أو تقنيات رش السطح بمساحيق الحبيبات النانوية، حيث توفر هذه الطرق الحصول على طبقات من الحبيبات النانوية تتمتع بالتماســك

وبارتفاع كثافتها. ويتراوح سُـمك طبقة الطلاء بين بضع مئات وعدة ألوف من النانومترات، وفقا لنوع الإجهادات وظروف التشـغيل والعوامل البيئية التي يتعرض لها سطح المُعدة أو الآلة عند التشغيل.

• المحفزات النانوية

كما يعلم القارئ الكريم، فإن المقصود بالمحفزات Catalysts هو تلك المواد التي تُوظف بهدف تعزيز وتحفيز التفاعلات الكيميائية ورفع معدلاتها، وذلك من دون أن تُستنفد تلك المحفزات أو يحدث أي تغييرات في بنيتها الكيميائية. ومن الطبيعي أن تؤدي تكنولوجيا النانو دورا مهما ورئيسـيا في تخليق أنواع جديدة من تلك المحفزات، تعرف باسـم المحفزات النانوية Nanocatalysts، التي تُسـتخدم على النطاق الصناعي في كثير من العمليات الكيميائية، بما فيها تلك التفاعلات الخاصة بعمليات تكرير زيت النفط Oil Refining.

• خواص المحفزات النانوية

تتسم المُحفزات النانوية بعدة خواص رئيسية، تتفوق بها على المحفزات التقليدية، ومن بين تلك الخواص المهمة، ما يلي:

- تمتعها بمسـاحة أسـطح عالية، ما يكفل تلامس الذرات والجزيئات الموجودة على أسـطح حبيباتها مع ذرات وجزيئات المواد الداخلة في التفاعل Reactants. وتعد هذه الخاصية التي تمتلكها تلك المحفزات، الخاصية الأهم التي تعتمد عليها معدلات أي تفاعلات كيميائية.
- تُتيـح تكنولوجيا النانو التحكم في مقاييس أبعاد التجاويف الداخلية لجزيئات هياكل المحفزات التي تمر عبرها المواد المتفاعلة، وذلك وفقا لمقاييس أبعاد أقطار تلك الجزيئات.
- تمتلك المحفزات الكيميائية قدرة عالية للامتزاز Adsorption.

• التطبيقات

لا تنحصـر تطبيقات المحفـزات النانوية في مجـالات معينة، ولكنها تمتلك قائمة طويلة من التطبيقات المختلفة، التي من بينها:

- تكرير زيت النفط.
- الصناعات البتروكيميائية.
- إنتاج المواد الكيميائية المختلفة ومركباتها.
- تنقية الهواء.
- معالجة التربة والمياه الجوفية وتخليصهما من الملوثات الكيميائية والميكروبيولوجية.
- معالجة مياه الشرب وتنقيتها.
- إنتاج المواد المُخزنة لغاز الهيدروجين.
- الصناعات الدوائية.
- إنتاج وحفظ الأغذية.
- توظيف حبيبات الفلزات النبيلة مثل البلاتين، البلاديوم Pd المستخدمة في السيطرة على انبعاثات عوادم السيارات، وكذلك العوادم الناتجة من محولات الطاقة.
- تستخدم كإضافات إلى وقود محركات السيارات لتحسين كفاءته، وتقليل معدلات استهلاكه للوقود.



الباب الثالث

التطبيقات الحالية والمستقبلية لتكنولوجيا النانو

white

9

الطب النانوي

لم يكن من المُستغرب أن يحتل قطاع الطب والدواء والرعايـة الصحية رأس قائمة اهتمامـات وتطبيقات تكنولوجيا النانـو، وهي التـي سـخرت كل العلوم الأساسـية وروضـت جميـع التقنيات الحديثة من أجل صحة وسـعادة البشر، وسـارت بنـا نحو آفـاق جديـدة كانت تحلُم بها البشـرية طوال قرون عديدة. وقد كانت هـذه التكنولوجيا على موعد مع القدر لتتزامن مع ثـورة التكنولوجيا الحيويـة Biotechnology التي تعانقت مع تكنولوجيـا النانو ليُكَونـا معا نهجا بحثيا متقدما يرمي إلى دراسـة مكونات خلايا الكائن الحي دراسة دقيقة، وذلك على المسـتوى الجزيئي للخلية الواحدة.

«أعطت تقنيات طـب النانو كثيرا من الأمل في استهداف الأورام السـرطانية والتعامل معها وحدها دون غيرها من الخلايا غير المصابة...»

المؤلف

وقد استطاع هذا التحالف القائم بين التكنولوجيتين، المعروف باسم «تكنولوجيا النانو الحيوية Bionanotechnology»، أن يجذب إليه كثيرا من اهتمام الباحثين المتخصصين في مجالات الفيزياء والأحياء والكيمياء من مختلف المدارس البحثية في العالم، وذلك على مدى سنوات العقد الأول من هذا القرن. وليس ثمة شك، في أن فئة المواد النانوية المستخدمة في تطبيقات تكنولوجيا النانو الحيوية - يطلق عليها اسم المواد الحيوية النانوية Bio-nanomaterials، تعد الأكثر نموا وازدهارا في مجال الأبحاث العلمية، وذلك نظرا إلى ما تتمتع به من خواص فريدة أهلتها للدخول في العديد من الاستخدامات الفعلية المتعلقة بصحة الإنسان. وعلى مدى السنوات الخمس الأخيرة، تزايد الاهتمام البحثي بتلك المواد بصورة مضاعفة، الأمر الذي أدى إلى تحقيق نجاحات كبيرة في طرق تحضيرها، حيث تم تخليق حبيبات صغيرة الحجم منها لا تتعدى مقاييس أبعاد أقطارها 2 نانومتر، مما يعني زيادة فاعليتها وتربعها على قمة المواد الحيوية الفعالة النشطة Bioactive Materials.

وكما نعلم فإن مقاييس أبعاد خلايا أي كائن حي لا تقل عن 10 ميكرومترات، إلا أنها تتألف من أجزاء متعددة تتضاءل أبعادها بكثير عن مستوى الميكرومتر لتصل إلى بضعة نانومترات، مثل جزيء البروتين الذي يصل حجمه إلى نحو خمسة نانومترات. وحيث إن نطاق العمليات البيولوجية بخلايا أعضاء الكائن الحي تقع على مستوى أجزاء من الخلية الواحدة، فإن المواد النانوية التي يتم تخليقها تعد مواد انتقائية مناسبة للتفاعل مع تلك الجزيئات البيولوجية الصغيرة المكونة للخلية مثل الأحماض النووية والبروتينات.

ومن هذا المنطلق يبرز دور علم وتكنولوجيا النانو في تطبيقات التكنولوجيا الحيوية الخاصة بمراقبة الوظائف والعمليات الحيوية داخل الخلية الحية الواحدة وتشخيص سماتها، مع رصد التغيرات الطارئة على سلوكها والناجمة عن إصابتها بفيروس ما، أو حدوث خلل معين في انقساماتها؛ لذا فإن التطبيقات الناجحة للمواد

النانوية المستخدمة في العلاج والتشخيص تكمن في قدرتها على اختراق الخلايا الحية بالجسم والوصول إلى جزيئات الخلية لتقديم العلاج. هذا، وتعتني كذلك تكنولوجيا النانو الحيوية بدراسة المواد الكيميائية المُكونة للخلايا الحية دراسة دقيقة للتعرف على مكوناتها والقدرة على تحضيرها معمليا. ويتضح لنا جليا أنه لولا التقدم في علم وتكنولوجيا النانو لما كان لهذه الطفرة التي حققتها البشرية في مجالات معقدة تخص علم الأحياء الجزيئي، مثل فك الشفرة الجينية، في أن تظهر وتزدهر، وربما ظلت لغزا محيرا عقودا وعقودا من الزمن.

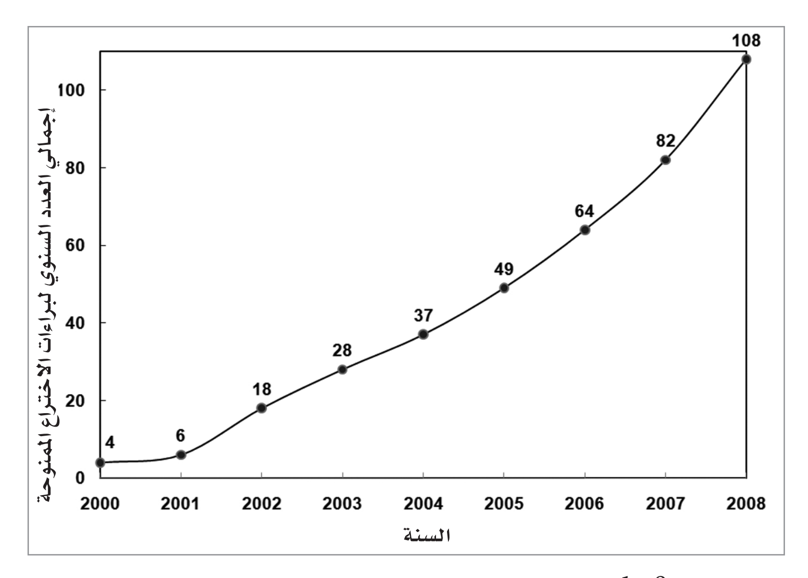
وقد كان لتداخل تكنولوجيا النانو الحيوية مع الكيمياء الحيوية، وعلم الوراثة والجينات، وعلم الأحياء الجزيئي أعمق الأثر في تطور طرق التشخيص والكشف المبكر عن الأمراض والمشاكل الصحية، مع معرفة الأسباب المؤدية إلى المرض معرفة دقيقة. وأدى هذا بطبيعة الحال إلى تحقيق طفرة كبيرة في تكنولوجيا صناعة الدواء وابتكار طرق فريدة وفعالة في عمليات توصيل الدواء إلى خلايا معينة من خلايا جسم الإنسان، والانفراد بتقديم تقنيات حديثة ومتقدمة لقهر السرطان ودحره موضعيا، من دون أدنى تدخل جراحي. وفي الوقت نفسه، كان لتكنولوجيا النانو الحيوية أعمق الأثر في تحقيق نجاحات مستمرة في الابتكارات المتعلقة بموضوع هندسة زراعة الأنسجة في جسم الإنسان، خاصة في مجال طب وجراحة اللثة والأسنان.

ما المقصود بطب النانو؟

لم يجد مُصطلح طب النانو Nanomedicine صعوبة في أن يحتل مكانا مهما وبارزا في قائمة المُصطلحات الطبية والدوائية، وأن يتردد في كل المؤتمرات الطبية والدوريات العالمية المهتمة بالعقاقير الطبية والرعاية الصحية. وإذا ما أردنا أن نَضعَ تعريفا محددا لهذا المصطلح، فسوف نُعرفه بأنه مجموعة من تقنيات

طبية حديثة تقع تحت مظلة تكنولوجيا النانو لتشمل كل ما يتعلق بالمجالات الطبية المختلفة الرامية إلى تحسين صحة الإنسان والحفاظ على سلامته. وقد أخذت تلك التكنولوجيا على عاتقها منذ بداية هذا القرن تقديم ابتكارات واختراعات تقَنية مُذهلة تخص مجالات الطب والدواء، والكشف المبكر عن الأمراض والأورام. ولعل النسبة الكلية لمبيعات المواد الطبية المُنتجة بواسطة تكنولوجيا النانو في العام 2007، والتي بلغت نحو 15 في المائة من إجمالي المبيعات الكلية للمواد والأجهزة النانوية (146.4 مليار دولار) لخير دليل على ما يحققه هذا الفرع الحيوي المهم من نجاحات متواصلة ومستقبل واعد.

ومنذ بزوغ الألفية الثالثة، قام طب النانو بتحقيق خطوات رائدة تقود العالم اليوم إلى ثورة طبية شاملة، تمثلت في تغيير كامل لمفاهيم طرق العلاج التقليدية وتطوير تقنيات التشخيص والكشف المُبكر عن الأمراض والأورام. ومن الجدير بأن يذكر هنا، أنه خلال السنوات الثلاث الماضية، ونتيجة للتقدم السريع والمتقن في مجال بحوث تكنولوجيا النانو الحيوية حُققت طفرات مثيرة تمثلت في ابتكار أنواع متقدمة من أجهزة التوصيف وظفت من أجل فهم وتحليل بنية وتركيب الحامض النووي DNA للإنسان والفيروسات على حد سواء. وأدى هذا بطبيعة الحال إلى معرفة سلوك الأمراض والفيروسات وميكانيكية حركتها وتنقلاتها داخل الجسم ومعرفة الطرق والحيل التي تسلكها لمهاجمة مكونات وجزيئات الخلايا الحية في أعضاء الجسم. ويوضح الشكل (9 – 1) معدلات النمو المتزايدة في إنتاج الأدوية والعقاقير المُصنعة بتقنيات تكنولوجيا النانو مُمثَلة في التزايد المستمر في منح براءات الاختراع لتلك المنتجات المُحتكرة من قبل شركات الدواء العالمية ومراكز البحوث المهتمة والتي وصل عددها إلى ما يقرب من 400 براءة خلال الفترة من العام 2000 إلى منتصف العام 2008 [1].



الشكل (9 - 1) : إجمالي العدد السنوي لبراءات الاختراع الممنوحة في مجال العقاقير الطبية المُصنعة بواسطة تقنيات تكنولوجيا النانو في الفترة بين 2000 - منتصف العام 2008 (المصدر: الشكل تم تنفيذه بواسطة مؤلف هذا الكتاب وفقا للبيانات الإحصائية المُستقاة من المرجع الرقم 1)

طب النانو لتشخيص الحالة الصحية

كما سبق ذكره، فإن تكنولوجيا النانو تتيح للإنسان إنتاج مواد ومُصنعات جديدة من خلال التلاعب بذرات المادة وإعادة ترتيبها بالشكل والحجم المناسبين لكي تظهر معهما صفات جديدة لم تكن متأصلة في المادة الأصلية. وقد أدى التحكم في هيكلة المواد المُستخدمة كعقاقير طبية وتصغير أحجام حبيباتها إلى زيادة في قدرات وخواص تلك المواد، مما سمح لها بالتفاعل والتطبيق مع محتويات خلايا الأعضاء الحية. وليس ثمة تأكيد على أن الصفات الفريدة غير المألوفة التي اكتسبتها تلك المواد النانوية المُخلقة قد أدت إلى طفرات كبيرة في طرق العلاج ووسائل الرعاية والمتابعة الصحية. كما كان لها أبلغ الأثر في تقديم الكثير من الحلول الابتكارية مما فعّل مجال الطب الوقائي، وعزّز القُدرات التقنية المستخدمة في التشخيص والكشف المُبكر عن الداء.

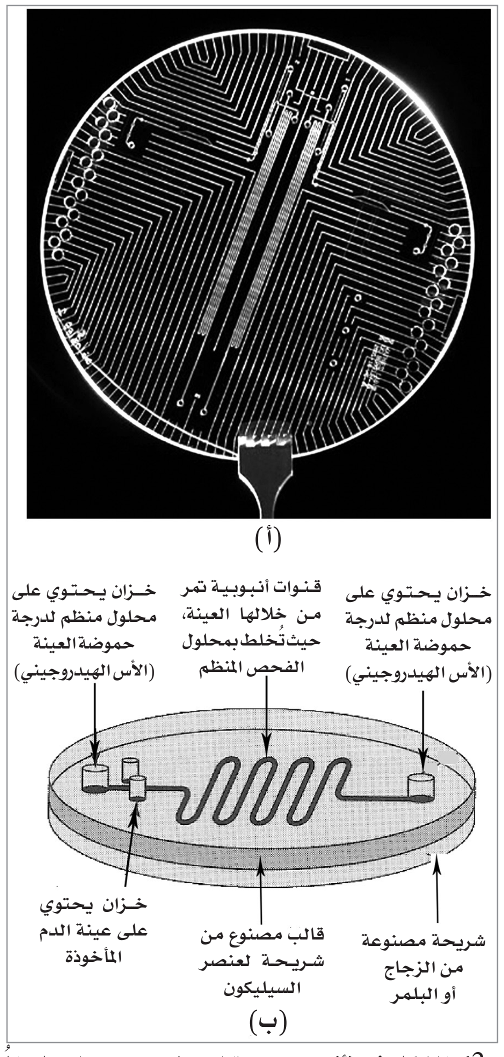
هذا ويعد الطب الوقائي أحد أهم المجالات الطبية؛ حيث يعتني بتوظيف مهارات الأطباء والفاحصين لتعزيز صحة الإنسان ومنع حدوث المرض، مع تسخير كل الأجهزة المستخدمة في الفحوصات الطبية المتعلقة بالاستكشاف المبكر للمرض من خلال رصد الكاشفات الحيوية Biomarkers [(2)]، والأعراض المرتبطة والتي تعد نذيرا ببدء حدوث تغيرات حيوية غير محمودة في الجسم تؤدي غالبا إلى تفشي إصابته بالمرض.

• المختبر المحمول على شريحة

لقد كان لتكنولوجيا النانو أبلغ الأثر في ريادة قطاع الطب الوقائي نحو استنباط طرق تشخيصية عالية الدقة تُستخدم فيها أجهزة الفحوص عالية الحساسية. وقد أتاحت تكنولوجيا النانو للمرضى غير المتخصصين إجراء بعض من التحاليل الطبية الدقيقة، مثل متابعة نسبة التغير في مستوى تركيز الغلوكوز في الدم الذي يتم من خلال فحص قطرة واحدة لعينة من الدم يتم إسقاطها على شريحة إلكترونية متصلة بجهاز صغير لا يتعدى حجمه حجم الهاتف النقال. ومن المُنتظر أن يؤدي التقدم في تصنيع مثل هذه الأجهزة إلى زيادة رقعة استخداماتها لتشمل التحاليل المتعلقة بإجراء صورة كاملة للدم، ونسب وجود الكوليسترول بأنواعه فيه، ومتابعة مدى التقدم في العلاج الدوائي من فيروس ما، وذلك من خلال إجراء تحليل دوري للدم طوال فترة العلاج. وسوف يتاح كل هذا خلال السنوات الخمس القادمة على الأكثر، وذلك من خلال أجهزة تحليل صغيرة يُطلق عليها اسم «المختبر المحمول على شريحة Lab-on-a-Chip»، نظرا إلى صغره الذي لا يتعدى حجم شريحة من شرائح أجهزة الحاسوب، كما هو موضح في الشكل (9 – 2 «أ»). وتعتمد فكرة تحليل الدم من خلال هذا الجهاز على أخذ عينة صغيرة جدا من دم الإنسان تُحقن داخل خزان مثبت بالجهاز ومتصل بشبكة من الأنابيب ميكرومترية حيث تمزج بداخلها العينة بمحلول الفحص المُنظم، كما هو مبين بالشكل (9 – 2 «ب»).

وقد أدى التقدم في تقنيات صناعة خراطيش نفاثات الأحبار المستخدمة في الطابعات القائمة على علم الموائع الميكرومتري Microfluids، والتي يتم فيها ضخ سوائل الأحبار إلى قنوات ميكرومترية ضيقة حيث تتم عملية المزج – أدى إلى إحراز تقدم كبير في صناعة المختبرات المحمولة التي تعتمد حركة السوائل ومزجها بعضها ببعض على نفس الأسس التقنية الخاصة بنفاثات الأحبار ومن دون استخدام أي

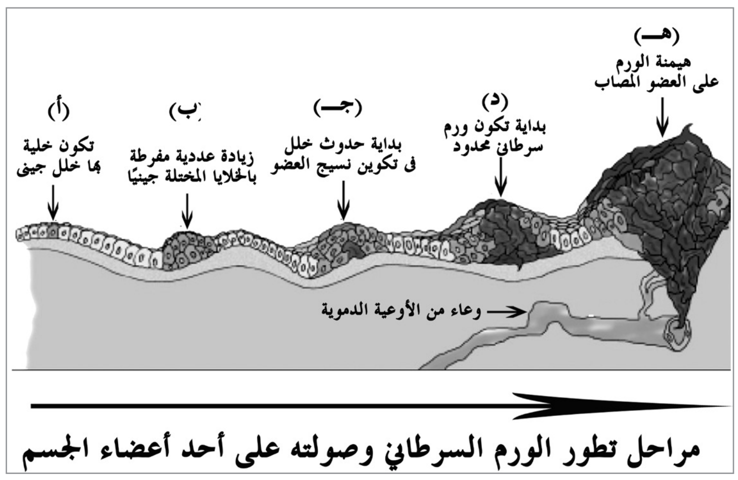
مضخـــات تتحكم في توجيه العينة أو محلول الفحص أو دفعها إلى مكان المزج في الأنابيب. ومن المرجح أن يؤدي التقدم المتلاحق في أبحاث علم الموائع الميكرومتري، إلى مزيد من التطوير المتعلق بتصنيع تلك المختبرات المحمولة وتصغير أحجامها.



الشكل (9 - 2): الشكل في (أ) يبين صورة لنموذج حقيقي لجهاز «المُختبر المحمول» تم إنتاجه واختباره في العام 2006 (المصدر المرجع الرقم 2). ويوضح الشكل التخطيطي في (ب) شرحا تفصيليا خاصا بمكونات الجهاز، صممه مؤلف هذا الكتاب)

● **الكشف المبكر عن الأورام السرطانية**

يقوم جسم الإنسان في كل لحظة بتغيير خلاياه القديمة وإحلالها بخلايا جديدة أخرى حيث يتم أثناء عملية التغيير والإحلال هذه، قتل جميع الخلايا القديمة المراد تبديلها والاستغناء عنها، وذلك في عملية بيولوجية روتينية يقوم بها الجسم السليم. وعلى الرغم من السلاسة الظاهرة في تلك المهمة الروتينية، إلا أنه قد يحدث في أحيان ليست بالقليلة، ولظروف معينة مازالت تحتاج إلى كثير من الدراسة والتفسير، يحدث تغير أو انحراف جيني Genetic Mutation، ينجم عنه ميلاد بعض الخلايا الجديدة التي لا يجب أن تُولد، أو أن يفشل الجسم في قتل خلاياه القديمة المُراد تبديلها بأخرى جديدة، وتبدأ من هنا المشكلة الناتجة عن رعونة عمليات الإحلال والتبديل التي تؤدي إلى انقسامات عشوائية في خلايا تلك المنطقة المُصابة من الجسم، المارقة عن أصول وقواعد النُظم الحيوية، مُوَلدَة بهذا «بؤرة سرطانية» لا يتعدى حجمها بضعة ميكرومترات قليلة يصعب اكتشافها في تلك المرحلة المبكرة من الإصابة، وسرعان ما تنمو هذه البؤرة وتتكاثر، مكونة خلايا سرطانية Cancer Cells، تؤثر بنموها السريع على طبيعة وسلوك الخلايا المتاخمة لها في العضو المُصاب نفسه أو في خلايا أعضاء أخرى مجاورة، مما يؤدي في النهاية إلى تكون ورم Tumor سرطاني، كما هو موضح في الشكل (9 - 3).



الشكل (9-3) مراحل تطور الورم السرطاني الناشئ عن خلل بانقسامات الخلايا الحية في أحد أعضاء الجسم (المصدر: الشكل نُفّذ بواسطة مؤلف هذا الكتاب)

ويتضح من هذا، أن عملية اكتشاف وتحديد بؤر الخلايا السرطانية وانقساماتها خلال المراحل المبكرة من الإصابة تُعد مسألة صعبة تقنيا، وذلك نظرا لصغر أحجام تلك البؤر التي تفوق دقة الأجهزة المستخدمة في اكتشافها، ومن ثم فإن تلك الخلايا الصغيرة حجما والمتواضعة كمّا تكون عادة خارج نطاق دقة الأجهزة، ولذلك لا تُدرك ولا تكتشف إلا بعد أن تكون قد تكاثرت وزادت نسبة وجودها. وليس ثمة شك في أن الكشف المبكر عن السرطان يمثل خطوة مهمة وأساسية في العلاج، نظرا إلى أن معظم الأورام السرطانية لا يُكشف عنها إلا في حالات متأخرة عندما تصل أحجامها إلى أحجام ضخمة تحتوي على عدة ملايين من الخلايا السرطانية، استفحل انتشارها بالعضو المصاب من الجسم.

وقد أتاحت تكنولوجيا النانو آفاقا جديدة وإضافات فريدة لعمليات التشخيص المبكر للسرطان من خلال فئة متقدمة من المواد تُعرف باسم البلورات النانوية Nanocrystals التي يُطلق عليها أيضا اسم «النقاط الكمية Quantum Dots» لأشباه الموصلات (مثل الكادميوم سلينيد CdSe أو الكادميوم سلفيد CdS، وغيرهما) والتي يتم تحضيرها على هيئة حُبيبات كروية الأشكال ذات أبعاد متجانسة، تتراوح أقطارها بين 2 و10 نانومترات. ونظرا إلى تدني أحجام تلك البلورات النانوية، فإنها تسلك سلوك الذرة الأحادية، مما يؤهلها للتمتع بخواص بصرية وموصولية متميزة، لا تمتلكها أي مادة أخرى لأشباه الموصلات. ومن أجل الحصول على خواص بصرية أفضل ولضمان عدم تعرض خلايا الجسم للتسمم بهذه المواد المعروفة بشدة السُمية، فإن حبيبات البلورات النانوية تُغلف بطبقتين، الطبقة الأولى مكونة من سلفيدات الزنك ZnS، أما الطبقة الخارجية للحبيبة فهي مكونة من مادة السيليكا SiO_2.

هذا ويتم تحميل بروتينات PEG الأجسام المضادة الخاصة بالخلايا السرطانية - يتم تحضيرها معمليا بكل يسر - على الأسطح الخارجية لتلك الحبيبات كي تعلق بها وتترسب على أسطحها الخارجية. لذا، عند

حقن المصاب بمحلول يحتوي على تلك الحبيبات، فإن الأجسام المضادة المُشتقة من بروتينات الخلايا السرطانية والعالقة بسطح الحبيبات تقوم بدور المرشد في توجيه الحبيبات إلى مواقع الخلايا السرطانية بالجسم دون غيرها من الخلايا غير المصابة. ومن ثم، فعند تعريض الجسم لموجات من الأشعة تحت الحمراء باستخدام تقنية الليزر، يعمل هذا على إثارة تلك الحبيبات الموجودة بالخلايا السرطانية فتتوهج معطية بذلك صورة خريطة محددا عليها وبأعلى دقة أماكن تواجد الخلايا السرطانية وانتشارها بالعضو المُصاب، مهما بلغ صغر هذه الخلايا أو قلت أعدادها. وقد كان لهذه الفئات المستحدثة من المواد النانوية أعمق الأثر في إحراز تقدم هائل في التصوير الجزيئي Molecular Imaging للكشف المبكر عن الأورام الذي يشهده عالمنا اليوم، خاصة في الكشف عن الأورام السرطانية المبكرة في الثدي.

الأدوية والعقاقير النانوية

تتصدر اليوم العقاقير الطبية، المركبة من حبيبات نانوية تقل مقاييس أبعاد أقطارها عن 20 نانومترا، رأس قائمة الأدوية والعقاقير الطبية من حيث الكفاءة والأمان. وقد تم تصميم المواد النانوية الخاصة بتلك العقاقير كي تتلاءم مع الأحجام المختلفة للجزيئات الحيوية Biomolecules الموجودة بالجسم، وكذلك مع أحجام الفيروسات والبكتيريا التي يُصاب بها الجسم. وتعتمد الأدوية النانوية في أداء مهامها، على صغر أحجامها الذي يمنحها ميزة التخفي عن جهاز المناعة Immune System بالجسم، الذي يقاوم وجود أي أجسام دخيلة عليه، فينقض عليها ويهاجمها بواسطة جنوده من الأجسام المضادة Antibodies. ومع التقدم المستمر في إنتاج تلك الفئة من المواد الذكية، فإن صناعة الدواء المعتمدة على تقنيات تكنولوجيا النانو قد بدأت منذ فترة وجيزة في تقديم أدوية وعقاقير طبية فريدة تتوافر فيها المزايا التالية:

- زيادة في نسبة التوافر البيولوجي [3] للدواء.

– تقليل نسبة سمية الدواء، وذلك من خلال تمكين الدواء من الوصول بصورة مباشـــرة إلى الخليـــة المصابة بعينها، مـــن دون المكوث طويلا في محطات أخرى بالجسم.

– تحسين في توزيع المادة الفعالة للدواء بخلايا الجسم المصابة.

– التحكم في معدل خروج المادة الفعالة للدواء من خلال تصغير أقطار مســام الكبســولات المغلفة لـــه، مما يعني زيــادة في فعالية الدواء، وتخفيض كمية الدواء اللازمة، وأيضا تقليل عدد الجرعات المطلوبة للشفاء.

وتُعـــد العقاقيـــر الطبية المؤثرة على الحالة النفســية للإنســـان كمضادات الاكتئاب مثالا جيدا لشـــرح ميكانيكية عمل تلك الحبيبات الدقيقـــة المُكونـــة للعقار الطبي فـــي العمل تحـــت مختلف الظروف ومتناقضات الحالة المزاجية للإنسان، فمن المعروف أن الاكتئاب ينتج عادة عن تغيـــر في تركيزات جزيئات ناقلات الإرســـال العصبية [(4)] بشـــكل مفاجئ لتصبح عالية التركيز مثـــلا، وتعمل الحبيبات النانوية المكونة لمضـــادات الاكتئـــاب [(5)] بالتركيز على تلـــك الظاهرة ورصد التغيرات المصاحبة لها، وذلك من خلال الهيمنة على جزيئات ناقلات الإرســـال العصبية المتجهة من وإلى المخ، فتعمـــل على إتلاف الزائد منها وإعاقة مسارها، وبذلك يقل تركيزها لتصبح دائما عند مستوى التركيز الطبيعي بما يتحقق معه ثبات الحالة النفسية واعتدال المزاج العام للمريض.

وبعيدا عن علاج الحالة النفسية للإنسان ولكن باستخدام فلسفة علاجية مشـــابهة، تتحقق اليوم نتائج مبشـــرة في مكافحة الفيروس HIV المسبب لمرض فقدان المناعة المكتسب الذي يتم اختصاره باللغة الإنجليزيـــة فيعـــرف باســـم AIDS، وذلك عن طريق تعطيل مســـار الفيـــروس ومنع نفاذه إلى خلايا كرات الـــدم البيضاء حتى لا يهيمن عليها جاعلا إياها مَعَامل مســـخرة لإنتاجه. ويعتمد نجاح هذه المهمة على صغر أحجـــام حبيبات المواد الكيميائية المســـتخدمة في تركيب العقاقير الطبية الخاصة لمكافحة هذا الفيروس الشرس.

توصيل الدواء

من المعروف أن نجاح أي عقار طبي يعتمد أساسا على طريقة تعاطيه وميكانيكية توصيله إلى الجزء المُعتل داخل جسم المريض، وذلك في أقل مدة زمنية ممكنة وبأقل تأثيرات جانبية محتملة، لذا فليس من الغريب أن تتنافس شركات الأدوية المختلفة في احتكار طرق فريدة معنية بتوصيل الدواء داخل جسم الإنسان وأن تهمين تلك الشركات على تقنيات وصول جزيئات الدواء إلى المكان المراد من دون تعثر أو خلل في التوجيه. ويعد رفع قيمة التوافر الحيوي لأي دواء من الأمور الصعبة التي لا تتأتى عن طريق زيادة نسبة جزيئات المواد الكيميائية الداخلة في تركيبه أو زيادة الجرعة التي يتعاطاها المريض، لأن هذا يؤدي إلى زيادة في نسبة سميته مما ينجم عنه عواقب وخيمة.

وتعد تكنولوجيا النانو المعول الرئيسي المستخدم لتطوير منهاج العقاقير الطبية والأدوية من خلال زيادة نسبة توافرها الحيوي بالدم وذلك عن طريق استحداث أساليب مبتكرة. وتقوم تلك التكنولوجيا بتقديم حلول ونماذج مبتكرة ومتقدمة أدت إلى نجاحات كبيرة ومتقنة في عمليات توصيل ونقل الدواء Drug Delivery، المتمثلة في رفع القدرة على نقل جزيئات المادة الكيميائية الفعالة للدواء إلى خلية بعينها من خلايا الجسم دون غيرها نقلا مباشرا وفي أقل فترة زمنية. فعلى سبيل المثال، يتم تصميم وإنتاج كبسولات من البلمرات مسامية التركيب Porous Polymer حيث تحتوي جدرانها على عشرات الآلاف من الفجوات المسامية التي تسمح بدخول جزيئات مادة الدواء لتستقر داخلها. وعند تناول هذه الكبسولات وبمجرد وصولها إلى العضو المعني أو المكان المراد علاجه بالجسم، فإن الكبسولة تبدأ في الانقسام إلى أجزاء صغيرة ثم إلى جزيئات أصغر فأصغر. ونظرا لوجود حبيبات المادة الكيميائية للدواء داخل نسيج تلك الكبسولات، فإنها لا تخرج دفعة واحدة وإنما تتسرب وتنطلق من مخابئها المسامية بمعدلات زمنية محسوبة Time-released Drug، مما يتيح للمريض أن يتعاطى كبسولة واحدة منها فقط طوال المدة الزمنية المقررة للعلاج بدلا من تعاطيها يوميا لعدة مرات. وتُعرف هذه الأدوية المتاحة الآن باسم العقاقير الطبية ممتدة المفعول.

ومثال آخر، تلك الحبيبات النانوية لأكسيد الحديد الأسود المغناطيسي Fe_3O_4 التي يتم خلط نسـبة وزنية منها مع حبيبات المادة الفعالة للدواء بحيث يتم شحنهما معا داخل كبسولة مُصنعة من البولمر مسامي التركيب. وبمجـرد تنـاول المريض لهذه الكبسـولة يقوم الطبيـب بتعريض منطقة الجسم الخارجية والتي يقبع تحتها العضو المراد علاجه لمجال مغناطيسي وذلك عن طريق اسـتخدام جهاز يدوي صغير، يشبه فأرة الكمبيوتر، يؤثر على الحبيبات المغناطيسية الموجودة بداخل الكبسولة، مُسببا لها اهتزازات تعمـل على إرغام حبيبـات مادة الدواء على الخـروج من خلال الفتحات المسـامية للكبسـولة وتقديم جرعة دوائية محلية الموضـع للجزء المصاب بالعضو، تماما وكأننا قد قمنا بعملية حقن موضعي للعضو الداخلي!

ويجري العمل في هذه الآونة، على تأهيل عدد من المواد النانوية الجديدة كي يتم توظيفها في علاج حالات أكثر تعقيدا وأشـد صعوبة وهي الخاصة بالخلايا العصبية. ومن المرجح أن تنجح المحاولات والأبحاث، الخاصة بزراعة تلك المواد بالمخ والاعتماد على صغر أحجامها، في أن تخدع الحاجز الدماغي الدموي (6) لتتسلل من خلاله حيث تمكث به محرزة الهيمنة الكاملة على نشاط خلايا الدماغ وتحفيزها كهربيا من خلال إطلاق موجات عصبية Neurotransmitters لها القدرة على علاج بعض من الأمراض العصبية المستعصية مثل الزهايمر والشلل الرعاش.

كذلك أدى التطور المستمر والسريع في بحوث طب النانو إلى ابتكار أنواع متطورة من المستحضرات الطبية المذيبة للتجلط الدموي، والتي تتألف من حبيبات نانوية متناهية في الصغر تكون قـادرة على اختراق الحاجز الدماغي الدموي وخداعه، حيث تذهب مباشرة إلى المخ لتستقر داخل شرايينه، مما يتيح لها التعامل المباشر مع تلك الجلطات الدموية وإذابتها إذابة موضعية من دون أدنى تدخل جراحي.

طب النانو: سلاح البشرية لدحر السرطان

● الطرق التقليدية المستخدمة لمكافحة السرطان

من المؤسـف تأكيد أن معدلات الوفاة العالميـة الناجمة عن الإصابة بمرض السرطان لم يطرأ عليها أي تحسن أو تغيير كبير، فظلت تقريبا كما هي منذ بداية العقد الخامس من القرن المنصرم. ومن المحزن أيضا معرفة أن هذا المرض مازال

يحصد أكثر من 25 في المائة من المجموع الكلي لحالات الوفيات بالدول النامية. وعلى الرغم من التقدم الكبير الذي حققته البشـرية خلال السـنوات الثلاثين الماضية في معرفة وتحديد الأسـباب المؤدية إلى الأورام السـرطانية، فإن تلك الجهود المضنية لم تُترَجم بعد إلى إحراز تقدم مماثل للعلاج والشـفاء النهائي من المرض. فكما هو معروف، فإن الطرق التقليدية المُسـتخدمة لمعالجة الأورام السـرطانية إما أن تكون عن طريق التدخل الجراحي، وإما عن طريق العلاجين الكيميائي Chemotherapy، أو الإشعاعي Radiotherapy.

وغنـي عن التوضيح، أن الأجزاء المصابة بالأورام السـرطانية تكون أكثر حساسية للحرارة وذلك إذا ما قورنت بغيرها من الخلايا والأنسجة السليمة بالجسم. لذا، فمنذ أواخر تسـعينيات القرن السابق استغلت تلك الخاصية في محاولات للهيمنة على الورم السـرطاني حـين ظهوره في منطقة ما من الجسـم والقضاء عليه محليا في المنطقة المصابة، وذلك عن طريق إخضاعه للتأثير الحراري بواسطة تقنية حديثة تُعرف باسم «العلاج بالتذرية الحرارية Thermal Ablation Therapy. وقـد أعطـت هذه التقنيـة كثيرا من الأمل في القضـاء على الأورام الخبيثة، حيث ثبت تفوقهـا على الطرق التقليدية المعروفـة التي دائما مـا ينتج عنها تهتك وتدمير للخلايا السـليمة المجاورة للخلايا المصابة، كما هو الحال في طريقتي العلاج الكيميائي والإشـعاعي. هذا بالإضافة إلى أن طريقة التذرية الحرارية، التي يستخدم فيها شعاع من الليزر الموجـه بدقة صوب الورم الخبيث، أظهرت نتائج مشـجعة في علاج بعض الحالات المتأخرة، والتي يكون فيها الورم قد اسـتفحل وتوغل بالجسم منتقلا إلى خلاياه الليمفاوية التي تنقله بدورها وبصورة عشـوائية وسريعة لأجزاء الجسـم كله. بيد أن اسـتخدام تلك التقنية يؤدي إلى ارتفاع حاد في درجة حرارة خلايا الجسـم، مما ينجم عنه عواقب وخيمة وتأثيرات سـيئة على الخلايا والأنسـجة السـليمة، مما يعرضهما للتهتك أو إلى تدهور حاد وفشل دائم في أداء وظائفها البيولوجية.

وعلـى الرغم من التقدم التقني في طرق وأسـاليب العلاج بهذه الطريقة، واسـتخدام مصـادر متنوعة من الطاقـة المؤدية إلى رفع درجـة الحرارة مثل الموجات فوق الصوتية ذات الترددات العالية، أو إرسال ذبذبات ترددية من خلال

المجالات المغناطيسية أو الكهربية، إلا أن هذه الجهود دائما ما تصطدم بكثير من العوامل الفنية الدقيقة مثل عدم تجانس أنسجة الجسم للموصلية الكهربية، الدقة في اختيار أماكن مواضع الأقطاب الكهربية، أبعاد الخلايا وأحجامها والتي ليس من السهولة استهدافها حراريا دون غيرها من الخلايا المتاخمة لها. كل هذه المعوقات والصعاب التقنية وغيرها أثرت بصور سلبية في انتشار تلك الطريقة المتقدمة وتطبيقها على نطاق أوسع في علاج الأورام السرطانية.

لذا فقد أيقن العلماء أن أغلبية الطرق التقليدية المستخدمة حاليا - حتى الحديث منها - للفتك بالأورام الخبيثة أو الحدّ من انتشارها تؤدي في أغلب الأحيان إلى آثار سلبية حادة وتأثيرات وخيمة، ومن ثم أضحت الحاجة إلى توظيف تقنيات علاجية جديدة، تُستخدم في قهر الورم السرطاني والقضاء النهائي عليه من دون أن يؤدي ذلك إلى أي أثار سلبية، مطلبا مُلحا للمرضى والمعالجين على حد سواء. وقد أعطت تقنيات طب النانو الكثير من الأمل في استهداف الأورام السرطانية والتعامل معها وحدها دون غيرها من الخلايا غير المصابة، حيث أكدت جميع النتائج التي أُجريت على حيوانات التجارب أو المتطوعين من البشر نجاح الطرق القائمة على هذه التكنولوجيا المتقدمة في قتل تلك الخلايا الخبيثة من دون أي آثار بيولوجية وخيمة قد تطرأ على الجسم البشري في أثناء العلاج أو بعده.

● موصلات الدواء لاستهداف السرطان

قاد التقدم المذهل في بحوث علم وتكنولوجيا النانو إلى ابتكار أنواع متميزة من موصلات الأدوية المتخصصة في قهر وإزالة ما يُعرف بسرطان الخلايا النجمية Astrocytoma الذي يُعد أكثر وأخطر أنواع السرطانات التي تصيب خلايا المخ، والتي تُمثل أكثر من 40 في المائة من حالات الإصابة بأورام المخ، حيث يتوغل ببطء داخل خلاياه مكونا ورما في منطقة ما وراء العين. ومما لاشك فيه أن وجود هذا الورم في ذلك المكان الدقيق والحساس يشكل صعوبة بالغة للأطباء في التعامل الجراحي معه أو العلاج الإشعاعي له، نظرا إلى قصور تلك الطرق التقليدية في الاستهداف الدقيق للورم وتشعباته في خلايا المخ، مما يؤدي غالبا إلى استئصال أو إتلاف خلايا سليمة مجاورة.

هذا وقد وافقــت إدارة الأغذية والأدويــة الأمريكية U.S. Food and Drug Administration (FDA) في العام 2005 على التصريح باستخدام أحد أدوية النانو الأكثر شــهرة في العالم والذي يحمل الآن اســما تجاريا ذائع الصيت، في علاج ســرطان الثدي حيث يُســتخدم وبنجاح منذ ذلك الحين في استهداف الخلايا السرطانية بالثدي والقضاء عليها.

● قذائف الذهب النانوية لقهر السرطان

كثيــرا ما يتردد على مســامعنا في هذه الآونة، ما اصطلح على تســميته بقذائف حبيبات الذهب النانوية Nano Gold Particles وقدرتها على القضاء على الأورام السرطانية، خاصة بعد أن كُرم أحد علماء العرب المتميزين، المصري الأصل الأميريكي الجنسية وهو البروفيسور/ مصطفى السيد في العام 2008 من قبل الرئيس الأمريكي الســابق، وذلك لجهوده المتميزة في توظيف حبيبات الذهب الخالص للفتك بالخلايا الســرطانية. وقد ارتبطت الحبيبات الذهبية باســم القذائف نظرا لأنها تنطلق عند حقنها بالجســم مثل طلقات القذائف الموجهــة لتصيب الورم الســرطاني في مقتل دون غيره من الخلايا الســليمة. وبالإضافة إلى هذا «المُســمى الوظيفــي»، فقد أُطلق على نوع آخر من أنواعها العديدة مصطلح حبيبات الصدفات النانوية Nanoshell Particles، نسبة إلى تركيبها الصدفي الذي يشبه محارة كروية الشكل.

وليس ثمة شك في أن القذائف المكونة من تلك الصدفات الذهبية تُعد من أبرز وأهم المواد النانوية التي أفرزها الإبداع الذهني للإنســان، والتي تعكس مدى استفادة الإنسان من التراكم المستمر للخبرات والمهارات المبنية على الأسس العلمية والفلسفات المنطقية المدعمة بالتقنيات الفنية المتعددة التي اكتسبها الإنسان خلال رحلته الطويلة مع الزمان.

تحضير حبيبات القذائف الذهبية معمليا

يُنســب الفضل دائما في التطبيقات الطبية والدوائية للصدفات النانوية إلى جهود مدرسة علمية رائدة بإحدى الجامعات الأمريكية وهي جامعة رايس Rice University، التي تُعد الجامعة الأكثر شــهرة على مســتوى العالم في مجال تكنولوجيا النانو، وذلك على الرغم من وجود عديد من المدارس العلمية

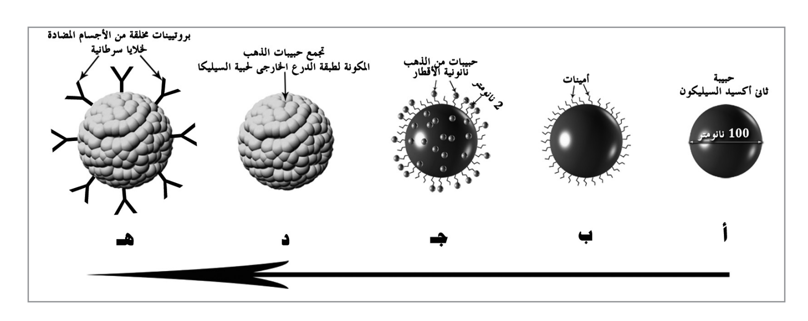
العالمية الأخرى المهتمة بالمجال نفسه. ويرجع ابتكار تلك القذائف الذهبية إلى البروفيسورة/ نايومي هالاس Naomi Halas الأستاذة بالجامعة نفسها حين تمكنت مع فريقها البحثي من تخليق حبيبات كروية نانوية من مادة السيليكا - ثاني أكسيد السيليكون SiO_2 - ذات أقطار تتراوح بين 100 نانومتر و120 نانومترا [7]. ويوضح الشكل (9 - 4) رسما توضيحيا مبينا به كيفية تحضير حبيبات القاذفات الذهبية معمليا وفقا لطريقة البروفيسورة هالاس [7].

وكما هو مبين في الشكل المذكور، تخلّق في البداية حبيبات من السيليكا التي تُعالج أسطحها عن طريق تحميل أمينات Amines مُخلقة لتُغطي السطح الخارجي للحبيبة التي يطلق عليها اسم القالب Core. ويكمن سبب ترسيب الأمينات على السطح الخارجي لحبيبات السيليكا في أنها تعمل على تحسين قدرة حبيبات مادة القالب على اجتذاب والتقاط حبيبات الذهب الكروية التي لا تزيد أبعاد أقطارها على 2 نانومتر، كي تترسب على أسطحها الخارجية مكونة بذلك طبقة ذهب حبيبية تزداد سمكا بزيادة الفترة الزمنية المُتاحة لعملية الترسيب ليصل سُمكها إلى نحو 10 نانومترات. وتعمل الطبقة الذهبية - الدرع الذهبية - المترسبة على السطح الخارجي لحبيبات السيليكا على امتصاص موجات الطاقة الضوئية المُوجهة إليها عند طول موجي تبلغ قيمته 810 نانومترات.

وفور الانتهاء من تحضير القذائف الذهبية، نكون بذلك على وشك تحريك طاحونة الحرب مع الخلايا السرطانية مهما بلغ صغرها ومهما تعاظمت كثافة أعدادها، وتشعبت أماكن وجودها بالجسم. ولنفس الغرض الذي تم توضيحه سلفا، تُحضّر بروتينات الأجسام المضادة من الخلايا السرطانية حيث تُرسب على سطح طبقة الحبيبات. وبعد ذلك الاستعداد الجيد تُشحن تلك الحبيبات في محلول ليحقن به المُصاب، حيث تقوم الأجسام المضادة بتوجيه قذائف الحبيبات للذهاب إلى ساحة القتال، لتحتل الحبيبات أسطح الخلايا المصابة فقط، دون غيرها، كما هو موضح في الشكل (9 - 5).

وبعد مرور ساعات قليلة (نحو ست ساعات أو أقل)، وبعد التأكد من وصول هذه القذائف إلى مواقعها الاستراتيجية في قلب مواقع العدو السرطاني، يبدأ تسليط كم إشعاعي ضوئي من موجات الأشعة تحت الحمراء بطول موجي يبلغ

810 نانومترات نحـــو الأماكن المُصابة، وذلك لفترة زمنية قصيرة جدا، لا تزيد على ثلاث دقائق. وبمجرد امتصـــاص حبيبات الذهب النانوية المكونة للطبقة الخارجية للقذيفة الضوء المُســلط عليها ، القادم من الأشــعة تحت الحمراء، تتحول الطاقــة الضوئية المُمتصة بها إلى طاقــة حرارية، حيث ترتفع درجات حرارة أســطحها الخارجية لتصل إلى نحو 42 درجة مئوية، تكون كافية تماما لتكوي وتحرق - إن جاز التعبير - كل الخلايا الســرطانية المصاب بها العضو، وتدميرها بنجاح كامل، وصلت نسبته إلى 100 في المائة!



الشكل (9 - 4) : رسم توضيحي يبين الخطوات المعملية المتبعة في تحضير حبيبات الصدف الذهبية المستخدمة كقذائف قاتلة لدحر الأورام السرطانية في مراقدها بكفاءة وأمان. ويتم في عمليات التحضير تجهيز حبيبات من السيليكون لتكون على هيئة كُريات صغيرة ذات أقطار لا تزيد على 100 نانومتر (أ)، ثم تأهيل أسطحها الخارجية كي تكون قادرة على جذب وترسيب حبيبات الذهب النانوية، وذلك من خلال تعليق وشبك أمينات على تلك الأسطح (ب)، بعد ذلك تتم عملية ترسيب كريات الذهب النانوية على أسطح حبيبات السيليكا حيث تلتقط الأمينات تلك الحبيبات التي لا تزيد أبعاد أقطارها على 2 نانومتر(جـ). وبزيادة زمن العملية تتراكم الكريات الذهبية على الأسطح الخارجية لحبيبات السيليكا مُكونة بذلك دروعا ذهبية على هيئة طبقات رقيقة يتراوح سمكها بين 2 و20 نانومترا (د). وبعد ذلك نسلح تلك المدرعات الذهبية من خلال تحميل بروتينات أجسام مضادة لخلايا سرطانية (على شكل حرف Y في الشكل هـ) تُحضَّر معمليا حيث تُوظف تلك الأجسام لتقوم بعمل الربان أو المرشد في توجيه تلك القذائف إلى مكامن وجود الخلايا السرطانية بالجسم (المصدر: الشكل تم تصميمه وتنفيذه بواسطة مؤلف هذا الكتاب، وذلك وفقا لما قامت به هالاس من تجارب رائدة).

وتدور الآن المنافســات العلمية الشــريفة بين مختلف المــدارس العلمية المهتمة بهذا الموضوع، حيث تجري دراســة وبحث إمكانية امتصاص حبيبات الذهــب للضوء القادم بموجات طولية لها قيم أعلى مما هي عليه الآن. ومع

تطوير سمك الطبقة الذهبية الخارجية وتعديل مقاييس أقطار الحبيبات الذهبية المُكونة للدروع الخارجية من القذائف، فإن هذا سوف يؤدي إلى زيادة في قدرة الحبيبات على التعامل مع بؤر سرطانية تقع بعيدة عن سطح الجلد؛ لذا فمن المرجح أن يتم الكشف قريبا عن توظيف هذه التقنية في قتل الكيانات السرطانية الموجودة بخلايا أعضاء الجسم، مثل الرئتين والكبد.



الشكل (9 - 5) صورة مجهرية لعينة أُخذت من ثدي مُصَابة (8) توضح وجود خلايا سرطانية (منطقة يمين الصورة) متاخمة لخلايا الثدي السليمة (منطقة يسار الصورة)، وتقوم قذائف الحبيبات الذهبية (الحبيبات كروية الشكل الموجودة على أسطح الخلايا السرطانية) التي سبق تحضيرها ودعم أسطحها الخارجية بالأجسام المضادة (انظر الشكل «5-5») باستهداف الخلايا المصابة وحدها فتتوجه إليها. وبمجرد وصول تلك الحبيبات إلى «مهابطها» على السطح الخارجي للورم تُعرّض لمصدر ضوئي له القدرة على اختراق جسم الإنسان (موجات من الأشعة تحت الحمراء بواسطة مصدر خارجي من أشعة الليزر) فتبدأ حبيبات القذائف الذهبية بامتصاص تلك الأشعة مما يرفع من درجات حرارتها لتصل إلى نحو 42 درجة مئوية، ناقلة تلك الحرارة إلى سطح الورم السرطاني فتقضي نهائيا عليه (تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).

ووجود تلك النسبة الضئيلة جدا من الحبيبات الذهبية داخل الجسم بعد الانتهاء من مهامها القتالية لا يسبب أي مشاكل صحية على الإطلاق، وذلك لأن فلز الذهب يتوافق مع الأوساط البيولوجية بجسم الإنسان ولا يسبب وجوده بالجسم أي مشاكل تتعلق بالتسمم، لذا فهو صديق بيولوجي للإنسان الذي يستعين به منذ قديم الأزل في مجال طب الأسنان.

وعلى الرغم من أن النتائج المُشار إليها هنا قد تم الحصول عليها من اختبارات معملية متعددة أُجريت على فئران المعامل التي زُرعت خلايا سرطانية في أعضائها، فإن من المنتظر في خلال الأعوام الثلاثة القادمة أن يواصل العلماء جهودهم في تلك التجارب المهمة باستخدام حيوانات معملية أخرى مثل الأرانب ثم القردة. ونكون بذلك قد قطعنا شوطا كبيرا فيما قبل الاختبارات السريرية المُنتظر إجراؤها على البشر بعد سنتين من الآن على الأكثر.

طب النانو والداء السُكري

يمثل داء السُكري، خاصة النوع الثاني [9] منه، مشكلة كبيرة تتزايد خطورتها سنة بعد الأخرى وذلك نتيجة للعادات الغذائية الخاطئة وقلة الحركة، مما أدى إلى تفشي وباء السمنة وارتفاع أعداد المصابين بهذا الداء في جميع أرجاء العالم، خاصة عند الأطفال والمراهقين. ويُعد هذا الداء هو السبب الرئيسي لفقدان البصر عند البالغين الذين تتراوح أعمارهم بين 20 و74 عاما، والمسؤول الأول عن أمراض الفشل الكلوي لتلك الفئة العمرية. ويؤدي هذا الداء في كثير من الأحيان إلى مشاكل خطيرة في القلب، كما يُضاعف من خطر الإصابة بالذبحات الصدرية والسكتات الدماغية. ويمثل هذا النوع من الداء السكري خطورة كبيرة، حيث إن المصاب به لا تظهر عليه أي أعراض خلال المرحلة المبكرة من الإصابة، لذا فغالبا ما يُكتشف بمحض المصادفة، مما يؤدي إلى مضاعفة الآثار الجانبية المترتبة على الإصابة به وتأخر العلاج.

وقد أسهمت تكنولوجيا النانو إسهاما كبيرا في توفير طرق التشخيص الفعالة والدقيقة القادرة على تحديد ورصد الجينات المرتبطة بالداء السكري من النوع الثاني، والتمييز بينها وبين جينات النوع الأول من الداء. وقد أدى هذا إلى توفير طرق متقدمة للفحص متاحة الآن وعلى المستوى التجاري بمعامل التحاليل المتخصصة،

مما يزيد من مقدرة المعالجين على وصف الدواء الســليم المرتبط بالحالة، الأمر الذي يقصّر الفترة الزمنية المطلوبة في العلاج. وتُجرى الآن الأبحاث على تقديم صيغ كيميائية مركبة من حبيبات نانوية تحتوي على الأنسولين ومُصَممةٌ بحيث تكون قادرة على عبور كل الحواجز الفسيولوجية الموجودة بالجسم وذلك من أجل تقديم جرعات فعالة من العقاقير الدوائية بصورة فعالة وسريعة.

هذا وقد تحقق أخيرا النجاح في تصنيع حساسات عضوية Biosensors متناهية الصغر تستشعر وقوع أي انخفاضات حادة في مستوى نسبة الغلوكوز بالدم. وتوضع تلك الحســاســات في كبســولات ميكرومترية مصنوعة من البلمر مســامي التركيب بحيث يتم تثبيتها على سطح أي منطقة بالجسم. وعند الخطر وبمجرد هبوط مســتوى الغلوكوز بالدم تقوم تلك الحساسات بإرسال إشارات معينة إلى الهاتف النقال الخاص بالمريض الذي يأخذ على الفور جرعة من الأنســولين. وتُجرى الآن تجارب تطوير هذه الحســاســات بحيــث تضاف خزانات صغيــرة تحتوي على جرعة من الأنســولين تُحقن داخل الجســم من خلال إبرة تتصل بالخزان فتقوم بضخ الجرعة الملائمة بناء على إيعاز من الحساس. ويمثل نجاح تلك التجارب أملا كبيرا يتعلق به مئات الملايين من البشر المصابين بالداء السكري.

أمراض القلب والأوعية الدموية

على الرغم من وصول البشــرية إلى قرب نهاية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، فما زالت أمراض القلب هي الهاجس الأكبر والمسؤول الأول عــن نحو 50 في المائة من الوفيات حــول العالم. ومن المعروف، أن السبب الرئيسي وراء أمراض القلب يرجع إلى تكوّن طبقات من الدهون على الجــدران الداخلية للأوعية والشــرايين الناقلة للدم، مما يؤدي إلى نقص فــي مرونة تلك الأوعية وتصلبها، كما يــؤدي إلى نقص كمية الدم المحمل بالأكســجين الواصل إلى خلايا وأنســجة أعضاء الجســم، وهذا بالتبعية يعمــل على زيادة ضغط الدم. ومازال الغموض وعدم الدراية يخيمان حتى الآن على معرفة الأسباب الرئيسية المؤدية إلى عدم استقرار تلك الطبقات الدهنية وتعرضها للتكسير المفاجئ مسببة معها مشاكل خطيرة ينجم عنها حدوث الجلطات الدموية وانسداد الأوردة والشرايين الدموية.

وتتركــز الآن جهود الباحثين في تحديد الأســباب الجينية المؤدية إلى تراكم تلــك الطبقات الدُهنية الخطيرة على جــدران الأوعية الدموية وذلك من خلال برامج بحثية مكثفة تعتمد على توظيف الكُرات الحبيبية لبلورات أشباه الموصلات النانوية (النقاط الكمية)، وكذلك الحبيبات النانوية للمواد المغناطيسية في عمليات الكشــف المبكر عن تراكم تلك الطبقات [10]. وفي نفس الإطار صُنّع أخيرا نوع جديد من الحساسات البيولوجية تُســمى بالمنار الجزيئي Molecular Beacon تتراوح أبعادها من 4 – 5 نانومترات يتم إدخالها إلى جســم الإنســان عن طريق حقنه بها، فتبحر مع الدم سابحة في أوعيته وشرايينه، حيث تقوم بدور المراقبة لرصد النوع الجيني بالجسم المسؤول عن ترسيب الدهون، ويتم نقل هذه البيانات عن طريق إشــارات وومضات تسجل على أجهزة متابعة خارج الجسم [11]. ومن ثم تتم مراقبة تلك الجينات وتتبع سلوكها ورصد ميكانيكية تكوّن طبقات الدهون على جدران الأوعية الدموية، وذلك بهدف تحديد الأسلوب الأمثل والفعال الذي يجب اتباعه لإعاقة تلك الجينات عن تأدية عملها هذا.

ومن المؤكد أن تســهم حساســات المنارات الجزيئية إسهاما كبيرا في وصف وتصميــم حبيبات مــواد العقاقير الطبية النانويــة وتحديد المواد الكيميائية التي يجب اســتخدامها لإزالة طبقــات الدهون المتراكمة على الأســطح الداخلية لجدران الشــرايين. وســوف يؤدي التقدم في الرصد الجزيئي لجينات المرض إلى إحداث طفرة كبيرة في صناعة الدواء الخاص بإزالــة الدهون وإذابتها، بحيث تتم صياغة عدد من العقاقير الطبية تتنوع فــي أحجام حبيباتهــا وفعاليتها، بحيث توصف، وفقــا لحالة كل مصاب، والسلوك الجيني المســبب لتراكم الدهون داخل شرايينه الدموية، وحالته الصحية وعمره. ومن ثم، فســوف يتلاشــى مفهوم «العقار الموحد» ليحل محله «العقار الخاص» الذي يتم تصميمه وتركيبه وفقا لحالة كل مريض.

وفــي إطار الجهــود البحثية المبذولة والرامية إلــى تقليل فرص تكون الجلطــات الدمويــة داخل الأوعية والشــرايين الدموية والتــي تؤدي إلى مخاطر حدوث حالات الأزمات القلبية المباغتة وانسداد الشعيرات الدموية داخل الرئة، صُمِّمت حبيبات نانوية قادرة على التعامل مع الفبرين Fibrin غير المذاب بالدم والذي يُعد المُكون الرئيسي للجلطات الدموية.

دعامات القلب النانوية

يلجأ الجراحون إلى اســتخدام ما يُســمى بالدعامات، وذلك بغرض فتح وتوســيع شــرايين القلب المصابة بضيق شديد في مســاحة مقطعها نتيجة التراكم المستمر لطبقات الكولسترول على جدرانها الداخلية والذي يحول دون ســريان الدم المُحمل بالأكسيجين. وتلك الدعامات عبارة عن أنابيب صغيرة أسطوانية الشكل مصنوعة من فلزات حرة، تركَّب في الشريان المصاب بصورة دائمة، مما يســمح بمرور الدم من خلالــه، بالإضافة إلى أن تلك الدعامات الفلزية تحول دون تراكم طبقات الدهون على الجدران الداخلية للشــرايين، مما يمكن الشرايين من بناء أنسجة جديدة لأسطحها الداخلية. وعلى الرغم من وجود العديد من المشــاكل التي تترتب على استخدام تلك الدعامات مثل حدوث تلوث بالدم، أو جلطة أو نزيف، فإن أخطرها يتمثل في رفض الجهاز المناعي لمادة الدُعامة الفلزية ومقاومتها بصورة دائمة، مكونا نُدبا تتراكم على الجدران الداخلية للشريان وبالتالي تُعيق سريان الدم بداخلها [11].

وقد ســاهمت تكنولوجيا النانو مساهمة كبيرة في إيجاد حلول عملية للتغلب على تلك المشاكل، من خلال تغطية أسطح أنابيب الدعامات بطبقات نانوية رقيقة السـمك من البولمرات. أيضا تُوظف أنابيب الكربون النانوية فــي إنتاج الدعامات التي تتمتع بمعامــلات فائقة في المرونة والمتانة، هذا بالإضافة إلى عدم مقاومة الجهاز المناعي في الجسم لها.

تكنولوجيا النانو للوقاية من البكتيريا والجراثيم

أجرت بعض الشــركات خلال الســنوات الأولى مــن بداية هذا القرن العديــد من الأبحــاث العلمية المثيرة على الحبيبــات النانوية لفلز الفضة لمعرفة مدى إمكانية توظيفه في مجال مقاومة العدوى وقتل الأنواع المختلفة من البكتيريا الضارة والفيروســات. وقد أشارت النتائج إلى أن الحبيبات البلورية لفلز الفضة لها قدرة مُدهشة على قتل أنواع متعددة من البكتيريا الضارة والفيروسات والجراثيم، وذلك يرجع إلى أن تصغير تلك الحبيبات إلى أقطار تقل عن 5 نانومترات يعمل على زيادة كبيرة في مســاحة سطح الحبيبات، ومع تناقص أقطار الحبيبات وزيادة مساحة السطح، تتولد لدى

ذرات عنصر الفضة الموجودة بلب الحبيبات النزعة في الهجرة إلى السطح الخارجـي للحبيبات، مما يـؤدي إلى زيادة كبيرة في نشـاطها الكميائي، وكذلك زيادة في تفاعلها مع أكسيجين الهواء الجوي، ونتيجة لذلك، تتكون أيونات الفضة السامة التي تكون مسؤولة عن قتل الجراثيم والفيروسات.

وقد احتكرت إحدى الشركات الكورية المتخصصة في صناعة الأجهزة الكهربية والإلكترونية، تصنيع الثلاجات المنزلية المُغطاة من الداخل بطبقة رقيقة من فلز الفضة بهدف قتل البكتيريا والجراثيم التي قد توجد، وذلك من أجل حماية الأطعمة المحفوظة من التلوث البكتيري، كذلك قامت إحدى الشـركات المتخصصة في صناعة الأحذية، بوضع أليـاف نانوية من فلز الفضـة بداخل الحذاء، وذلك من أجـل منع فطريات القدم والبكتيريا من النمـو في أثناء فترة ارتداء الحذاء. ويمثل هذا المُنتج أهمية كبيرة لمرضى الداء السـكري، الذين يعانون بصـورة دائمة من التقرحـات والالتهابات بالقدم، تمنع الإصابة بالعدوى البكتيرية التي قد تؤدي إلى عواقب وخيمة تتمثل في حدوث غنغرينا بالقدم.

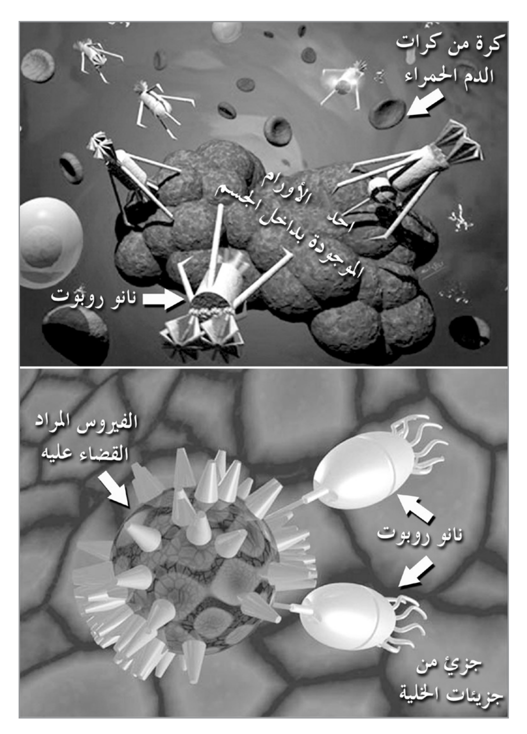
وكثيرا ما نجد بعض الثياب الرياضية المستخدمة في عمليات الإحماء والعـدو، قـد تم تطعيمها بألياف من الفضة وذلك بهدف منع أي نشـاط بكتيري أو فطري من التكون، وتسـتخدم سـوائل تحتوي على مُعلقات من حبيبات الفضـة النانوية غيـر الذائبة في معالجة الأقطان والبوليسـتر وغيرهما من الأنسجة المستخدمة في صناعة الغزل والنسيج [12].

النانو روبوت

شـرد ذهني طويلا بعد محاضرة عن تطبيقـات تكنولوجيا النانو كنت قد تلقيتها خلال مرحلة دراسـتي للماجسـتير في العـام 1985 بإحدي الجامعات اليابانية. ورجعت بي الذاكرة إلى ما قبل ذلك التاريخ بنحو 20 سنة، حين شـاهدت وأنا في العاشرة أحد أشهر أفلام السينما الأمريكية وهـو «الرحلة الخياليـة Fantastic Voyage». لم أكن الوحيد الذي لاحظ هذا التشـابه الرابط بين فلسـفة طب النانو وتلك الفكرة الخيالية لمؤلف ذلك الفيلم، الذي دارت أحداثه حول فريق من الجراحين اسـتقلوا مركبة

على هيئـــة غواصة بحرية تم تقليصها، وهم على متنها، إلى ما دون حجم الخلية، ثم أُدخلت إلى جســـم المريض، كي تغوص وتســـبح في دماء أوردته وشـــريانه، حتى تصل في النهاية إلى مرساها بالمخ. وعند ذلك، تبدأ مهمة أعضاء الفريق الجراحي، المتقلصة أحجامهم، في إذابة تجلط دموي به!

وبرهنت فكرة تلك الرواية على تأثر مُبدعها بالمحاضرة التاريخية التي ألقاها عالم الفيزياء الأمريكي الشهير البروفيسور ريتشارد فينمان - الأب الروحي لعلم وتكنولوجيا النانو - في العام 1959، والتي تُعد حجر الزاوية لفلسفة تكنولوجيا النانو التي تفجرت مع بداية القرن الحادي والعشرين.



الشـكل (9 - 6) يوضح الشكل العلوي شـكلا افتراضيا للنانو روبوت المتوقع إنتاجه مسـتقبلا فـي أثناء إجرائه لاسـتئصال موضعـي لورم سـرطاني داخلـي. بينما يوضح الشـكل السـفلي نوعا آخر من النانو روبوت يُتوقع إنتاجه مسـتقبلا حيث يُستخدم عن طريق توجيهه إلى أحد الفيروسـات الغازية لعضو ما بالجسـم حيث يسحقه عن طريق إطلاق أشعة من الليزر بدقة عالية، من دون أن تتأثر بذلك خلايا الجسم الحاضنة لهذا الفيروس. (مصدر الصور: www.foresight.org).

وعلـــى الرغم من الخيال العلمي المنعوت بالخصوبـــة، في فكرة رواية فيلم «الرحلـــة الخيالية»، فإنها قد حازت قبـــولا واهتماما كبيرين لدى فئة عريضة من العلمـــاء في جميع التخصصـــات، فانكبوا على نمذجة ومحـــاكاة الفكرة، وذلك من خلال تقديم مزيج متجانس لأبحاث راقية وفريدة في مجالات المواد والتكنولوجيات الحديثة مثل: المواد المتقدمة Advanced Materials، تكنولوجيا النانـــو - حيوية، إنتاج وصناعة الجزيئات المســـتخدمة في إنتاج أنظمة كهربية وميكانيكية علـــى المســـتويين الميكرومتـــري Micro-Electrical-Mechanical Systems (MEMS)، والنانومتري Nano-Electrical-Mechanical Systems (NEMS). هذا في الوقت الذي تدور فيه الآن مناقشـــات مســـتفيضة تشمل طرح سيناريوهات متعددة متعلقة بكيفية إدخال تلك الغواصات النانوية - النانو روبوت Nanorobots أو النانو بوتس Nanobots - إلى داخل الجســـم البشري، وعن موقف الأجســـام المضادة Antibodies منها. هل سيتم طلاؤها Coating بطبقـــات نانوية السُـــمك Nanolayer تتوافق بيولوجيا مع الجســـم لضمان عدم مقاومته لها؟ وما هو نوع وســـمك تلك الطبقات المُقترح استخدامها؟ هل ســـتقوم تلك الروبوتات النانوية بتعقب الفيروسات وإصلاح خلايا الجسم من خلال تشـــفيرها عن طريق وضع برامج خاصة على شـــريحة إلكترونية نانوية Nanochip تُثبت عليها؟ أم هل سيتم توجيهها والتحكم في مسارها وأدائها من الخارج بواســـطة أجهزة التحكم؟ ولكن السؤال الأكثر أهمية هو المتعلق بمصير تلك المركبات النانوية بعد الانتهاء من مهامها وعن كيفية إخراجها من الجسم. هناك الكثير والكثير من الحوارات والمناقشـــات العلمية المهمة والمشوقة. وعلى الرغم من صعوبة تلك المناقشات واصطدامها بعدم المعرفة في كثير من الأحيان، فإنه من المنتظر أن يُطرح الجيل الأول من النانو روبوت قبيل العام 2025.



15

تكنولوجيا النانو والأمن الغذائي

«أتاحت تكنولوجيا النانو التعامل المباشر مع عينات المحاصيل الزراعية وإعادة ترتيبها على النحو الذي يضمن إنتاجية أكبر وإضافة بعض الصفات المرغوب فيها»
المؤلف

ليس ثمة شك في أن الحالة الصحية العامة لأي فرد ترتبط ارتباطا مباشرا مع ما يتناوله من غذاء، وعليه فإن موضوع الغذاء يعتبر من الموضوعات الأكثر أهمية التي ترتبط - على الأقل من وجهة نظر تكنولوجيا النانو - بالتطبيقات المتعلقة بالطب والرعاية الصحية. وقد صدقت المقولة الشهيرة، التي نتداولها كثيرا، وهي أن العقل السليم في الجسم السليم. وليس بخاف على القارئ الكريم، أن مئات الملايين من شعوب الدول النامية، يعانون أشد المعاناة من عدم توافر الغذاء. ومن المحزن والمخجل لنا أن نعلم أن أكثر من نصف وفيات الأطفال في العالم النامي يرجع إلى نقص الغذاء وعدم توافر

المياه الصالحة للشرب. وعلى النقيض من هذا، تمثل وفرة الغذاء غير الصحي أيضا خطورة بالغة تؤدي بلا شك إلى آثار سلبية وخيمة على صحة الإنسان.

لذا، فقد جاءت هذه القضية المهمة ضمن أهم القضايا التي توليها تكنولوجيا النانو كل الاهتمام، خاصة أن تلك التكنولوجيا المتقدمة تمتلك الأدوات والقدرات على حل القضايا المتعلقة بتوفير الأمن الغذائي، من خلال تغيير وتطوير التكنولوجيات المستخدمة في قطاع الزراعة، مثل تحسين خصوبة التربة الزراعية ورفع قدرتها على إنتاج المحاصيل والحبوب المختلفة. وقد كان لهذا الاهتمام المتزايد أبلغ الأثر في تشجيع أكثر من 600 شركة من الشركات المتخصصة أو ذات الصلة بالمجالات الزراعية وتصنيع المواد الغذائية في الاستثمار في مثل هذه المجالات الحيوية المرتبطة بصحة وأمن الإنسان وسلامته. وتمثل الولايات المتحدة الأمريكية وتليها اليابان ثم الصين أكبر الدول الرائدة في مجالات توظيف تكنولوجيا النانو في الزراعة وتصنيع المنتجات الغذائية ومعالجتها [1]. هذا وينتظر أن يصل عدد هذه الشركات إلى أكثر من 1000 شركة خلال السنوات الثلاث المقبلة على الأكثر.

تكنولوجيا النانو والغذاء

تعد تطبيقات تكنولوجيا النانو المتمثلة في تحسين منتجات الصناعات الغذائية ورفع قيمتها وجودتها، أحد أهم التطبيقات الحديثة المهمة المرتبطة ارتباطا مباشرا بمجال الرعاية الصحية للإنسان وسلامته وحمايته من الأمراض والمخاطر الناجمة عن عشوائية تناول الطعام. ومن المؤسف أن تتجلى هذه المشكلة بكل آثارها السلبية الخطيرة، في منطقتنا العربية. فقد أدت العادات الغذائية المتوارثة لدينا، إلى أن تعاني فئات عريضة من أفراد شعوبنا العربية، في مختلف الأعمار، من زيادة الوزن والسمنة المفرطة، مما أدى إلى زيادة مخيفة في نسبة المصابين بداء السكري، وارتفاع ضغط الدم المزمن، وتأثير ذلك في سلامة وصحة القلب والشرايين، والكبد والكلى. والأمر لا ينحصر فقط في منطقتنا العربية، بل تستفحل هذه المشكلة

وتزداد في كثير من المجتمعات الغربية، حيث بات إيقاع الحياة السريع نهجا للإنسان المعاصر، مما يفرض على الكثيرين اتباع عادات غذائية ضارة، تتمثل في تناول الوجبات السريعة ذات السعرات الحرارية العالية، الغنية بالدهون المشبعة.

الغذاء النانوي

كثر في الآونة الأخيرة استخدام مصطلح «الغذاء النانوي» Nanofood [3] في حياتنا اليومية، وتعددت أشكاله المستخدمة. وقد زادت أسماء المنتجات والمكملات الغذائية التي تضع على معلباتها وأغلفتها الخارجية عبارات تفيد بأنها أنتجت بواسطة «تقنيات تكنولوجيا النانو»، مما دفع كثيرا من المحلات التجارية المتخصصة في بيع الطعام والمواد الغذائية إلى أن تخصص لتلك المنتجات أماكن خاصة بها. وقد أضحى هذا المصطلح، منذ فترة وجيزة، بمنزلة الأمل والرجاء لفئات عريضة من البشر تعاني، حتى هذه اللحظة، الحرمان في مجال تناول الغذاء الصحي الذي يجمع بين صفات مرغوب فيها، لا تتوافر في مواد غذائية أو أطعمة أخرى، مثل المذاق الجيد واكتمال توافر العناصر الغذائية بها، وانخفاض قيمة سعراتها الحرارية.

ولعله من المفيد أن نعمد إلى تعريف هذا المصطلح الجديد علينا، والحديث على جميع المعاجم اللغوية ومعاجم المصطلحات الطبية والبيولوجية بلا استثناء. يقصد بالغذاء النانوي أي غذاء أُنتج، أو عولج في أي مرحلة من مراحل إنتاجه، المتعلقة بزراعته، وتجهيزه أو تأهيله، باستخدام تقنيات تكنولوجيا النانو المتنوعة. وتندرج تحت هذا المسمى أيضا تلك الأغذية المحتوية على إضافات مكونة من مواد نانوية، مثل الحبيبات النانوية للعناصر الفلزية الحرة من الحديد، والزنك والكبسولات الجيلاتينية ذات المسام النانوية المحتوية على تركيزات عالية من زيوت الأسماك الشهيرة «الأوميجا 3» Omega 3 ومواد الإنزيمات المصاحبة لها، التي تعمل على تشغيل تلك الإنزيمات بكفاءة ويسر مثل «الكيو10» Q10، وقد وصل عدد تلك المنتجات التكنولوجية المتاحة بالأسواق والمرتبطة بقطاع الغذاء في العام 2006 إلى أكثر من 700 منتج، بيعت بنحو 2.6

مليــار دولار [3]، ويتوقع أن تزداد تلك المبيعات خلال هذا العام (2010)، لتصــل إلى نحو 20.4 مليــار دولار [4]. ويلخص الجدول (10 - 1) أمثلة لبعض المواد النانوية المستخدمة في مجال المنتجات الغذائية، وآلية عملها داخل الجسم.

الجدول (10 - 1): أمثلة لبعض من المنتجات الغذائية المنتجة بواسطة تكنولوجيا النانو

نوع المنتج	أمثلة لأنواع المواد النانوية الداخلة في تركيب المنتج	آلية عمل المواد النانوية
المكملات الغذائية	هيــاكل جزيئية تتألــف من حبيبات نانوية لمعادن معقدة التركيب الكيميائي لهيدريــدات الســيليكا، تتــراوح أقطارهــا من 1 إلــى 5 نانومترات.	تتمتع تلــك الحبيبــات النانوية بمساحة أسطح هائلة، وذلك نظرا إلى تدني أطوال أقطار حبيباتها، ممــا يضاعف مــن مقدرتها في امتصــاص الرطوبة، وهذا يعمل على انطــلاق وتحرر أيونات غاز الهيدروجــين منهــا. وتقوم تلك الأيونات المتحررة بدور مضادات الأكسدة عالية القدرة وذلك على المستوى الجزيئي.
المشروبات الغذائية والصحية	تحتــوي علــى حبيبــات نانويــة لفلــز الحديــد الحر، تصــل أبعاد أقطارهــا إلى نحــو 300 نانومتر.	صغــر أحجام حبيبــات الحديد يــؤدي إلــى ســهولة بالغــة في امتصــاص خلايــا الجســم لها والتفاعل معها.
المواد المستخدمة في تجهيز وإعداد الأغذية	حبيبــات فلــز الفضة الحــرة التي تقل أبعاد أقطــار حبيباتها عن 10 نانومتــرات تدخــل الآن فــي طلاء أدوات القطع المستخدمة في تجهيز الأغذية بالمطابخ. كذلك تدخل تلك الحبيبات في تصنيع أغشية تستخدم لطــلاء أدوات المطبــخ والمائــدة: الأكــواب وأوانــي الطهــو وأدوات المائدة. وتســتخدم كذلك في صنع طبقات نانوية رقيقة على الأســطح الداخلية للثلاجات المســتخدمة في تبريد وتجميد المنتجــات الغذائية.	أظهــرت نتائــج الأبحــاث التي أجريت خلال العقد الماضي قدرة فائقة لحبيبات الفضة النانوية في قتل البكتيريا ومكافحة تراكمها علــى أســطح المــواد المختلفة.

نوع المنتج	أمثلة لأنواع المواد النانوية الداخلة في تركيب المنتج	آلية عمل المواد النانوية
تغليف وتعبئة المواد والمنتجات الغذائية	حبيبات السيليكا النانوية المستخدمة في دعم وتقوية البوليمرات المستخدمة في تعبئة المواد والمنتجات الغذائية.	تعمل حبيبات السيليكا النانوية على تقوية العبوات المصنعة من البوليمرات وسد الفجوات المسامية الموجودة بها وبالتالي منع جزيئات الغازات مثل الأوكسيجين في اختراق تلك العبوات، ومن ثم تساهم في زيادة العمر الافتراضي في تخزين المنتجات الغذائية وحمايتها من الأكسدة والتلف.
الحساسات النانوية	أنابيب الكربون النانوية، حبيبات الكربون بلاك النانوية فائقة النعومة (50 نانومترا).	تكشف أنابيب الكربون النانوية عن الكائنات الدقيقة متناهية الصغر، وكذلك باستشعار وجود البروتينات السامة المصاحب لتلف وفساد الأطعمة والمشروبات المحفوظة. ويقوم كذلك الكربون بلاك بالمهام نفسها، وذلك عن طريق التغير في لونه المصاحب لأي أنشطة بكتيرية يتم تعيينها.

التحكم في بنية الغذاء وإعادة صياغته

قاد التقدم الهائل في علم النانو والتقنيات الدقيقة المستخدمة في توصيف وتعيين خواص المادة عند المستوى الذري والجزيئي لها إلى تفهم عميق لطبيعة البنية النانوية للمكونات الداخلية في الأغذية، وذلك عن طريق توظيف الأجيال الحديثة من الميكروسكوبات الإلكترونية وميكروسكوبات القوة الذرية في أغراض توصيف وتعيين خواص المواد الغذائية. ومن ثم، فقد أدى هذا التفهم إلى فتح آفاق جديدة في عمليات تصنيع الأغذية، وذلك عن طريق التحكم في ترتيب ذرات المواد الداخلة في تركيب جزيئات المواد الغذائية واختيار عناصر إضافية مفيدة لمواد أخرى بغرض إدخالها في بنية الغذاء، مما يتيح رفع جودته وقيمته الغذائية معا. هذا، وقد قامت أخيرا

واحــدة من كبريات الشــركات الألمانية المتخصصة في إنتــاج وتعبئة اللحوم المحفوظة، في ابتكار إضافات من حبيبات غروية لا تزيد أبعاد أقطارها على 30 نانومترا يتم تشكيلها لتكون على هيئة كبسولات صغيرة جدا، تحتوي على مكملات غذائية مثل فيتامينات «ج وهـ»، تضاف إلى هذه المنتجات بغرض رفع قيمتها الغذائية، وعدم تغيير لون أو طعم المنتج الغذائي. وكذلك وظفت بعض الأحماض الدهنية الآمنة كمــواد حافظة لمنتجات اللحوم المحفوظة، والتي لا تسـبب عند تناولها أي مشاكل صحية. وتُستخدَم تلك الإضافات وغيرها من المــواد النانويــة وبأمان في قطاع تصنيع اللحــوم المحفوظة، حيث تقوم بدور رئيسي في رفع القيمة الغذائية للمنتج، وكذلك من درجة ثبات ألوانه.

وتتنافس شــركات إنتاج رقائق البطاطس والأطعمة المحفوظة الأخرى إلى إنتاج أنواع خاصة تحتوي على نســب ضئيلة جدا من ملح الطعام، مع تمتعها بالمذاق نفســه الذي تتمتع به الأنواع التقليدية ذات المحتوى الملحي المعتــاد. ويرجع ذلك إلى أن تصغير مقاييس الحبيبات البلورية من كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) حتى تصل أبعاد أقطارها إلى نحو 10 نانومترات، يؤدي إلى زيادة مســاحة أســطحها التي تلامس السطح الخارجي للسان بداخل الفم، مما يؤدي إلى زيادة إحساســه بالمذاق المالح لتلك الحبيبات، على الرغم من تدني تركيز الملح المستخدم.

وباتباع الأســلوب نفسه، تُصغَّر أحجام حبيبات السكر، المستخدمة في صناعة الحلويات المحفوظة والمعبأة، إلى أدنى حد، وذلك بهدف إنتاج أنواع خاصة من الحلوى تتناســب مع مرضى الســكر أو مع أولئك الذين يتبعون برامج غذائية خاصة.

وتنتج الآن إحدى شــركات صناعة الأغذية المحفوظة في أوروبا أنواعا خاصة من الصلصة المعروفة باســم المايونيز Mayonnaise، بحيث تحتوي على نســبة قليلــة من الزيوت والمــواد الدهنية، مــع احتفاظها بالخواص التقليدية للمايونيز، المتمثلة في الشــكل، القوام، اللون والمذاق. ويتم هذا، عن طريق استبدال قطرات الزيت المضافة إلى المايونيز بقطرات من المياه تغطى بطبقة رقيقة زيتيــة. ونظرا إلى أن القطرة الواحدة من الماء تتألف مــن مليارات جزيئــات H2O ذات الأبعاد النانوية، فإن هــذا يعني توافر

مســاحات ســطحية هائلة من تلك الجزيئات المغطــاة بطبقات رقيقة من الزيت، وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى استخدام كميات أقل من الزيت، مما يعني انخفاضا في السعرات الحرارية للمايونيز.

وقد ظهرت في الأسواق منذ فترة وجيزة أنواع مختلفة من الزيوت النباتية المســتخدمة في طهو وقلــي الأطعمة، تحتوي على حبيبــات نانوية من مواد خاصة تعمل على تغليف الأسطح الخارجية لجزيئات الدهون الهيدروكربونية الموجودة بتلك الزيوت، بأغشية رقيقة تعوق الجسم من امتصاصها.

تكنولوجيا النانو في تغليف وتعبئة المواد الغذائية

تعــد تطبيقات تكنولوجيا النانو في تعبئة وتغليــف المواد الغذائية، أحد أهم المخرجــات التكنولوجية في قطاع الصناعات الغذائيــة التي يتزايد بها البحث والتطويــر، حيث تتم اليوم تعبئة وتغليف وحفظ ما بين 400 و500 منتج غذائي بواســطة تقنيات تلك التكنولوجيا. وتجتهد اليوم شــركات العبوات الغذائية في تصنيع عبوات تجمع في خواصها بين القوة وخفة الوزن. كما تزوِّد العبوات الغذائية بحساســات نانوية Nanosensors عن طريق غرسها بالعبوة لتعمل على مراقبة الحالة الداخلية والخارجية للمنتج الغذائي المحفوظ، وتعد هذه الحساسات بمنزلة الكواشف الدالة عن حالة الحاويات، وغرف تبريد الأطعمة والمواد الغذائية، وكذلك أماكن عرضها داخل منافذ البيع. ويتم اكتشاف أي تغيرات، ناجمة عن وجود أي نشاط بكتيري أو ميكروبي بالمنتج الغذائي، وذلك عن طريق تغيير تدريجي بألوان المواد النانوية المكونة للحساسات المستخدمة بداخل العبوات الغذائية، وذلك عند استشعارها لوجود تلك الأنشطة البكتيرية أو الميكروبية. وتتميز تلك الحساسات النانوية التي تعمل ككاشفات للبكتريا والميكروبات بحساسيتها ودقتها الفائقة عند أقل التركيزات البكتيرية أو الميكروبية.

- **أغلفة النانو البلاستيكية**

تنتج الشــركات الكيميائية منذ فترة وجيزة طبقات شــفافة على هيئة أغشــية نانوية متناهية الســمك تســتخدم في تغليف اللحــوم والأغذية الطازجــة. وتغرس حبيبات أو أنابيــب نانوية من مادة الصلصال الطبيعي

بداخل تلك الأغشـــية الفيلمية، حيث تعمل تلك المكونات النانوية المضافة على غلق مسام تلك الأغشية لمنع تسرب غازات الأوكسيجين أو ثاني أكسيد الكربــون إلى الغــذاء الطازج الموجود داخل العبــوة، ومنع وصول الرطوبة إليه. هذا بالإضافة إلى أن تلك الحبيبات الصلصالية تعمل على تقوية تلك الأغشية الرقيقة ووقايتها من التمزق أو التلف في أثناء التداول، وهي تزيد أيضا من مقاومة الأغشية للحرارة المحيطة بالعبوة [6].

هــذا في الوقت الــذي تنتج فيه الآن متراكبات نانوية من البلاســتيك، تســتخدم كأوعيــة أو مواعين لحفظ الأطعمة المطهــوة، حيث تتميز، بخفة الوزن وارتفاع في قيم المتانة، مما يجعلها مواد مرغوبة تســتخدم في إنتاج العبوات المستخدمة لهذا الغرض. من الجدير بالذكر هنا، أن تلك المتراكبات النانوية تتألف من قوالب من البلمرات، يتم التحكم في مقاييس أبعاد فتحات مســامها، حيث تقوم حبيبات نانوية مخلقة من أكاســيد فلزية، يتم إنتاجها والتحكــم في مقاييس أقطارها بغلق الفجوات المســامية لقوالب البلمرات، مما يضمن حفــظ الأطعمة الغذائية الطازجة داخــل تلك العبوات لفترات طويلة من دون أن تفسد أو أن تطرأ على مذاقها أو مظهرها أي تغييرات.

- **وقاية أسطح الأطعمة الطازجة من التلوث البكتيري**

تستخدم تكنولوجيا النانو كذلك في حفظ المنتجات الغذائية الطازجة مثــل اللحوم، الفواكه والخضراوات، وكذلك منتجــات الألبان، والحلويات والخبــز، بالإضافــة إلــى الوجبات الســريعة، وذلك عــن طريق معالجة أســطحها الخارجية وتغطيتها بطبقة رقيقة شفافة لا ترى بالعين المجردة، يقل سمكها عن 5 نانومترات. وتعد هذه التقنية أحد أهم التقنيات واسعة التطبيق والاســتخدام في مجال حفظ الأطعمــة الطازجة وإطالة فترات الصلاحيــة لها في التخزين، حتى بعد فتح العبوة. وتمنع الطبقات النانوية المغلفة للأســطح الخارجية للأطعمة والمنتجات الغذائية، تســرب الغازات إلى ســطح الأطعمة، لذلك يضمن وجودها عدم تأثــر الأطعمة بالعوامل الخارجية المحيطة، مثل الرطوبة والإشعاعات، والتي تؤدي دائما إلى فساد الغذاء أو تلوثه.

وتتميــز الطبقات الواقية المضادة للأكســدة، بكونها عناصر لمواد نانوية آمنة غير سامة، متوافقة حيويا مع الإنسان، لذا فلا تلزم إزالتها عند تناول المنتــج الغذائي. وتعد الحبيبات النانوية المكونة لتلك الطبقات الرقيقة، مثل فلز الفضة وبعض أكاسيد الفلزات مثل ثاني أكسيد التيتانيوم TiO_2، وأكسيد الزنك ZnO وأكسيد النحاس CuO، هي المواد الأكثر شيوعا واستخداما في هذا المجال. وتتميز حبيبات تلك الأكاســيد بقدرتها على تحليل الملوثات من المــواد العضوية والبكتريا، ومقاومة ودحــر الميكروبات التي قد تتراكم على الأسطح الخارجية للمنتجات الغذائية خلال فترات الحفظ. وتجدر الإشارة إلــى أن حبيبات فلز الفضة التي لا تتعدى أبعاد أقطارها عن 100 نانومتر تتمتع بشــراهة كبيرة في التفاعــل الكيميائي، وذلك لتضاعف أعداد وجود ذراتها الحرة على أســطح حبيباتها الخارجية، مما يســاعد في تحولها إلى أيونات فضة عالية السمية، شديدة الفتك للبكتيريا والميكروبات.

• أنواع جديدة من القوارير البلاستيكية

تولي الشركات المتخصصة في إنتاج العبوات الغذائية اهتماما مضاعفا في تطوير منتجاتها من القوارير البلاســتيكية المســتخدمة في حفظ بعض الأطعمة والســوائل الغذائيــة المختلفة، لتكون على القدر نفســه من القوة والصلابــة المتمتعة بهما نظيرتها المصنعة من الزجاج. وتتفوق تلك القوارير البلاســتيكية بعدم تعرضها للكسر الناتج عن عدم الحيطة في أثناء التداول أو النقل. ومن أجل تحقيق هذا الهدف، تتم تقوية مادة البلاســتيك بإضافة أنابيب وحبيبات نانوية من الصلصال إليها، وهذا يمنحها القوة والتفوق على القوارير الزجاجية. وتتيح تلك القوارير البلاســتيكية، الاحتفاظ بالسوائل داخلهــا من دون التأثر بمشــاكل التخزين المعروفــة كالتلف، مما عمل على زيادة بقاء السوائل سليمة من دون تلف، لمدد تتراوح من 6 إلى 18 شهرا.

• حساسات النانو

تتيح تكنولوجيا النانو عدة وســائل فعالة يمكن توظيفها بكفاءة ودقة في مجــال تعبئة وحفظ الأطعمة، وضمان توفير غذاء آمن، مرتفع الجودة، خال مــن الملوثات. ويتم تحقيق هذا الهدف عن طريق توظيف حســاســات حيوية

نانوية الحجم تعمل للكشف السريع والدقيق عن الظواهر المصاحبة لتعرض الغـذاء لأي ملوثات. ويهدف العلماء والباحثون المتخصصون في مجال إنتاج وتجهيز الأغذية ومنتجاتها، إلى دمج هذه الحساسـات لتكون مكونا أساسيا في العبوات الغذائية بحيث يستطيع المستهلك العادي تحديد مدى صلاحية المـادة الغذائيـة الموجودة بها ورصد أي تغيرات غيـر طبيعية قد تطرأ على الطعـام نتيجة إصابته بملوث بكتيـري، وذلك عن طريق ملاحظة التغير في لون الحساس الذي يظهر بلون أحمر - على سبيل المثال - في هذه الحالة.

تكنولوجيا النانو في قطاع الزراعة

- **الكيماويات الزراعية**

أصبحت المبيدات المسـتخدمة في مقاومـة الآفات الزراعية أحد أهم المواضيـع المثيرة للجدل في الآونة الأخيرة، وذلـك بعد أن أثبتت البحوث والدراسـات تأثيراتهـا الضارة على صحة الإنسـان والحيـوان، وآثارها المدمرة للبيئة. ويستخدم العالم كميات ضخمة من تلك المبيدات تصل إلى نحو 2.5 مليون طن سـنويا، مما يؤدي إلى تلوث التربة والمياه والمحاصيل الزراعية، ويسـفر عن ارتفاع نسب حالات التسمم في الإنسان والحيوان. هذا وتسـبب المياه المسـتخدمة في ري أو في عمليات غسـل التربة إلى حمل تلك المياه نسـبا عالية من المبيدات الموجـودة بالتربة، التي تنفذ من خلالها إلى الطبقات السـفلية من التربة حيث تتخللها، متسـربة في ذلك إلى الطبقات القريبة من المياه الجوفية أو إلى المياه الجوفية ذاتها.

وقد دخلـت تكنولوجيا النانو بالفعل في تصنيـع حبيبات الكيماويات الزراعية المستخدمة في مكافحة الحشرات والفطريات والآفات الزراعية التـي تصيب التربـة والنباتات والبـذور. وتتميز تلك الحبيبـات بارتفاع قيمة مساحة أسـطحها، مما يعني ترشيد استخدامها وتخفيض الكميات المستخدمة منها، وبالتالي تقليل الآثار البيئية المترتبة.

وتقوم الشـركات المنتجـة للكيماويات الزراعية بإنتـاج أنواع أخرى من الحبيبات النانوية، تقل أقطارها عن 100 نانومتر حيث تُستخدَم في صناعة المحاليل والمسـتحلبات الكيميائية الخاصة بتسـميد التربة وتغذية النباتات

الزراعية. وللغرض نفسه وتماشـيا مع السياسات العالمية الخاصة بحماية البيئة، بدأ الاتجاه نحو تعبئة الحبيبات النانوية النشطة المستخدمة في مجال تسميد وتخصيب التربة الزراعية بداخل كبسولات صغيرة من البوليمرات، تتميـز بتحللها عند تعرضها لعوامل خارجية مثل أشـعة الشـمس أو عند تعرضها لوسـط قلوي. وعند تحلل تلك الكبسـولات، تنطلق منها الحبيبات النانوية الموجودة بداخلها لتقوم بدورها في تخصيب التربة الزراعية.

وقد فتحـت تكنولوجيا النانو بذلك آفاقا جديـدة في هذا المجال المهم، حيث تقوم شركات الكيماويات الزراعية بإنتاج أنواع أخرى من الكبسولات يتم التحكم في أبعاد أقطار مسـامها كي تسمح بخروج حبيبات المواد الكيميائية المغذيـة للتربة والنبات، أو الحبيبات المقاومة للآفات الزراعية والحشـرات، بمعدلات زمنية مدروسة ومحسوبة، مما يوفر التغذية والحماية للنبات بصفة دائمـة ويخفض في كمية المواد الكيميائية المسـتخدمة. هـذا وتقوم بعض الشركات بإنتاج حبيبات نانوية تتألف من أسمدة مواد كيميائية مضاف إليها مبيدات مكافحة الآفات بحيث تتم تعبئتها معا داخل تلك الكبسولات السالف ذكرها، مما يجعلها تقوم بأداء وظيفتين مختلفتين في وقت واحد.

- **الري المستدام للمحاصيل الزراعية**

تمثل الطرق التقليدية المتبعة فـي ري المحاصيل الزراعية فقدا هائلا للميـاه التي يتبخر جـزء كبير منها، يصل إلى 50% في المناطق شـديدة الحـرارة، مما ينجم عنه ارتفاع في نسـبة ملوحة التربة يؤدي بالتالي إلى انخفـاض خصوبتها. ولم يغب عـن علماء تكنولوجيا النانـو التفكير في وضع حلول مبتكرة لحل هذه المشـكلة حيث ابتكـروا طريقة فريدة تعمل على تخفيض سـرعة تدفق المياه إلى التربة والتحكـم في معدل جريانها السـطحي من أجل تخفيض معدلات تبخرها إلى أدنى حد ممكن. وتعتمد هـذه الطريقة علـى توظيف معدن الزيوليت للقيام بهـذه المهمة الصعبة. ويعـد الزيوليت أحد المعادن البلورية الموجودة في الطبيعة، التي تتكون من ثلاثة عناصر هي السيليكون والألمونيوم والأوكسيجين. وقد سمح التركيب الأسـفنجي لهذا المعدن، المؤلف من مسـام دقيقة وفجوات نانوية الأبعاد

في أن يمتص السوائل بما يعادل نصف حجمه! لذا فقد استُغلت هذه الخاصية المهمة وتوظيفها في مجال ري النباتات والمحاصيل الزراعية، حيث توضع تلك الحبيبات في التربة فتخزن جزءا كبيرا من مياه الري المستخدمة داخل هياكلها المسامية، لتقوم بعد ذلك بإخراجها بمعدلات بطيئة، توفر استدامة عملية ري الأراضي الزراعية.

وبالإضافة إلى ما توفره طريقة الري هذه من مزايا متعددة، تتمثل في تخفيض كميات مياه الري المستخدمة مع تخفيض المفقود من هذه الكميات نتيجة التبخير أو التسرب إلى داخل التربة، فإنها أيضا تحقق المزايا التالية:

- نمو جيد للمحاصيل الزراعية.
- تحسين كفاءة الأسمدة المستخدمة في تغذية التربة.
- زيادة في إنتاجية المحصول.
- تحسين جودة التربة ونوعيتها على المدى الطويل.
- تقليل فقدان العناصر الغذائية الطبيعية الموجودة بالتربة الزراعية.

● إعادة ترتيب الجينات

سعى علماء علم الأحياء الجزيئي Molecular Biology، عقودا طويلة لمحاولة الهيمنة على الجينات النباتية والحيوانية، ومحاولة إعادة ترتيبها لصياغتها على النسق الذي يتيح إضافة خواص متعددة إلى النباتات والحيوانات المستخدمة في مجال صناعة المنتجات الغذائية. لكن وعلى الرغم من تلك المحاولات الجادة فإنها كانت دائما ما تصطدم بكثير من العقبات والقيود التقنية والفنية. ومع بزوغ فجر تكنولوجيا النانو والتحامها مع التكنولوجيا الحيوية، توافرت عدة أدوات وتقنيات جديدة وقوية كانت كفيلة بتحويل تلك الأحلام إلى أرض الواقع. فقد أتاحت تكنولوجيا النانو مجموعة من التقنيات والأدوات الجديدة الخاصة للتعامل مع جينات النباتات أو الحيوانات والتلاعب بها وذلك من خلال توظيف الحبيبات والألياف النانوية وكذلك الكبسولات في نقل [7] الجينات المراد توصيلها إلى خلية ما بصورة مباشرة، بدلا من استخدام الفيروسات كناقلات Viral Vectors [8]،

وقد أدى استخدام المواد النانوية كناقلات جينية إلى زيادة في كمية الجينات أو المـواد الكيميائية المنقولة إلى الخلايا، وذلـك بالإضافة إلى إتاحة إمكان السيطرة على الحمض النووي، الذي يتم الإفراج عنه وخروجه من الكبسولات داخل المكان المستهدف فقط من هيكل النبات.

وقـد أتاحت تكنولوجيا النانو التعامل المباشـر مـع جينات المحاصيل الزراعيـة وإعـادة ترتيبها على النحو الذي يضمـن إنتاجية أكبر وإضافة بعض الصفات المرغوب فيها. فعلى سـبيل المثال، أزاحت إحدى الجامعات في تايلند السـتار عن نجاح باحثيها في تحسـين بعض الصفات الخاصة بـالأرز. كما أعلنت مواصلة تلك الأبحاث الرامية إلى تطويره واسـتنباط أنواع جديدة منه يمكن أن تتم زراعتها على مدار السنة كلها [9، 10].

مجال الاستزراع السمكي وتربية الأحياء المائية

- **تخليص مياه المزارع من الطحالب الضارة**

تعد تربية الأحياء المائية واسـتزراع الأسماك، والمحار أو النباتات المائية من أهم وأنجح المشـروعات التي يزداد نموها عاما من بعد الآخر. وتشـير التقديـرات إلى أن نحو 20% من الحجم الكلي للأسـماك والأحياء المائية المطروحة بالأسـواق التجارية قـد تمت تربيتها في المزارع السـمكية. ومن المتوقع أن تسـتمر زيادة الطلب على الأغذية البحرية لتصل نسبتها إلى أكثر من 70% في خلال السنوات الثلاثين القادمة. وعلى الرغم من هذه المؤشرات المشجعة، فما زال الكثير من المزارع السمكية، وعلى الأخص تلك المتخصصة في تربية الروبيان، تعاني من تفشي بعض الأمراض وزيادة التلوث الكيميائي في مياهها. ويعتقد الباحثون أن تكنولوجيا النانو سوف يكون لها الدور الأكبر في توفير مزارع سمكية آمنة وخالية من الأمراض والتلوث.

ويعمل الباحثون في مختبرات إحدى الشـركات المتخصصة في المواد والكيماويات في اختبار إحدى المواد الكيميائية التي أنتجتها الشركة أخيرا لتستخدم في تنظيف مياه المزارع السمكية. ويتكون هذا العقار من حبيبات نانوية لمركبات وسـبائك عنصر اللنثانوم La التي لا تتعدى أبعاد أقطارها 40 نانومترا تتم إضافتها بنسـب معينة إلى مياه الأحواض السمكية. وقد

أشـــارت النتائج أن تلك الحبيبات بما لها من مســـاحة أســـطح كبيرة قد نجحت في تخليص مياه المزارع السمكية من الفوسفات الموجود بها والذي يعد السبب الرئيسي لنمو الطحالب بمياه المزارع. ويواصل الباحثون هناك جهودهم من أجل تخفيض تكلفة المنتج والتأكد من عدم تعرض الأســـماك المستزرعة لأي أضرار من جراء استخدامه بمياه المزارع السمكية [11].

- **لقاح الحمض النووي لتطعيم الأسماك المستزرعة**

توشك الآن وزارة الزراعة الأمريكية على الانتهاء من التجارب الخاصة بإجراء تطعيم واســـع النطاق على كمية ضخمة من الأســـماك المستزرعة، وذلـــك عن طريق اســـتخدام الموجات فوق الصوتيـــة وتقنية لقاح الحمض النووي المعبأ في كبســـولات. وتتلخص هذه الطريقة في تجهيز كبسولات، تعبَّأ بأشـــرطة قصيرة من الحمـــض النووي الخاص باللقـــاح، ثم إضافة تلك الكبســـولات إلى مياه المزرعة. وبمجرد وجود كبســـولات اللقاح داخل ميـــاه المزرعة، تُعـــرَّض المياه لموجات فوق صوتية تعمل على تكســـير وفتح الكبسولات، مما يؤدي إلى تسرب الحمض النووي الموجود داخلها، ومن ثم تبدأ خلايا الأسماك في امتصاصه.



11

تكنولوجيا النانو لحماية البيئة وإزالة الملوثات

«أظهرت النتائج البحثية والميدانية التي نُفِّذت على مصادر متنوعة للمياه، باستخدام المواد النانوية والأجهزة المبنية على تكنولوجيا النانو، تحسنا واضحا وكبيرا في مستوى ملاءمة المياه المعالجة للاستخدام الآدمي»

المؤلف

على الرغم من أن معظم الكوارث البيئية، مثل العواصف الموسمية والتسونامي، تقع بفعل الطبيعة، وهي بالتالي تقع خارج نطاق سيطرة الإنسان وتحكمه، فإن «التلوث البيئي» يعد إحدى أخطر المشاكل البيئية التي صنعها الإنسان. وليس غريبا أن يتصدر موضوع حماية البيئة قائمة التحديات التي يواجهها إنسان القرن الحادي والعشرين، والتي يُسخر من أجلها جميع التقنيات والتكنولوجيات الحديثة سعيا وراء إيجاد سبل مجدية لحلها. وتتمثل صعوبة وضع استراتيجية لحل كل مشكلة بيئية على حدة في الترابط البيني بين المشكلة البيئية الواحدة - كمشكلة تلوث الهواء مثلا - وعدد يصعب حصره من المشاكل الفرعية المترتبة عليها أو

المؤثرة فيها. ومن هنا ندرك أن موضوع البيئة هو موضوع معقد من حيث تداخل عدد ضخم من العوامل والمؤثرات المتنوعة فيه وتشابك خيوطها بعضها مع بعض. ويمثل التلوث مسألة بالغة الخطورة، وذلك لعجز حواس الإنسان المجردة عن إدراك ما إذا كان ما يأكله من طعام أو يشربه من شراب أو يستنشقه من هواء ملوثا أو لا.

ويستعرض هذا الفصل من الكتاب مخرجات البحوث التطبيقية التي تمت خلال السنوات القليلة الماضية والتي أدت إلى تقديم عدة حلول ابتكارية واعدة تتعلق بمجال تكنولوجيا النانو وتطبيقاتها الحالية والمستقبلية في معالجة الملوثات البيئية في الماء والتربة، وكذلك في الهواء، وتصفيتها وتجنب حدوثها مرة أخرى.

عوامل التلوث البيئي

أدت الزيادة العشوائية في القطاع الصناعي بكل دول العالم، وعلى الأخص بالدول النامية، حيث يقل فيها الوعي البيئي ويتراخى بها تنفيذ القوانين الصناعية الصارمة المتعلقة بحماية البيئة، إلى زيادة غير مطمئنة في تركيزات عناصر المخلفات الصناعية في البيئة التي يعيش فيها الإنسان. يتلوث الهواء بأنواع من الأبخرة الكيميائية السامة، هذا بالإضافة إلى ما يحمله من أدخنة وعوادم وحبيبات دقيقة ناتجة عن أنشطة الإنسان والعمليات الصناعية التي يقوم بها، وذلك على مستوى المناطق الصناعية في العالم. ويمكننا حصر الملوثات الأكثر شيوعا في الهواء الجوي على النحو التالي:

- أول وثاني أكسيد الكربون.
- الكلوروفلوروكربون.
- عناصر ومركبات الفلزات الثقيلة مثل الخارصين، الكروميوم، الرصاص، الزئبق والزنك.
- المركبات الهيدروكربونية.
- أكاسيد النيتروجين [1].
- مركبات المواد العضوية سريعة التطاير، الديوكسين.
- ثاني أكسيد الكبريت.

حيث تمثل عمليات حرق زيت البترول، والفحم والغاز، من أجل توليد الطاقة لمولدات القوى الكهربية، أكثر من 95 في المائة من مصادر غازات أكاسيد النيتروجين بالهواء الجوي.

ومع الزيادات المخيفة لمعدلات النمو السكاني الذي يشهده العالم اليوم، خاصة في البلدان النامية والفقيرة، ترتفع كميات الملوثات الصلبة، السائلة والغازية التي تلوث البيئة المائية والتي تنجم عن أسباب مختلفة هي:

- مياه الصرف الصحي.
- استخراج وحرق الوقود الأحفوري.
- تسرب وانسكاب النفط.
- صرف الأسمدة والمبيدات الزراعية.
- صرف المخلفات الصناعية.

ويعد مجال حماية البيئة وإزالة الملوثات البيئية من بين أبرز المجالات التطبيقية التي توليها تكنولوجيا النانو اهتماما كبيرا، وذلك نظرا إلى شدة الترابط بين صحة الإنسان والظروف البيئية التي يعيش فيها. ومن المرجح أن تؤدي زيادة قدرة الإنسان التقنية ومهاراته المتعلقة التحكم والهيمنة على خواص المادة والتلاعب بذراتها وبنيتها الداخلية، إلى ابتكار مواد نانوية جديدة وأنظمة حديثة وأدوات فعالة تؤدي إلى حماية البيئة من خلال المحاور التالية:

- تنظيف البيئة وتخليصها من تراكمات الملوثات البيئية على مدار السنوات السابقة.
- تطوير وتحديث الطرق والأنظمة المستخدمة حاليا في إزالة الملوثات ومراقبتها.
- ابتكار أنظمة تنبؤ حديثة بهدف الحماية المستقبلية من أي مشاكل بيئية.
- إنتاج مواد نانوية متقدمة وتقديم طرق فعالة ورخيصة للحصول على الطاقة النظيفة.

تكنولوجيا النانو لتنقية المياه

غني عن الشرح والبيان، مدى ما يمثله الماء من أهمية بالغة للإنسان، وأن العجز في توفير مصادر آمنة ونظيفة للماء، لن يؤدي فقط إلى تدمير صحة الإنسان، وإنما سوف يؤدي إلى تدمير الحياة كلها على سطح هذا

الكوكب الذي نعيش عليه. ومما لا شك فيه أنه أدت عمليات صرف المخلفات غير المُعالجة، الناتجة عن العمليات الصناعية، إلى المصادر المائية التي نعتمد عليها في توفير احتياجات استخداماتنا اليومية من الماء إلى زيادة مخيفة في أعداد المصابين بأمراض الكبد والفشل الكلوي. هذا وقد اعتُبِرَت تلك المخلفات أحد الأسباب الرئيسية للإصابة بالسرطان، حيث إنه من المعروف أن تلك المخلفات الصناعية تحتوي على نسب عالية التركيز لفلزات المعادن الثقيلة مثل الزئبق، الزرنيخ والرصاص، بالإضافة إلى ما تحتويه مكونات تلك المخلفات غير المُعالجة على مركبات كيمائية ضارة.

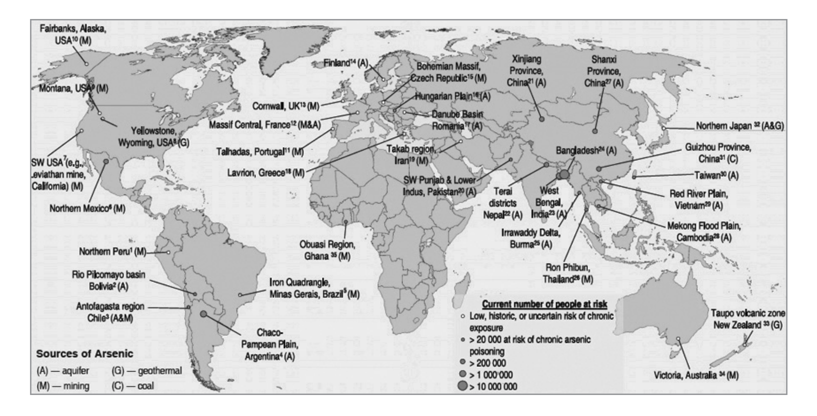
وقد أدت عمليات صرف المياه المستخدمة في ري المزروعات، التي تتسم باحتوائها على نسب عالية من المبيدات الحشرية السامة والأسمدة ومخصبات التربة، صرفها إلى التربة أو إلى الأنهار وتسربها إلى مصادر المياه الجوفية، في زيادة نسب تلوث المياه، مما يُصَعب من مهام عمليات تنقية المياه ومعالجتها. هذا بالإضافة إلى التلوث البكتيري والميكروبي للبيئة المائية الناجم عن عمليات الصرف المباشر لمياه محطات الصرف الصحي غير المعالجة أو نصف المعالجة وكذلك مخلفات المنازل وحظائر الطيور والحيوانات الداجنة.

ولم يقتصر الأمر على دولنا النامية فقط، أو التي تحت مستوى النمو، التي مزقتها الحروب، بل امتد نطاق تلوث البيئة المائية إلى الدول المتقدمة على حد سواء. فقد ذكرت الهيئة الأمريكية لحماية البيئة أخيرا أن شُرب المياه الملوثة يؤدي إلى إصابة أكثر من نصف مليون شخص سنويا بأمراض ومشاكل صحية مختلفة، وذلك في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها. هذا في الوقت الذي تتوقع فيه كل التقارير والدراسات البيئية على مستوى الهيئات والمنظمات الدولية، أنه بحلول العام 2015 سوف يعيش أكثر من ثلاثة مليارات من البشر في ضيق شديد ناتج عن عدم توافر مياه كافية لتغطية احتياجاتهم الأساسية. وفي الوقت الذي سوف يعجز فيه أكثر من مليار شخص عن الحصول على كوب من الماء النظيف، سوف يحصل مليارا شخص على مياه ملوثة، مما يؤدي إلى إصابتهم بأمراض ومشاكل صحية خطيرة.

وفي إطار ما تقدم، فقد أصبحت البشــرية في حاجة ماسة وملحة إلــى إيجاد طرق مبتكرة ومواد فعالة، ليتم توظيفها في معالجة وتنقية المياه. وقد أظهــرت النتائج البحثية والميدانية التي نُفذت على مصادر متنوعة للمياه، باستخدام المواد النانوية والأجهزة المبنية على تكنولوجيا النانــو، تحســنا واضحــا وكبيرا في مســتوى ملاءمة الميــاه المُعالجة للاستخدام الآدمي.

• تنقية المياه الجوفية

تعد مشــكلة تلوث مياه الآبــار الجوفية بمركبات المــواد العضوية الســامة، وعناصر الفلزات الثقيلة المُســرطنة، التــي يأتي على رأس قائمتها عنصر الزرنيخ ومركباته، أبرز المشاكل والتحديات البيئية التي يواجهها العالم اليوم. وكما يؤكد الشــكل (11 – 1)، فإن مشكلة تلوث الميــاه الجوفية لا تخص فقط بلدان العالــم الأقل نموا مثل بنغلادش ونيبال وحدهما، ولكنها تعد مشكلة عالمية تضرب البلدان المتحولة مثل الصين والهند، والنامية مثل الأرجنتين والبرازيل. كما يمتد كذلك أثر هذه المشكلة ليشمل عددا كبيرا من بلدان العالم الصناعي المتقدم مثل بعض دول أوروبا وأســتراليا. وتتجســد هذه المشكلة بشكل مفزع في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث يعتمد نحو 50 في المائة من السكان علــى طبقات المياه الجوفية الطبيعية لتوفيــر احتياجاتهم اليومية من الميــاه العذبة. وكما هو مبين بالشــكل (11 – 1) فــإن المياه الجوفية الموجــودة في عدة مناطق بالولايات الواقعة قرب الســاحل الأمريكي الغربي يرتفــع تركيز عنصر الخارصين فيها عن مســتوى 200 ألف ميكروغرام في اللتر الواحد! ومن المؤســف ذكــره، أن محاولة تنقية هذه المياه باســتخدام الطرق التقليدية لفصل عناصر الفلزات الثقيلة أو المركبات العضوية السامة عنها، تعد عملية مُعَقدة باهظة التكاليف، حيــث يحتاج تنفيذها إلى عــدة مئات المليارات مــن الدولارات، هذا عــلاوة على طول الفترة الزمنية التي تحتاج إليها، والتي قد تمتد إلى سنوات وعقود عديدة.



الشكل (11 - 1): خريطة العالم السياسية موزعة عليها نسب وجود عنصر الخارصين السام في المياه الجوفية للدول، مُقدرة بوحدة الميكروغرام في اللتر الواحد (2).

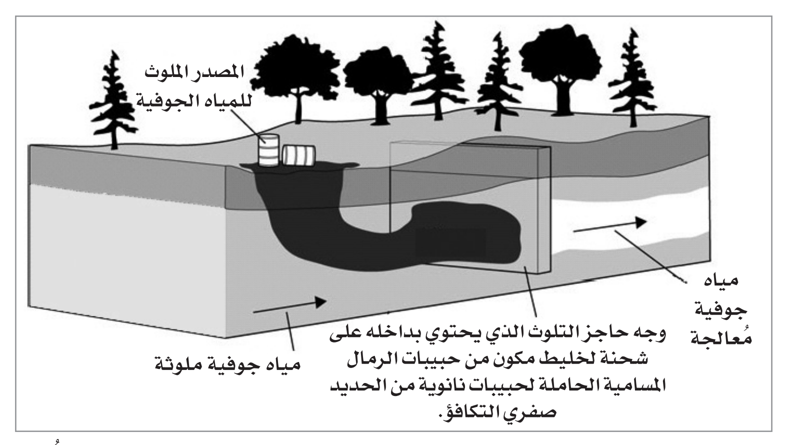
وخلال العقدين الأخيرين ومع زيادة الاهتمام بالمواد النانوية والتعرف على خواصها واستخداماتها المستقبلية، أظهرت حبيبات بعض العناصر الفلزيــة وبعض عناصر أشــباه الفلزات ذات التكافــؤ الصفري Zero-valence Metals، وعلى الأخص فلز الحديد صفري التكافؤ Fe^0 قدرة كبيــرة على معالجة المياه الملوثة، وذلك عند تدني مقاييس أقطارها إلى أقل من عشرة نانومترات. ويتيح تصغير الحبيبات لذرات الحديد القابعة داخــل الحبيبة أن توجد بصورة مكثفة على ســطح الحبيبة، مما يعظم من نشــاطها. وتقوم حبيبات الحديد النانويــة بمهام تخليص المياه من مركبات الهالوجينات السامة لمركبات الكلور، مثل رباعي كلوريد الكربون CCl_4، وذلك عن طريق تكسير جزيئات المركب ونزع عنصر الكلور منه، وتحويل المركب إلى مركبات عضوية بسيطة غير ضارة بالبيئة. كما تقوم حبيبات الحديد النانوية بانتزاع عنصر الأكســيجين من جميع أكاسيد النيتروجين NO_x الســامة الموجودة بالمياه الملوثة وتحريرها من عنصر النيتروجين الذي ينطلق في صورة نيتروجين جوي يماثل نظيره الموجود بالهواء الجوي تماما.

ولا يقتصــر دور حبيبات الحديد النانوية على ماســبق فقط، بل يمتد دورهــا الحيوي إلى تنقيــة المياه الملوثة من عناصر الفلــزات الثقيلة، مثل الزرنيخ As، وأكسدته وتحويله إلى صورة كميائية غير ضارة [3].

• حبيبات الحديد صفري التكافؤ لتنقية المياه الجوفية

كما ذكرنا ســلفا، فلقد أظهــرت نتائج التجارب المعمليــة قدرة فائقة للحبيبــات النانويــة لعنصر الحديــد صفري التكافؤ فــي القيام بمهامها الخاصة بتنقية المياه الجوفية الملوثة بالمخلفات الصناعية. وقد عزا العلماء تلــك القدرة الفريدة إلى صغر أحجام حبيبات الحديد المســتخدمة الذي يعني تمتعها بمساحة سطحية كبيرة ووجود أعداد كبيرة من ذرات الحديد على الأســطح الخارجية لتلــك الحبيبات، مما يعزز ويزيد من نشــاطها الكيميائي وقدرتها على أداء دور المحفزات الكيميائية النشــطة، وذلك إذا ما تم ضخها إلى مكامن المياه الجوفية الملوثة بالمركبات العضوية شــديدة الســمية. وتَجدر الإشــارة هنا إلى أن صفة الحجــم المتناهي في الصغر لحبيبات الحديد المســتخدمة قد أتــاح لها القدرة على التخلل بســهولة من خلال المســام الدقيقة لطبقــات التربة التي تعلو المياه الجوفية وكذلك الحاملة لها، وهذا بطبيعة الحال يؤهلها للتعامل بكفاءة مع الملوثات الكامنة في بؤر المسام الميكرومترية والنانوية بالتربة وإزالتها.

وتتلخــص عملية تنقيــة المياه الجوفية من الملوثــات العضوية في ضخ خليــط مكون من مســحوق حبيبــات الحديد نانوية الأقطــار يتم خلطها بحبيبات مســامية من الرمال، لتقوم بدور الوســط الحامل لها وضخ هذا المخلوط في بئر رأســية تصل إلى طبقة صخر القاع Bed Rock الموجودة تحت الســطح السفلي لطبقة المياه الجوفية المراد معالجتها. ويشترط في هــذه البئر المشــحونة بالحبيبات أن تُنفَّذ على هيئة متوازي مســتطيلات بحيث تعترض أحد أوجهها الممتدة على عرض طبقة المياه الجوفية مســار سريان تلك الطبقة المائية، كما هو مبين في الشكل (11 - 2). ويطلق على هذه البئر العمودية المشحونة بالحبيبات مصطلح «حاجز التلوث أو حاجب التلوث Contamination Barrier».



الشكل (11 - 2): رسم تخطيطي موضحا عليه كيفية معالجة المياه الجوفية المُلوثة من خلال مرورها عبر جدار لحاجز مشحون بخليط من حبيبات الحديد النانوية المحمولة بواسطة رمال مسامية (4).

وبمجرد دخول المياه الجوفية الملوثة إلى واجهة البئر المتعامدة على مسارها وتخللها للمسام الرملية الحاضنة لحبيبات الحديد النانوية على طول سمك البئر، تبدأ مركبات الملوثات في الالتقاء مع حبيبات الحديد التي تقوم بدورها في تكسير روابط تلك الجزيئات وتحويلها إلى صور عضوية غير ضارة. فعلى سبيل المثال ينتج عن عملية تنقية المياه من جزيئات رباعي كلوريد الكربون CCl_4 شديد الخطورة غاز الكلور Cl والكلوروفورم $CHCl_3$ الأقل خطورة. هذا وتعتمد ميكانيكية التفاعل السابقة على تفاعل الأكسدة - الاختزال، حيث تتأين حبيبات الحديد متحولة إلى أيونات موجبة ثنائية الشحنة، ينطلق معها عدد 2 إلكترون e. وتبدأ الإلكترونات السالبة في وجود أيون الهيدروجين بالتفاعل مع رباعي كلوريد الكربون على النحو التالي:

$$Fe^0 \longrightarrow Fe^{2+} + 2e^-$$

$$CCl_4 + 2e^- + H^+ \longrightarrow CHCl_3 + Cl^-$$

وكما هو مبين بالشكل (11 - 2)، تخرج المياه، بعد أن باتت مياها مُعالجة خالية من المركبات العضوية السامة والمسرطنة، من الوجه المقابل للبئر من الناحية الأخرى، وذلك تحت تأثير الميل الطبيعي المتحكم في اتجاه سريان طبقة المياه الجوفية.

وقـد أظهرت نتائـج التجارب الحقليـة لفريق بحثـي بجامعة «لاهاي الأمريكيـة» علـى فاعلية توظيف حبيبـات الحديد وسـبائكه النانوية في عمليات تنقية المياه الجوفية وتخليصها من المركبات العضوية الفتاكة شديدة السـمية مثل ثنائي الفينيل متعدد الكلور والمبيدات الحشـرية مثل «دي دي تي». كذلك تمثل حبيبات الحديد صفري التكافؤ محفزات واعدة تسـتخدم لإزالة مركبات الزرنيـخ As من المياه الجوفية الملوثة والتي تقع بالقرب من المناطق الصناعية.

ومن المعروف أن الزرنيخ يوجد في المياه الجوفية على صورتين، هما أيونات AsO_3^{3-} (زرنيخيـات ثلاثية) و AsO_4^{3-} (زرنيخيات خماسـية) وذلك وفقا لمدى حامضية أو قلوية الوسط المائي المحيط [5]. وكلتا الصورتين من الزرنيخ تتسم بالسمية، بيد أن الزرنيخيات الثلاثية هي الأخطر حيث تفوق سميتها سمية الزرنيخيات الخماسية بنحو عشرة أضعاف، لذا فإن ميكانيكية عمل حبيبات الحديد النانوية تقوم على كيفية أكسدة الزرنيخيات الثلاثية عالية الذوبـان في الماء لتكوين مركـب الزرنيخيات الخماسـية ضعيفة الذوبان والذي يمكن إزالتها من الماء بسـهولة بعد أن تترسـب به. ويتم التفاعل في إطار التفاعلات التالية [6]:

$$Fe^0 + O_3 + 2H^+ \longrightarrow Fe^{2+} + H_2O_2$$

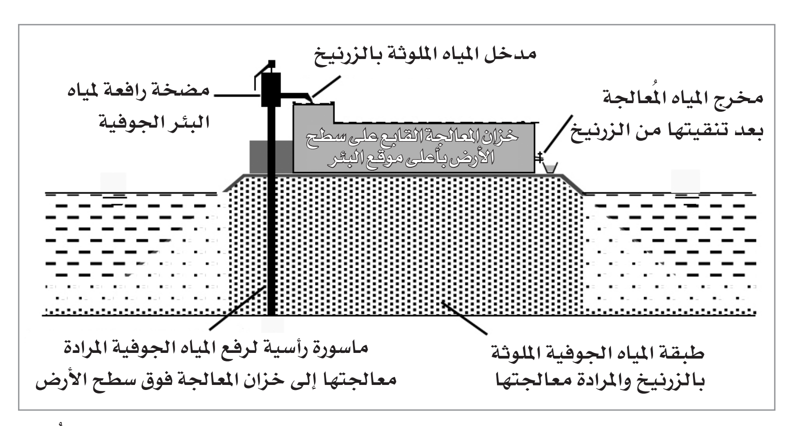
$$Fe^{2+} + H_2O_2 \longrightarrow Fe^{III}OH^{2+} + OH^{\bullet}$$

$$OH^{\bullet} + H_3AsO_3 \longrightarrow H_2AsO^-_4 + H_2O + H^+$$

وعلى النقيض من الأسلوب المتبع في تكسير مركبات الهالوجينات السامة، فإن الطريقة المُتبعة في معالجة المياه الجوفية لإزالة الخارصينات الثلاثية منها يتم من خلال ضخ المياه الجوفية مرحليا إلى خزان ينشـأ أعلى البئر، كما هو موضح في الشكل (11 – 3). والخزان المبين في الشكل ينقسم في الداخل إلى عدة غرف بحيث تمر عليها المياه الجوفية الواردة من البئر، وتختص كل غرفة بتنفيـذ مهام مختلفة عـن الغرفة التي تليها، فنجـد أن الغرفة الأولى تختص بالتنقية الأولية للمياه، وذلك من خلال عمليات ترشيح ومعالجات كيميائية تتم بغرض التخلص من شوائب الأجسام الصلبة والجسيمات البكتيرية.

وتُنهي المياه المُرشحة مسارها بالمرور على أهم مرحلة، وهي مرحلة أكسدة الزرنيخيات الثلاثية وتحويلها إلى معلقات ورواسب من أملاح الزرنيخيات الخماسية، وذلك عن طريق إمرار المياه إلى طبقة مكونة من خليط من الرمال الناعمة المحتوية مسامها على حبيبات الحديد صفري التكافؤ والذي بواسطته يجري التخلص من الخارصينات السامة. وتتبع تلك المرحلة مرحلة الترشيح النهائي وخروج مياه نظيفة تماما. ويرجع السبب وراء استخدام طريقة تنقية المياه داخل خزانات تنشأ خارج البئر إلى أن كيمياء الخارصينات ذاتها تعد كيمياء مُعقدة للغاية، وتتوقف التفاعلات بها على مجموعة من العوامل المختلفة المساعدة والتي يصعب التحكم فيها عند وجود المياه تحت سطح الأرض.

ويُعتبر العامل الهيدروجيني (pH) أحد أهم تلك العوامل المساعدة التي يجب البحث في تأثيرها على تفاعل الأكسدة - الاختزال، واختيار القيم المناسبة وفقا لمياه كل بئر. والتحكم في هذه العوامل المساعدة يعمل على ضمان نجاح أكسدة أيونات الزرنيخيات الثلاثية المذابة في الماء وتحويلها إلى مركبات غير مذابة من أيونات الزرنيخيات الخماسية سالبة الشحنات التي تنجذب كي تلتصق بأسطح جزيئات أيدروكسيد الحديد $Fe(OH)_3$ الموجبة، ومن ثم تتم إزالتها بواسطة تقنيات الفصل المغناطيسي باستخدام مجال مغناطيسي ضعيف.



الشكل (11 - 3): رسم تخطيطي يوضح طريقة معالجة المياه الجوفية المُلوثة بالزرنيخ من خلال استخدام ضخ المياه إلى خزان يقع خارج سطح الأرض، والذي فيه تحدث المعالجة بواسطة حبيبات الحديد النانوية صفرية التكافؤ.

• حبيبات الذهب النانوية المغلفة بقشور البلاديوم لتنقية المياه

أدى الاجتهاد والتفاني في إجراء الأبحاث العلمية المتعلقة بتطبيقات تكنولوجيا النانو في المجال البيئي بصفة عامة، وفي مجال تنقية المياه الملوثة على وجه الخصوص، إلى التوصل لطرق فريدة سوف توظَّف في عمليات تخليص المياه الجوفية الملوثة مما تحتويه من مركبات عضوية سامة ومسرطنة، يتصدر قائمتها مركب ثلاثي كلوريد الإيثين TCE. ومن المعروف أن هذا المركب الذي يستخدم في أغراض إذابة الشحوم والزيوت يتسرب إلى المياه الجوفية عن طريق الخلل الكائن في عمليات الصرف الصناعي في المصانع المُستخدمة لهذا المذيب العضوي في عمليات تنظيف أسطح الفلزات وإذابة عوالق الشحوم والزيوت منها. كما يُستخدم في تحضير مستحضرات تنظيف الثياب والأقمشة لتخليصها من البُقع الدهنية العالقة بها.

وفي إطار التعاون البحثي القائم بين «جامعة رايس الأمريكية» ومعهد «جورجيا التكنولوجي» بواشنطن تم التوصل إلى طريقة فريدة لتنقية مياه الآبار من جزيئات مركب TCE السام، وذلك باستخدام حبيبات نانوية من الذهب مغطاة بطبقة رقيقة السمك من عنصر البلاديوم Pd. وقد أظهرت النتائج أنه مع استخدام متراكبة حبيبات البلاديوم - الذهب النانوية تزداد قدرة البلاديوم في تكسير جزيئات مركب TCE وتحويله إلى غاز الإيثان - وهو من الغازات الهيدروكربونية غير السمية عديمة اللون والرائحة - وذلك بنحو 100 ضعف قدرته منفردا. وتواصل جهود علماء تكنولوجيا النانو تقدمها في تصنيع محفزات نانوية تتألف من متراكبات حبيبات الفلزات النبيلة لتوظيفها في مجال تنقية مياه الشرب وإزالة جزيئات المركبات السامة والمسرطنة الذائبة بها [7-9].

• مرشحات المياه المعتمدة على تكنولوجيا النانو

دخلت تكنولوجيا النانو، بكثافة، في إنتاج عدد من مرشحات المياه التي تستخدم في تنقية مياه الشرب الملوثة. وتقوم الأغشية Membranes والمُرشحات Filters بجميع أشكالها ومقاييسها، بتأدية مهام متعددة ترمي

فــي النهاية إلى الحصول على ماء عالي الجودة، حيث تقوم بتصفية المياه من البكتيريا والفيروسات والعناصر الفلزية الثقيلة، وكذلك تقوم بتخليص مياه الشــرب من المركبات العضوية العالقة بها، وتعد طريقة ترشيح المياه المعروفة باســم الترشــيح الفائق Ultrafiltration من أشهر طرق الترشيح الميكانيكــي للمياه وأكثرها فاعلية حيث تقوم بفصــل العوالق التي تتراوح مقاييســها بين 2.5 نانومتر إلى 10 نانومترات. وتتألف مُرشــحات المياه المســتخدمة في هذه الطريقة من طبقات مترابطة متصلة حلزونية الشكل مصنوعة من صفائح الألياف الزجاجية مكونة من فجوات ومســام نانوية الأقطار. وتبدأ عملية الترشيح والتنقية عند تطبيق تعريض المياه إلى تيار من الهــواء المضغوط مما يجبرها بما تحتويه مــن مركبات عالقة خفيفة الوزن على الاندفاع إلى مســام أغشية أحد أوجه المرشح التي تسمح فقط بمرور جزيئات الماء H_2O Molecules فقط دون غيرها، وذلك رجوعا إلى تدني جزيئات الماء عن أبعاد أقطار الفتحات المسامية لأغشية المرشِح، ومن ثم تُحجَز جســيمات الفيروســات والبكتيريا الميكرومترية وجميع جزيئات المواد العالقــة بالماء والتي تزيد أبعاد أقطارها عن مقاييس أقطار فتحات غشاء المُرشِح.

هذا وقد طور فريق من العمل تابع لمركز تكنولوجيا النانو للعلوم البيئية والبيولوجية التابع لجامعة رايس الأمريكية مُرشــحات الأغشية وذلك عن طريق تصنيع أغشــية مُرشِحات مصنوعة من مواد سيراميكية من أكسيد الحديد Iron Oxide Ceramic Membrane نانوية الحبيبات. وتُعرف هذه الأغشية باسم الأغشــية التفاعلية Reactive Membranes وذلك رجوعا إلــى دور ما توفره من قدرة فائقــة في إزالة وتحليل الملوثــات والنفايات العضوية من المياه وتطهيرها.

• تكنولوجيا النانو لتحلية مياه البحار والمحيطات

تعد مياه البحار والمحيطات من أهم مصادر المياه العذبة للإنسان وأنشــطته المختلفــة، وذلك إذا ما عولجــت لتخليصها من الأملاح الذائبــة بها عن طريق سلســلة من عمليات صناعية تعرف باســم

تحليــة المياه Desalination. وفي عمليــات تحلية المياه ومعالجتها تطبق تقنيــة التناضح العكســي Reverse Osmosis والذي تطبق فيــه ضغوط عالية لإرغام الماء المذابة به الأملاح على العبور خلال أغشــية Membrane تقوم بالاحتفاظ بالأمــلاح الذائبة في الماء، بينما تسمح للماء النقي بعد انتزاع الأملاح منه بالعبور من خلالها. ومن المعروف أن تقنية تحلية المياه بواســطة التناضح العكسي تعد مــن التقنيات عالية التكلفة، حيث يتطلب تشــغيلها كميات ضخمة من المياه ومن الطاقة.

وقــد أعطت تكنولوجيا النانو الأمل فــي تطوير تقنيات تحلية المياه حين تم تجريب أنابيب الكربون النانوية في صناعة الأغشية المستخدمة فــي التحلية. وقد أكدت التجارب المعملية والميدانية أنه مع اســتخدام أنابيب الكربــون النانوية فإن تكلفة عمليات التحلية انخفضت بنســبة 75 فــي المائــة، وذلك إذا ما قورنــت بتقنية التناضح العكســي باهظة التكلفة والمســتخدمة اليوم. وتمثل أنابيب الكربــون المؤلفة من فتحات نانوية الأبعاد مصادر فريدة ومتميزة لعمليات الترشــيح والفلترة، حيث تُصمم فتحاتها بحيث تســمح لجزيئــات الماء النقي من العبور بخلالها، بينما تحجب مرور جزيئات الأملاح المذابة مع الماء النقي، لذا فهي تقوم بمهام المناخل أو المُرشحات الجزيئية Molecular Sieves.

وتزداد فاعلية عملية ترشــيح وفلترة المياه مع اســتخدام حبيبات أول أكســيد الماغنسيوم النانوية MgO، وكذلك حبيبات نانوية لفلز الماغنسيوم Mg الحــر. وتبدي هذه المواد فاعلية شــديدة في القضــاء على البكتيريا موجبة وســالبة الغــرام Gram-positive and Gram-negative، وكذلك إبــادة الجراثيــم البكتيريــة Bacterial Spores [10] التي قد توجد بمياه الشرب. وتحضَّر البلورات النانوية أو مايعرف باسم نقاط الكم Quantum Dots للماغنســيا والماغنسيوم على هيئة مســاحيق فائقة النعومة تتألف مــن كُريات متناهية في الصغر تقــل أبعاد أقطارها عن 20 نانومترا، مما يُكســبها مساحة أســطح عالية، وهذا يؤدي إلى زيادة كبيرة في فاعليتها، للقضاء على الجسيمات البكتيرية.

تنقية الهواء بواسطة تكنولوجيا النانو

تعد الزيادة المستمرة في نسبة الملوثات الغازية بالهواء الجوي إحدى أبرز المشاكل التي تعاني منها البشرية في عالمنا اليوم، حيث تحصد سنويا أرواح أكثر من ثلاثة ملايين من البشر. ودائما ما يربط علماء الطب والرعاية الصحية بين تلوث الهواء وارتفاع نسب الملوثات بالجو وبين الإصابة بكثير من الأمراض وحالات الوفاة. وتأتي أمراض الربو، والحساسية وانتفاخ الرئتين، والالتهاب للقصبات الهوائية المزمن، وكذلك سرطان الرئة والسكتات القلبية على قائمة أخطر الأمراض التي تصيب البشر من جراء التعرض الدائم لاستنشاق الهواء المُلوث. ولا تقتصر مشكلة تلوث الهواء على دول الجنوب من العالم النامي والدول الأقل نموا، بل يعاني من هذه المشكلة مواطنو الدول الصناعية العظمى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية التي يعاني أكثر من 60 في المائة من عدد سكانها من أمراض الربو والحساسية نتيجة تعرضهم لاستنشاق الهواء المُلوث.

• حُبيبات ثاني أكسيد التيتانيوم النانوية لتنقية الهواء الملوث

كما ذكرنا سلفا، تستخدم مساحيق ثاني أكسيد التيتانيوم - التيتنيا - TiO_2 ميكرومترية الحبيبات على نطاق واسع في صناعات إنتاج الأصباغ ومواد الطلاء والبياض وصناعة الأوراق والبلاستيك، حيث تُنتجَ كميات ضخمة منها على مستوى العالم. وبعيدا عن الاستخدامات التقليدية السالفة، وعلى الرغم من أهميتها وتطبيقاتها المفيدة، فقد وجدت مساحيق التيتنيا استخدامات أكثر إثارة، وذلك إذا ما أُنتجَت حبيبات منها لا تزيد أبعاد أقطارها على 50 نانومترا. فعلى سبيل المثال، تبدي حبيبات التيتنيا التي تقل أبعاد أقطارها عن 50 نانومترا قدرة فائقة على حجب الأشعة فوق البنفسجية، ولكنها لا تحجب الضوء من المرور، لذا فهي لا تسبب عتامة عند استخدامها في أغراض الوقاية والحماية ضد الأشعة فوق البنفسجية الحارقة. ومن ثم فهي تستخدم الآن بنجاح في صناعة كريمات البشرة ومستحضرات التجميل الخاصة بالوقاية من الشمس.

كذلك تستخدم الحبيبات النانوية منها في صناعة ورنيش طلاء أسطح الأخشاب للمحافظة عليها، وكذلك في صناعة ألياف النسيج وصناعة معجون الأسنان.

وتعد التيتنيا نانوية الحبيبات من أقوى المحفزات الضوئية Photocatalyst التي تتميز بوجود أسطح مؤكسدة لها، ومن ثم فهي تكافح الوجود البكتيري وغيرها من المركبات العضوية مثل التراب والعفن الفطري والبكتريا، وذلك إذا ما عُرِّضت أسطحها لأشعة الشمس أو حتى لمصدر ضوئي مثل مصباح الفلورسنت. ورجوعا لهذه الخواص الفريدة، فإن التيتنيا تجد لنفسها استخدامات واسعة ومتميزة أهلتها لكي توظف في صناعة دهانات الأسطح بغرض حمايتها من الاتساخ والتراكم البكتيري.
وقد فتحت إحدى الشركات اليابانية المجال لحبيبات التيتنيا النانوية كي تُوظف كمحفزات ضوئية فعالة تستخدم للتخلص من أكاسيد النيتروجين السامة NO_x وإزالتها من الهواء الجوي، وذلك عن طريق تكسيرها واختزالها إلى مركبات صديقة للبيئة. هذا وتعد البلورات النانوية للتيتنيا التي تقل أقطار حبيباتها عن 10 نانومترات مواد واعدة تستخدم للتخلص من أبخرة الزئبق التي تنطلق في الهواء الجوي نتيجة حرق الفحم بمحطات توليد الطاقة الكهربية. وفي وجود أشعة الشمس فوق البنفسجية، تقوم هذه البلورات النانوية بأكسدة أبخرة الزئبق وتحويلها إلى أكسيد الزئبق (في حالته الصلبة) والذي لا يمثل خطورة على صحة الإنسان. ومن المرجح أن تلقى بلورات التيتنيا النانوية مساحة كبيرة من التطبيقات الفعلية المتعلقة بمجال تنقية الهواء وإزالة ما به من ملوثات، وهذا الترجيح قائم على ما تبديه العديد من المدارس العلمية التابعة للمعاهد البحثية والجامعات من اهتمام متزايد بهذه المادة فريدة الخواص [(11-14)].



white

12

الإلكترونيات النانوية

تُعد الإلكترونيات عصب الحياة الحديثة والعمود الفقـري لكل التكنولوجيات، التي تأتي علـى قائمتها تكنولوجيـا المعلومات والاتصالات. وقد أضحـت الإلكترونيات منذ منتصف القـرن الماضي وحتى يومنا هذا عنصرا مهما ومكونا رئيسيا في جميع الأجهزة الكهربية الحديثة التي نستخدمها اليـوم. ويتناول هذا الفصل الدور الحيوي لتكنولوجيا النانو في دفع وتطوير صناعة الإلكترونيات، المعروفه باسم الإلكترونيات النانويـة Nanelectronics. وقـد يتفـق القـارئ الكريم معـي في أنه مـن المفيد قبيل فتح الملـف الخاص بهذا الفصل، أن نسـتعرض تطور صناعة الترانزسـتورات بصفتها المرجع الأساسي والمكون الرئيسي لجميع الإلكترونيات.

«على الرغم من مرور نصف قرن منذ أن أطلق ريتشـارد فينمان رؤيتـه الثاقبة التي مهدت لقيام ثورة تكنولوجيا النانـو، فـإن كثيـرا مـن الظواهر في عالـم النانـو مـا زالت غير معروفة تماما أو قد يصعب تفسيرها»
المؤلف

ماهية الترانزستورات

يرجع تاريخ اختراع الترانزستور إلى العام 1948 عندما قام علماء الفيزياء جون باردين John Bardeen، و والتر براتن Walter Brattain وزميلهما ويليم شــوكلي William Shockley (الشــكل 12 - 1) الباحثــون بمعامل «بل تلفون» الشــهيرة بالولايات المتحدة الأمريكية، بإعلان اختراعهم للترانزستور. وقد نال هذا الفريق في العام 1956 جائزة نوبل في الفيزياء وذلك تقديرا لهم على اختراعهم الذي غير مسار الإنسان وفتح أمامه سُبلا جديدة، وآفاقا لا نهاية لها.

والترانزســتور الذي حل محل الصمامــات المفرغة، هو وحدة صغيرة جدا تقوم بوظيفة منظم لتدفق التيار، فهو يســمح بمرور التيار من خلاله بمقــدار غير ثابت حيث إنه يختلف مــع اختلاف قيمة التيار الداخل إليه، مما مكن الترانزســتورات من التحكم في شــدة التيار، وذلك اعتمادا على شــدة تيار كهربي آخر. ويُحاكي الترانزستور في أسلوب عمله هذا، طريقة عمل المفتاح في الدائرة الكهربية، وإن اختلفت الدقة بين المكونين. وتدخل الترانزســتورات كمكونات رئيســية في بناء الدوائر المتكاملة في الأجهزة الإلكترونية المختلفة (الحاسب الآلي، المذياع، المركبات الفضائية... إلخ).

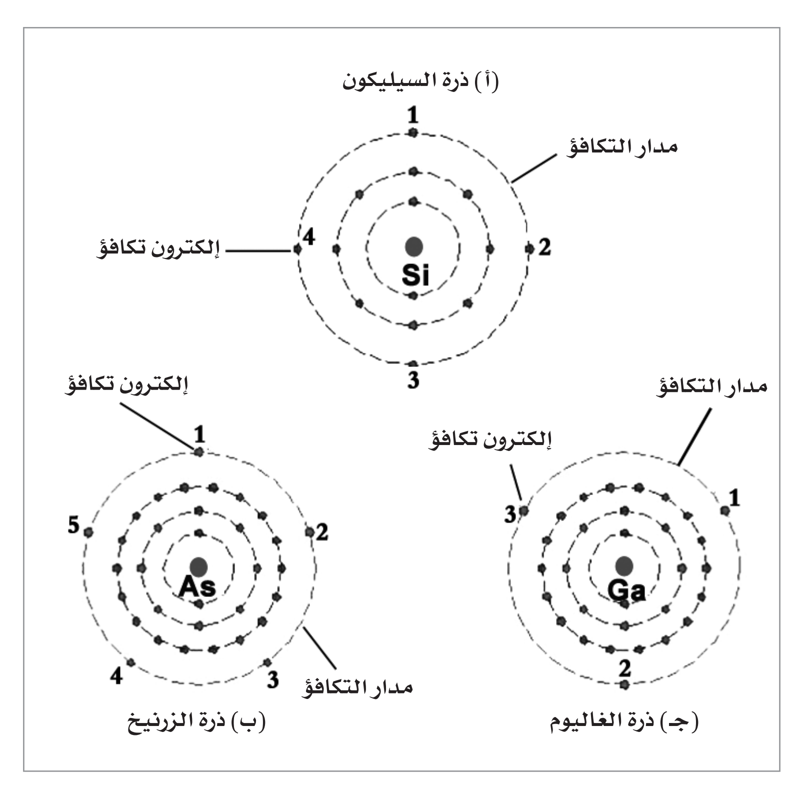


الشــكل (12 - 1) : صــورة فوتوغرافيــة تجمــع بين علماء الفيزياء الثلاثة : شــوكلي (الجالــس)، باردين (الواقــف علــى اليمــين)، وبراتــين (الواقف علــى اليســار) مخترعي الترانزستور والحاصلين على جائزة نوبل في الفيزياء العام 1956.

أشباه الموصلات

يمكننا تصنيف المواد وفقا لقدرتها على توصيل التيار الكهربي إلى موصـــلات مثل فلزات النحاس، الألومنيوم ومواد عازلة مثل المطاط أو الخشب. وقد بُني هذا التصنيف بناء على مدى وجود الإلكترونات الحرة وكثافتهـــا الحجمية بالمدار الخارجي للذرة والمعروف باســـم مـــدار التكافؤ. لذا، فـــإن المواد الفلزية (جيـــدة التوصيل الكهربي) ترتفع فيها كثافـــة وجود الإلكترونات الحرة المســـؤولة عن توصيل الشحنات، هذا بينما تنخفض الكثافة الحجمية للإلكترونات الحرة فـــي المواد العازلة غير الفلزية (رديئة أو عديمة التوصيل الكهربي). بيد أن هناك مجموعة من المواد يُطلق عليها اســـم أشباه الموصلات (المواد شبه الموصلة Semiconductors، مثل السيليكون والجرمانيوم – المواد الأساســـية فـــي صناعة الترانزســـتورات – لا تخضع لهذا التصنيـــف وذلك لكونهـــا مواد فريدة، حيث يتـــراوح مقدار الكثافة الحجمية في إلكتروناتها الحرة ما بين المواد الموصلة والمواد العازلة. فعلى ســـبيل المثال، تبلغ الموصلية الكهربية لعنصر الجرمانيوم نحو تريليـــون (ألف مليـــار أو مليون مليون) ضعـــف قيمتها في الزجاج، غير أنها تقل عن نظيرتها لفلز النحاس بنحو 30 مليون مرة. وعلى الرغم من أنه عند درجة حرارة الغرفة العادية تســـلك مواد أشـــباه الموصلات سلوك المواد الموصلة، فإن هذه الصفة تتلاشى نهائيا عند درجات الحرارة المنخفضة.

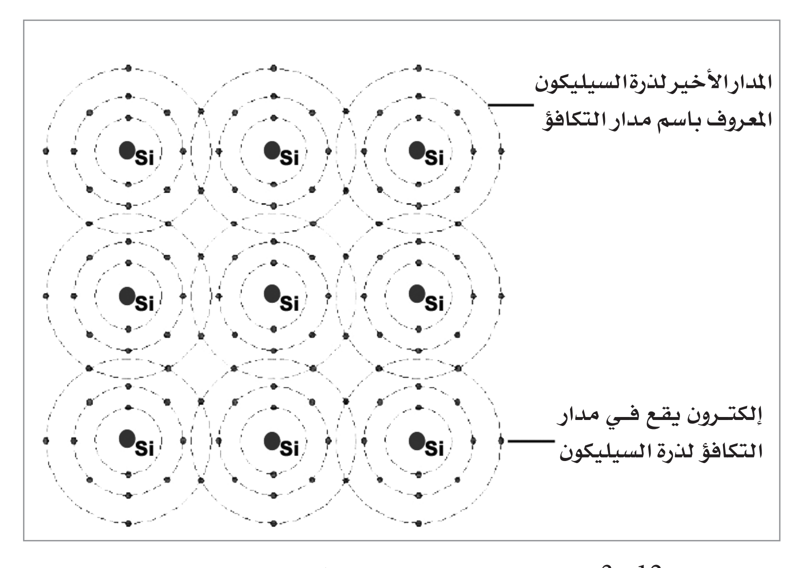
وبأخـــذ عنصر الســـيليكون – المادة الأكثر شـــيوعا وقلب صناعة الترانزستورات – كمثال، فإن ذرته الواحدة تحمل في مدارها الخارجي أربعة إلكترونات، والتي يُطلق عليهم اسم إلكترونات التكافؤ، كما هو مبـــين في الشـــكل (12 – 2«أ»). ولتكوين بلورة الســـيليكون، ترتبط كل ذرة من ذرات الســـيليكون مع ذرة مجاورة لها من العنصر نفســـه، وذلك عن طريق الرابطة التســـاهمية. ومن ثم، تصبح الذرة الواحدة من الســـيليكون وكأنها محاطة بثمانيـــة إلكترونات، كما هو مبين في الشكل (12 – 3).



الشكل (12 - 2) : رسم تخطيطي يبين نمط التشكيل الإلكتروني لذرات من عناصر مختارة لمواد أشباه الموصلات من (أ) السيليكون Si، (ب) الزرنيخ As، و(جـ) الغاليوم Ga
المصدر : تم تنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).

وعند درجة حرارة الصفر المطلق، فإن أشباه الموصلات في صورتها النقية تكتسي سمة العزل الكهربي نظرا إلى كون مدارها الأخير مشبعا بالحد الأقصى من الإلكترونات (ثمانية إلكترونات). ويتأتى اكتمال المدار الخارجي لذرة السيليكون بالإلكترونات الثمانية نتيجة مساهمة ذرات السيليكون المجاورة لها بإلكتروناتها الخارجية لإكمال المدارات الخارجية بعضها لذرات البعض، كما هو موضح في الشكل (12 - 3). ويؤدي اكتمال المدار الخارجي لذرة السيليكون إلى غياب الإلكترونات الحرة سالبة الشحنات، الأمر الذي يؤدي إلى استقرار الذرة وخمولها. غير أن

هذا الاســتقرار سرعان ما يتلاشــى عندما تتعرض مادة السيليكون، إلى درجات حرارة عالية أو تسـليط مصدر إشـعاع ضوئـي عليها، فإن هذا يترجم إلى طاقة حرارية تؤثر في الروابط التساهمية بين ذرات السيليكون، مما يتســبب في تكسيرها وفكها، ويؤدي هذا بالتالي إلى زعزعة استقرار الذرات، وينجم عن هذه العملية تحرير بعض إلكترونات المدارات الخارجية للذرات تاركة في محلها ما يعرف باسم الفجوات أو الثقوب Holes.



الشكل (12 - 3) : رسم تخطيطي يبين ارتباط ذرات السيليكون بعضها بالبعض عن طريق الرابطة التساهمية لتكوين بلورة سيليكون (المصدر: تم تنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).

وتحمل الإلكترونات شحناتها السالبة عند مغادرتها للمدارات الخارجية مــن الذرة، لذلك فإن الفجوات التي تتركها بتلك المدارات الخارجية تحمل شحنات موجبة. وينشــأ عن هذا التحرر تولّد كثافة في عدد الإلكترونات ذات الشحنات السالبة، تقابلها كثافة في عدد الفجوات الحاملة لشحنات موجبــة. وتتمتع الإلكترونات المُحررة بحرية كبيرة في الحركة، الأمر الذي يــؤدي إلى أن تحتل فجوات موجبة الشــحنات تقع بمدارات أخرى لذرات مجاورة داخل بلورة السيليكون الواحدة.

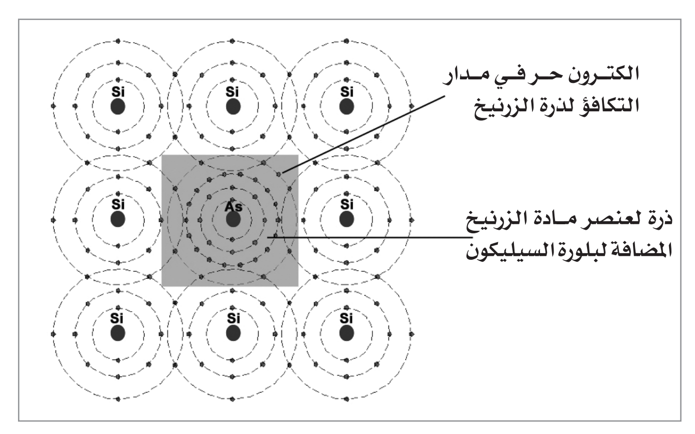
ومـــع اســـتمرار التعرض لدرجـــات الحـــرارة العالية، فـــإن هذه الإلكترونات ســـرعان ما تتـــرك مواقعها في الفجـــوات التي احتلتها لتحتـــل وتملأ فجوات أخرى جديدة، مخلفـــة وراءها فجوات جديدة، تقوم مجموعة أخرى من الإلكترونـــات باحتلالها. وبذلك تكون بلورة مادة شـــبه الموصل قد انتقلت إلى حالة من عدم الاستقرار تتمثل في حركة دائبة ودائمة لإلكترونات مداراتها الخارجية، مما يعني توصيل التيار الكهربي.

وفـــي البلورات النقية لعناصر أشـــباه الموصلات، فـــإن الإلكترون المتحرر من المدار الخارج ينطلق تاركا محله فجوة تحمل شحنة موجبة (عدد الإلكترونات المُحررة ســـالبة الشـــحنة يســـاوي عـــدد الفجوات موجبة الشـــحنة) كي ينجـــذب إليها نفس الإلكتـــرون المحرر أو غيره من الإلكترونـــات الأخرى. وبمجرد عودة الإلكتـــرون واحتلاله موقعه الأصلي، فإن المادة تفقد خاصية التوصيل نظرا إلى غياب الإلكترونات الحُرة المسؤولة عن التوصيل الكهربي. ومن هنا بدأ التفكير في كيفية خلق عدد أكبر من الإلكترونات الحرة بحيث تكون الذرة دائما في حالة من عدم الاســـتقرار. ومن هنا جاءت فكرة إضافة شـــوائب Dopants إلـــى عناصر أخرى من أشـــباه الموصلات لتكوين بلورات ســـالبة (بها فائض مـــن الإلكترونات الحرة) وبلورات موجبـــة (بها فجوات موجبة الشحنة تجذب الإلكترونات الحرة ســـالبة الشحنة إليها) مما يضمن استمرار تمتع خاصية التوصيل الكهربي لمادة الأساس (السيليكون في هذه الحالة).

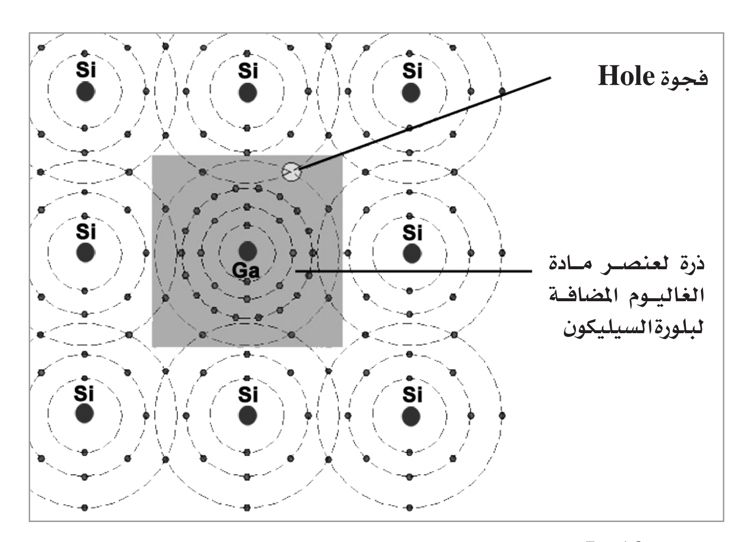
وتتكون بلورة ســـالبة من الســـيليكون عن طريق إضافة شـــوائب لعناصـــر مواد من أشـــباه الموصلات مثل الفوســـفور P والزرنيخ As والأنتيمون Sb إلى الســـيليكون. وتسبب هذه الشوائب عند إضافتها وفرة فـــي عدد الإلكترونات الحرة ســـالبة الشـــحنة، ومـــن ثم فهي تُسمى بالشوائب السالبة Negative-type doping ويرمز لها بالرمز N-type ويرجـــع الســـبب وراء اختيار تلك العناصـــر، إلى كونها مواد من أشـــباه الموصلات ذات تكافؤ أعلى من تكافؤ السيليكون (الرباعي

التكافؤ)، مما يعني أن المدارات الأخيرة لذراتها تحمل عدد خمسة من إلكترونات التكافؤ. وعند إضافة الزرنيخ إلى السـيليكون، فإن أربعة إلكترونات فقط من الإلكترونات الخمسة بالمدار الأخير لذرة الزرنيخ (الشكل 12 - 2«ب») تشترك مع إلكترونات السيليكون الأربعة ليكوّنا معا رابطة تساهمية، بينما يتبقى إلكترون واحد حر من الزرنيخ يحمل شحنة سـالبة لا يشارك في هذه الرابطة، كما هو موضح في الشكل (12 - 4). ورجوعـا إلى الدور الذي تقوم به ذرات هذه العناصر في تكوين بلورة السيليكون السـالبة، فإنها تسمى بالمانحات أو المعطيات Donors، وذلـك نظرا إلى دورها المتمثـل في منح الإلكترونات. ويتم التوصيل الكهربـي في هذا النوع من الترانزسـتورات المصنوعة من البلورات السـالبة ، من خلال ذلك الفائض من الإلكترونات الحاملة للشحنات السالبة.

ولتكويـن بلورة موجبـة Positive-type doping (P-type) تضاف شـوائب عنصر من عناصر أشـباه الموصـلات ثلاثيـة التكافؤ مثل الإنديـوم In، الغاليـوم Ga، أو البورون B. وتحتـوي ذرة الغاليوم في مدارها الأخير على ثلاثة إلكترونات (الشـكل 12 - 2 «جـ») تشـارك بهم جميعا في إنشاء رابطة تساهمية مع الإلكترونات الأربعة الموجودة بمدار التكافؤ لذرة السـيليكون، كما هو في الشـكل (12 - 5). وعلى النقيـض مـن تكوين البلورة السـالبة، تفتقر ذرة الغاليـوم إلى وجود إلكترون واحد لتتم به الرابطة التسـاهمية مع ذرة السيليكون. وينشأ عـن غياب هذا الإلكترون، تكـون فراغ بالمدار الأخير لـذرة الغاليوم يُعرف بالفجوة Hole التي تحمل شـحنة موجبة. وهذه الفجوة تحتاج إلى إلكترون حر ذي شحنة سالبة كي ينجذب ليملأها. ومع تزايد عدد الفجوات الموجبة بالبلورة تزداد قدرتها على توصيل التيار وتُعرف في هذه الحالة بالبلورة الموجبة، وتعرف عناصر أشباه الموصلات المتسببة فـي خلق هذه الفجوات التي تجـذب إليها الإلكترونات الحرة لتحتلها باسم المُتقبلات Acceptors.



الشكل (12 - 4): رسم تخطيطي يبين بلورة السيليكون بعد إدخال عنصر الزرنيخ As بها. والشكل يوضح وجود إلكترون حر سالب الشحنة لذرة الخارصين غير مشارك في الرابطة التساهمية القائمة بين ذرات عنصري السيليكون والزرنيخ (المصدر: تم تنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).



الشكل (12 - 5): رسم تخطيطي يبين بلورة السيليكون بعد إدخال عنصر الغاليوم Ga بها. والشكل يوضح غياب عدد إلكترون واحد بمدارها الأخير، مما يسبب تكون فجوة موجبة الشحنة تنشأ في هذا المدار. (المصدر: تم تنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).

تركيب الترانزستور وكيفية عمله

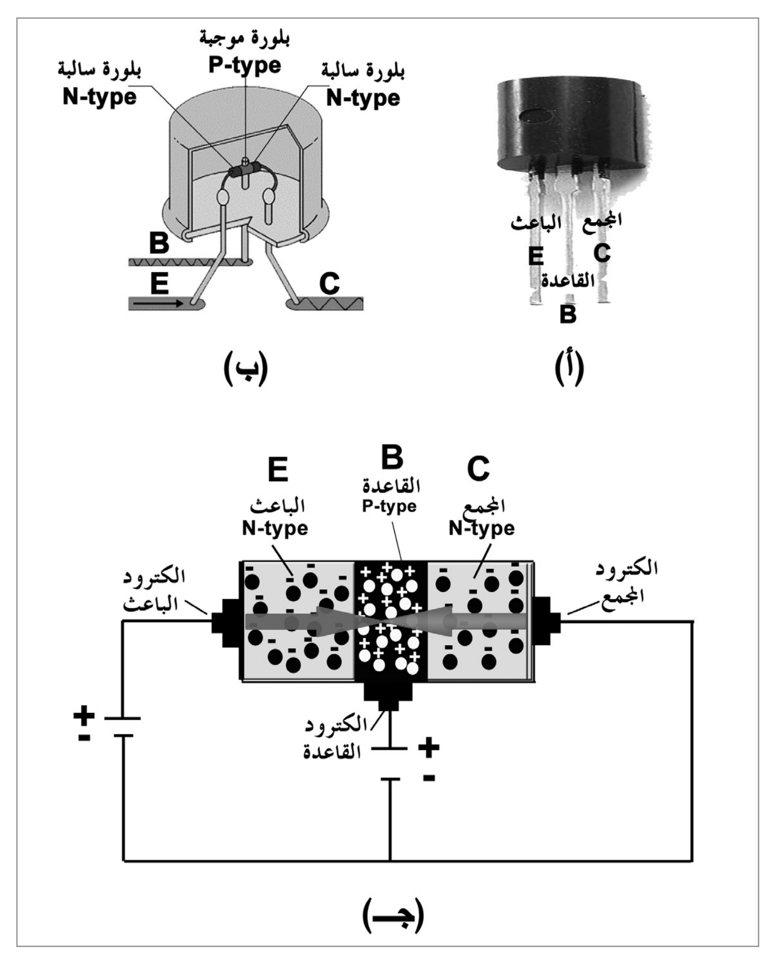
تُعد البلورات ذات الشحنات المختلفة (السالبة والموجبة) المكونات الرئيسية التي يتألف منها الترانزستور، حيث تُوضع متلاصقة لتكوّن في ذلك ما يعرف باسم الترانزستور الاتصالي Junction Transistor. ويوضح الشكل (12 - 6) رسما تخطيطيا لمكونات الترانزستور الاتصالي والذي يحتوي على ثلاثة أطراف هي:

- الباعث Emitter ويرمز له بالرمز E، وهو بلورة متوسطة الحجم من مادة لأشباه الموصلات سالبة الشحنة (N-type) حيث تعتبر مصدر انبعاثات الإلكترونات.
- القاعدة Base ويرمز لها بالرمز B، وهو بلورة لمادة من أشباه الموصلات صغيرة الحجم موجبة الشحنة (P-type) تُوضع بين الباعث والمُجمع بحيث تسمح للإلكترونات المنبعثة بالمرور من خلالها.
- المُجمع Collector ويرمز له بالرمز C، ويمثل الطرف الثالث الأخير من الترانزستور الاتصالي وهو عبارة عن بلورة لمادة من أشباه الموصلات كبيرة الحجم سالبة الشحنة (N-type) تُجمِّع الإلكترونات المنبعثة من طرف الترانزستور الأول (الباعث).

وعلى النقيض من ترتيب البلورات السالبة والموجبة المُؤلفة لأطراف النوع السابق من الترانزستورات المعروفة باسم NPN، فإن ترتيب أطراف النوع الآخر من الترانزستورات المعروف باسم PNP تتألف أطرافه وفقا للترتيب التالي: P-type، N-type، P-type.

ويبين الشكل (12 - 6 «جـ») كيفية وضع الوصلات بين مكونات الترانزستور من النوع NPN بحيث تتكون من زوج من الوصلات موضوعتين ظهرا لظهر، الأولى بين الباعث والقاعدة، والثانية وصلة بين القاعدة والمجمع. ورجوعا إلى هذا النمط من الوصلات، يسمى الترانزستور في هذه الحالة بالترانزستور ثنائي قطب الالتقاء Bipolar Junction (BJT) Transistor. وكما هو مبين بالشكل، ففي هذا النوع من الترانزستورات، تقوم القاعدة B بعمل مفتاح تشغيل أو غلق On/Off كهربي متناهي الدقة. حيث يتسبب مرور التيار من الباعث E إلى القاعدة B في توليد مقاومة

منخفضة بـين المجمع C والباعث E مما يؤدي إلى فتح طريق لمرور التيار ليكون الترانزسـتور في وضع التشـغيل، ويؤدي غياب التيار من السريان إلى القاعدة B إلى عدم مروره من القاعدة B إلى الباعث E وبذلك يكون الترانزستور في وضع الغلق.



الشـكل (12 – 6) : صورة لترانزسـتور اتصالي من النوع NPN (أ) مبين فيه رسـم تخطيطـي لمقطعه الداخلي (ب) وكيفية انتقال الإلكترونات من البلورات السـالبة C وE لتحتـل مواقـع الفراغـات الموجبة الموجـودة بالقاعدة B (جـ) (المصـدر: تم تنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب).

تأثير ميكانيكا الكم في خواص أشباه الموصلات

إن التلاعب في ذرات أشـباه الموصلات (المادة الأساسـية لصناعة الترانزستورات) وإعادة ترتيبها والتحكم في أبعادها لا يهدف فقط إلى الحصول على مواد متناهية الصغر، بقدر ما يهدف إلى الحصول على شـرائح إلكترونية جديدة ومتميزة تتوافر فيهـا خواص فريدة تؤهلها لصناعة أجيال جديدة من معالجات الحاسبات السريعة ذات القدرات العاليـة. فتصغيـر المادة يؤدي إلى اكتسـابها صفـات جديدة لم تكن متأصلة فيها من قبل. وهذه الصفات تكتسـبها المادة المُصغرة كنتيجة طبيعية لزيادة المسـاحة السطحية لها بعدة ملايين من المرات، ومن ثم بروز كم هائل من ذراتها على هذه الأسطح بعد أن كانت مختبئة داخل حبيبات المادة قبل إتمام عملية التصغير. وكما أشرنا في فصول سابقة من هذا الكتاب، فإن زيادة مسـاحة الأسـطح تزيد من نشاط وفاعلية المـادة، فإذا أخذنا فلز الذهب المكون من حبيبات كبيرة الأحجام مثالا، فإننـا نجد أنه فلـز نبيل لا يتفاعل مع أي عوامـل تحيط به، لذا فهو خامـل. بيد أنه إذا ما صُغرت حبيبات فلز الذهب لتكون في مسـتوى النانـو، فإن ذلك يعمل على تنشـيطها وفاعليتها، لذا فهي تُسـتخدم كمحفزات كيميائية قوية.

وعلى الرغـم من مرور نصف قرن منذ أن أطلق ريتشـارد فينمان رؤيتـه الثاقبة التي مهدت لقيام ثورة تكنولوجيـا النانو، فإن كثيرا من الظواهـر في عالم النانـو ما زالت غير معروفـة تماما أو قد يصعب تفسـيرها. بيد أن هناك شيئا واحدا مؤكدا وثابتا، وهو أن جميع المواد النانوية لا تتبع في حركتها قوانين نيوتن الكلاسـيكية. ففي حالة المواد كبيرة الأحجام، تعبر قيم الخواص المعينة لها عن متوسـط القيم وليس عن خواص إحـدى حبيباتها، ومن أجل تفهـم خـواص المـواد النانويـة لا بد من تفهم خواص كل حبيبة نانونية على حدة، وهذا بالتالي يتطلب تفهما كامـلا لنظرية الكم (الكوانتـم) Quantum Theory، وهي تلك النظرية التي نشـأت بهدف تصحيح قوانين نيوتن الكلاسيكية وجعلها موائمة للتطبيق على مستوى المواد النانوية التي تقل أبعاد حبيباتها عن

100 نانومتـــر. وكلمة الكم (الكوانتـــم) تعبر عن مصطلح فيزيائي يعني أصغر كمية يمكن أن نحصل عليها نتيجة تقســـيم أو تجزئة شـــيء ما، حيـــث يعبر الكم عن مقدار كمية الطاقة المنبعثة بشـــكل متقطع وليس بشـــكل دائم مســـتمر. وتعد نظرية الكم العمود الفقري للإلكترونيات والبحوث العلمية المتعلقة بأشباه الموصلات حيث لا بديل ولا غنى عنها لتفهم طبيعة وخواص أشباه الموصلات تفهما جيدا.

وفي إطار ما تقدم، يمكننـــا أن نتفهم المعنى المقصود من ميكانيكا الكم (الكوانتـــم) Quantum Mechanics ووصفه في عبارة مختصرة وكلمـــات بســـيطة على أنه ذلك الفـــرع من الفيزياء الـــذي يعتمد في أساســـياته على نظريـــة الكم (الكوانتم)، والذي يهتم بتعيين ودراســـة خواص وســـلوك المادة عند مســـتواها الذري، النووي، الحبيبي. وعند هذه المســـتويات، فإن خواص المـــادة مثل الطاقة، والعـــزم، والكتلة لا تتغير بمعدل ثابت كما هو مألوف في المواد ذات الأحجام أو الحبيبات الكبيـــرة. وفي الحين الذي تُوظف فيه قوانين نيوتن الفيزيائية للتعبير عن حركة الأجســـام الكبيرة، فإن ميكانيكا الكم لها القدرة على وصف سلوك الجزيئات والذرات وصفا نموذجيا ودقيقا على مستوى النانومتر الواحد وما دونه.

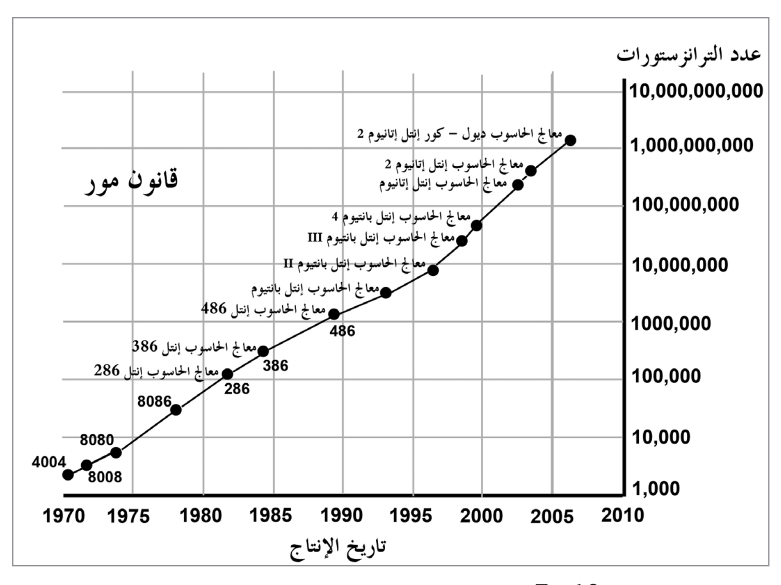
قانون مور Moore's Law

لاحـــظ غوردون مـــور Gordon Moore في منتصف الســـتينيات وقبيل تأسيس شركته - شركة إنتل Intel الأكثر شهرة في إنتاج مكونات الكمبيوتر - ببضع سنوات، أنه في الإمكان مضاعفة عدد الترانزستورات في شريحة وحدات المعالج المركزية (CPU)، Central Processing Unit والتي عادة ما تختصر ليطلق عليها اســـم المعالج Processor كل عامين وذلك من دون تكلفة تُذكر. وقد رأى في ذلك الحين أنه إذا ما اســـتمر هذا التضاعف في عدد الترانزستورات بصورة دورية، فإن كثافة شرائح الســـيليكون المســـتخدمة في تأليف نحو 50 مكونا من مكونات الدوائر الإلكترونيـــة المتكاملة ســـوف ترتفع لتصل بحلول العـــام 1975 إلى ما

يربـو على 65 ألف مكون في الدائرة الواحدة. ويُعرف هذا الاسـتنتاج بقانون مور الذي يُسـتخدم في التنبؤ بالعدد المستقبلي للترانزستورات بمعالجات أجهزة الحاسـب. وقد اعتُمد على هذا القانون في حسـاب عدد الترانزسـتورات المحتمل توظيفه لإنتاج معالجات الحواسب الآلية خلال الفترة من 1971 – 2007، كما هو مبين في الشـكل (12 – 7). وبالنظر إلى الشكل المذكور، نسـتطيع استنتاج أن عدد الترانزستورات الموظفة في إنتاج معالجات الحواسـب قد تضاعف خلال الفترة المبينة بنحو 250 ألف مرة.

التنافس العالمي في إنتاج الحاسبات المعتمدة على تكنولوجيا النانو

وليس ثمة شـك، في أنه من دون التقنيـات الإنتاجية التي توفرها تكنولوجيا النانو، ما كان من الممكن الوصول إلى هذا العدد الضخم من الترانزسـتورات المستخدمة في المعالج الواحد، والتي تخطت أعدادها بالمعالـج «ديول – كور إنتـل إتانيوم 2» حاجز المليار وحدة. ووجود هذا العدد الضخم من الترانزسـتورات في المعالـج الواحد يعني مضاعفة قدرات الحاسـب وسـرعته في إجراء العمليات الحسابية المُعقدة في كسـور من الثانيـة الواحدة، ومضاعفـة قدراته فـي معالجة الصور ومختلف الوسائط السـمعية والبصرية. ومع تقنيات تكنولوجيا النانو، تمكنت شـركة إنتل من مضاعفة أعداد الترانزستورات المستخدمة في المعالجـات وذلك عن طريق تصغير أبعادها، التي وصلت اليوم إلى 90 نانومترا بعد أن كانت منذ خمسة أعوام تربو على 130 نانومترا. ومن المنتظر أن تصل أبعاد الترانزسـتورات إلى أقل من 50 نانومترا وذلك خلال السـنوات القليلة المقبلة. وعلى الرغم من ذلك التقدم المسـتمر فـي صناعة الرقائق والمعالجـات، فإن تكنولوجيـا صناعة المعالجات الحالية سـتصل قريبا إلى نهاية حدودهـا وقدراتها المادية، مما يدفع صانعي الرقائق الإلكترونية إلـى الابتكار والاختراع لإيجاد تكنولوجيا صناعيـة بديلة تعتمد بصورة كلية علـى تقنيات تكنولوجيا النانو، مما يتيح الحصـول على أعداد أكثر من الترانزسـتورات المكونة لمعالجات الحواسب الإلكترونية.



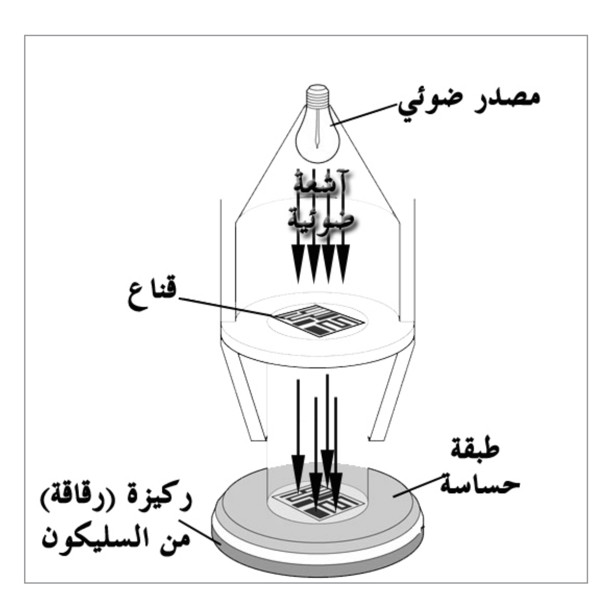
الشكل (12 – 7) : التغير في أعداد ترانزستورات معالجات الحاسب خلال الفترة من 1971 - 2007.
(الشكل من تصميم مؤلف هذا الكتاب).

تقنية الطباعة على الأسطح Lithography

سبق أن تحدثنا عن تقنية الطباعة على الأسطح Lithography، حيث أوضحنا ماهيتها وذلك بوصفها من أدق وأوسع الطرق انتشارا في مجال تصنيع الترانزستورات والدوائر المتكاملة. وبوساطة استخدام هذه التقنية، تُطبع الشرائح الإلكترونية بكل أنواعها، وذلك من خلال تصميم أقنعة Masks على هيئة نماذج Patterns أو قوالب Molds تعطي تفاصيل الشكل المرغوب تنفيذه، والأبعاد المراد أن توجد عليها الشرائح. لذا، تُعد هذه النماذج بمنزلة الخرائط الأساسية Blueprints التي تحدد هوية وشكل الشرائح.

ويُعرض قناع النموذج بعد تصميمه لأشعة ضوئية قادمة من مصدر ضوئي بحيث تُسقط هذه النماذج على ركيزة (طبقة) Substrate من مادة السيليكون التي تُستخدم في صناعة الشرائح، ومن ثم تتكون صورة

طبـــق الأصل من النموذج، كمـــا هو مبين في الشـــكل (12 - 8). ولعل القـــارئ الكريم يلاحظ مدى التشـــابه بين هذه التقنية وذلك الأســـلوب المُتبع في طبع الصور والحـــروف على صدور كثير من القمصان وبعض الثياب الأخرى.



الشكل (12 - 8): أسس عملية الزرع والطبع Lithography المستخدمة في إنتاج الشرائح الإلكترونية (الشكل من تصميم مؤلف هذا الكتاب).

تقنية النانو في الطباعة على الأسطح Nano-Lithography

تتنافس الآن كثير من شـــركات إنتاج الإلكترونيات العالمية في البحث والتجريب لابتكار وســـائل وتقنيات متقدمة تعتمد على توظيف تكنولوجيا النانو في الطباعة الكيميائية على الأســـطح فائقة الدقة، مما يعرف باسم الطباعة النانوية والتي تُستخدم فيها طريقتان هما:

- الطباعة بالقلم المغموس Dip Pen Nanolithography (DPN)
- الطباعة بالقلم المائل الحراري Thermal Dip Pen Nanolithography (tDPN)

وتعتمد طريقة الطباعة بالقلم المائل - على البارد أو الساخن - على توظيف طرف مسبار (مجس) Probe Tip ميكروسكوب القوة الذرية Atomic Force Microscope في بناء الهياكل النانوية الخاصة بالشرائح الإلكترونية حيث يُطلى المسبار بغلاف من الحبر السائل الذي يتدفق عند ملامسة طرف المسبار لسطح رقائق السيليكون مكونا الشكل المراد الحصول عليه. وتوفر هذه التقنية عالية الدقة والمعروفة باسم الكتابة المباشرة Direct-write Technique القدرة على نفث الأحبار الجزيئية Molecular Inks المحتوية على جزيئات المواد النانوية المرادة طباعتها على أسطح الركائز بالشكل المراد الحصول عليه.



13

الحساسات النانوية

«أدت هذه الانتصارات العلمية المتوالية في مجال المواد النانوية إلى تحقيق ما نشاهده اليوم من تقدم تقني مذهل في توظيف الحساسات لرصد المتغيرات الطارئة في الظواهر الطبيعية، وما قد يصاحبها من كوارث مدمرة..»

المؤلف

غزت الحساسات Sensors حياتنا المعاصرة وأضحت استخداماتها تعم معظم التطبيقات المختلفة بكل القطاعات. وتعمل هذه الأجهزة الصغيرة على تحويل الظواهر الفيزيائية الناجمة عن تغيرات معينة في البيئة المحيطة وترجمتها إلى إشارات. لذا، يمكننا القول إن أجهزة الاستشعار يمكن تصنيفها من حيث الأداء إلى قسمين هما المستقبل، والمحول. ولكي تتوافر الثقة والمصداقية فيما توفره الحساسات من معلومات وبيانات، يجب أن تتمتع بحساسية فائقة وألا يتأثر أداؤها بالظروف المحيطة، مثل اختلاف الضغط وتغير درجات الحرارة ونسب الرطوبة. كما ينبغي أن تكون تلك الحساسات مصنعة من مواد لها القدرة على تحمل ومقاومة إجهادات الصدم والاهتزازات وجميع ظروف التشغيل الخارجية.

تكنولوجيا النانو وصناعة الحساسات

لـــم تكن تكنولوجيـــا النانو في غيبـــة عن مجال الاستشـــعار عن بعد المتمثل في صناعة الحساســـات وأجهزة الاستشعار المتقدمة، فقد قدمت وتقدم الدعم والمخرجات الابتكارية في إنتاج ما يعرف الآن باســـم أجهزة الاستشعار والحساسات النانوية Nanosensors التي تعد أحد أهم مخرجات تكنولوجيا النانو. وهناك كثير من الخواص والصفات التي تتمتع بها المواد النانوية وتجعلها مواد نموذجية في الاســـتخدام بمجال الاستشـــعار. وقد أسهم تناهي صغر أحجام تلك الحساسات وخفة وزنها وانخفاض تكلفتها الإنتاجية في ازدهارها كي تســـتخدم في مجالات تطبيقية مهمة ومتعددة من بينهـــا مجال النقل والمواصلات، مجال البناء والمرافق، الطب والرعاية الصحية، الحراســـة، الأمن والســـلامة المهنية، الأمن القومـــي، العمليات العســـكرية والدفاع وإنتاج الأسلحة [1]. ورجوعا إلى ما توفره الحساسات النانوية من دقة متناهية وزمن قياســـي في تحديـــد هوية وتركيز الملوثات الكيميائيـــة، الميكروبية والبكتيرية في البيئة المحيطة فقد وُظفت أيضا في مجال رصد التدهور البيئي والتنبؤ بالأخطار البيئية. ومن المنتظر أن تثمر الجهـــود المتواصلة في مجال إنتاج المـــواد النانوية المتقدمة وزيادة التمكين في التلاعب بذرات المادة، أن تزداد دقة وحساســـية أجهزة الاستشعار وأن تقل أحجامها. وقد أصبحت حساسات النانو منتجات مألوفة بعد أن غزت مجالات متعلقة بأنشـــطتنا اليومية، فعلى ســـبيل المثال، تلك الحساسات المســـتخدمة في الفتح الآلي لأبواب المحال التجارية، أو تلك المســـتخدمة في سيارات الركوب لمساعدة قائدها في تحديد ما حوله من أشياء خشية الارتطام بها في أثناء عملية إيقافه للسيارة في المواقف وكذلك في معرفة ورصد بيانات ضغط زيت المحرك ودرجة حرارته ومســـتوى الوقود. وتُزود الطائرات بعدد هائل من الحساسات النانوية التي يعتمد عليها الملاح الجوي فـــي التعرف على العوامل الجوية الخارجيـــة وارتفاع الطائرة، ومعرفة أي خلل أو عطل قد يقع في أحد أجزاء الطائرة. لذا لم يكن غريبا أن تشـــهد صناعة الحساســـات هذا النمو المتواصل وذلك نظرا إلى زيادة التشـــغيل الآلي وتزايد استخدام الإلكترونيات الدقيقة.

وقد أدت هــذا الانتصارات العلمية المتوالية فــي مجال المواد النانوية إلى تحقيق ما نشاهده اليوم من تقدم تقني مذهل في توظيف الحساسات لرصــد المتغيــرات الطارئة في الظواهر الطبيعية، ومــا قد يصاحبها من كوارث مدمرة، وذلك قبل وقوعها بفترة كافية بغرض أخذ الحيطة والحذر أو التدخل الســريع لمنع وقوعها، أو الحد من آثارها السلبية عند وقوعها. وقــد انعكس هذا بصــورة إيجابية في النمو الســنوي المتصاعد لصناعة تلك الفئة المتقدمة من الحساســات، والذي وصل هذا العام مقارنة بالعام الماضــي إلــى أكثر من 21%. لذا فلــم يكن غريبا أن تنتشــر وتروج تلك الصناعة على مستوى العالم، محققة رقما ضخما في حجم المبيعات الذي وصل إلى أكثر من ثلاثــة مليارات دولار في العام 2008. هذا وينتظر أن يتضاعف هذا الرقم في نهاية العام 2013 ليصل إلى نحو ثمانية مليارات ونصف المليار دولار [2].

الحساسات النانوية لرصد ملوثات الهواء

تمثل مشــكلة تلوث الهواء بأبخرة المواد الكيميائية والعضوية مشــكلة كبيــرة في بلدان إنتاج النفط والغاز والبلــدان الصناعية. كما تتفاقم هذه المشــكلة الخطيرة في معظم البلدان الناميــة والفقيرة التي تعاني ازديادا مطردا في النمو الســكاني، خصوصا في مناطق الكثافة السكانية العالية التي تكون متاخمة أو تقع داخل المناطق الصناعية. ومن أجل تقليل الضرر الناجــم عن التلوث في الغلاف الجــوي ولمنع مزيد من التدهور البيئي في تلك الدول وفي مناطق أخرى من العالم، أصبحت الحاجة ملحة إلى توفير طــرق تكنولوجية متقدمة موثوق فــي مصداقيتهــا وإمكانيتها في رصد ومتابعة مســتويات التلوث أولا فأولا وإمداد دوائر مراقبة التلوث الأرضية بتلك البيانات لحظيا فور الحصول عليها.

وقد حظيت حساســات النانو المستخدمة في رصد واكتشاف الغازات في الهواء الجوي باهتمام الباحثين والعاملين في مجال البيئة، وذلك نظرا إلى ما توفره من دقة منقطعة النظير ليس فقط في مجال الرصد التقني الدقيق لملوثات الجو من الغازات، لكن في مجال التنبؤ بالتدهور والكوارث

البيئية أيضـــا. وقد أدى التقدم المذهل في مجـــال تحضير المواد النانوية خلال العقدين الماضيين، إلى إنتاج طائفة جديدة من مواد النانو وعائلات حديثة من تلك المواد المتقدمة تُستخدم اليوم في صناعة الحساسات فائقة الدقة، التي تؤدى وظائفها ومهامها بأقل استهلاك للطاقة.

حساسات أنابيب الكربون النانوية

اكتســـبت أنابيب الكربون النانويـــة Carbon Nanotubes أهمية بالغة فـــي مجال البيئة وذلك نظرا إلى تعدد اســـتخداماتها البيئية المهمة والتي تأتي في مقدمتها صناعة أجهزة الاستشـــعار والحساسات [2]. وتستطيع حساسات أنابيب الكربون النانوية خلال ثوان قليلة اكتشاف وتعيين الملوثات الكيميائية الموجـــودة على هيئة أبخرة كيميائية فـــي الهواء الجوي، وذلك بدقة عالية. ويعتمد أســـلوب العمل في تلك الحساسات على رصد التغير الواقع في قيم الموصلية الكهربية لأنابيب الكربون، وذلك إذا ما اصطدمت بها وارتبطت معها جزيئات ملوثات البيئة الهوائية من الأبخرة الكيميائية. ويتوقف مقدار الزيادة أو النقص في تلك القيم على هوية الجزيء الغازي الذي ترتبط به جزيئاتها. فعلى سبيل المثال، عندما توجد حساسات أنابيب الكربون النانوية في بيئة ملوثة بغاز ثاني أكســـيد النيتروجين NO_2 ، فإن جزيئات هذا الغاز تســـبب عنـــد ارتباطها بتلك الأنابيـــب نقصا في عدد الإلكترونـــات الموجودة بها. ويرجع هذا النقص إلـــى أن عدد الإلكترونات بالمدار الخارجي لذرة النيتروجين هو سبعة إلكترونات، أي أنها تحتاج إلى إلكتـــرون واحد فقط كي يصبح مدارها الأخير مكتملا بثمانية إلكترونات، وبالتالي تصبح ذرة مســـتقرة. وعند ارتباط جزيء ثاني أكسيد النيتروجين بالسطح الخارجي لأنبوبة من أنابيب الكربون النانوية، فإنها تنتزع إلكترونا مـــن الكربون لتكمل به مدارها الخارجي، مســـببة بذلـــك تناقصا في قيم الموصلية الكهربية للأنبوبة النانوية.

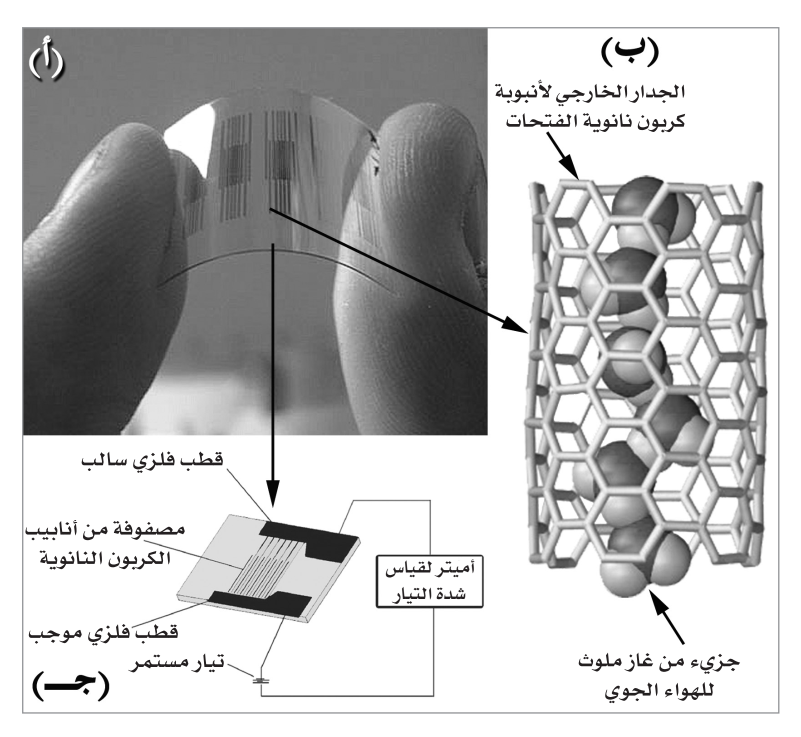
وعلى النقيض من غاز ثاني أكســـيد النيتروجـــين، فإن غاز الأمونيا NH_3 يتحد مع بخار الماء في الهواء الجوي مساهما بعدد إلكترون واحد عند ارتباطه بســـطح أنبوبة الكربون، وهذا يـــؤدي إلى زيادة في مقدار

قيمـــة الموصلية الكهربية لها. وقد أوضحـــت التجارب المعملية والحقلية أن قيـــم الموصلية الكهربية لحساســـات أنابيب الكربـــون النانوية تتأثر قيمها عند ارتباط أســـطح الأنابيب بجزيئات الأبخرة الكيميائية لغازات النيتروجين، الأمونيا، أول أكسيد الكربون، ثاني أكسيد الكربون، الميثان، الهيدروجين والأكسيجين [3-7].

وعلـــى الرغم من إمكان معرفة مـــدى تلوث البيئـــة الهوائية بالأبخرة الكيميائيـــة في منطقة معينة، فإن إمكان تســـمية الغاز وتحديد هويته ما زال يحتـــاج إلى كثير مـــن البحث والتطوير. وترجـــع الصعوبة في تحديد هويـــة الغـــاز الملوث إلى أن مقـــدار الموصلية الكهربيـــة للأنبوبة يمكن أن يتناقص (أو يزداد) مع وجود أنواع مختلفة من الأبخرة الكيميائية. وتجرى الآن أبحاث مكثفة تهدف إلى تغطية الأســـطح الخارجية لأنابيب الكربون النانوية برقائق من أنواع البولمر المختلفة بحيث تُســـتخدم عند الرغبة في تحديـــد نوع معين من أنـــواع الأبخرة الكيميائية. فعلى ســـبيل المثال، عند طلاء الســـطح الخارجي للأنبوبة بطبقة من أنواع البولمر المعروف باســـم «البولي إثيلين إميني» (Polyethyleneimine) فإنها تحجب أنبوبة الكربون عن استشـــعار وجود جزيء غاز الأمونيا، بينما تمكنها من استشعار جزيء غاز ثاني أكســـيد النيتروجين. هذا بينما تعمـــل طبقة «النافيون» Nafion التي تغطـــي الأنبوبة على تمكين الأنبوبة من استشـــعار وجود جزيء غاز الأمونيا، وذلك بواسطة حجبها لجزيء غاز ثاني أكسيد النيتروجين.

والســـؤال الذي قد يُطرح الآن هو كيف نتمكن من قياس التغير الواقع في قيم الموصلية الكهربية في أنابيب الكربون النانوية عند تعرض أسطحها للارتبـــاط مع جزيء أحد الأبخرة الكيميائية؟ وللإجابة عن هذا الســـؤال نود أن نوضح أنه عند تصنيع جهاز الاستشـــعار فإنه تُوضع هذه الأنابيب بين قطبين مصنوعين من أحد الفلزات بدائرة كهربية، كما هو موضح في الشـــكل (13 - 1). وعند وجود أجهزة الاستشعار في جو خال من ملوثات الأبخـــرة الكيميائية، فإن هـــذا يعني عدم تراكـــم أي جزيئات غازية على الســـطح الخارجي لأنابيب الكربون النانوية لترتبط بها، وبالتالي تظل قيم موصليتها الكهربية ثابتة بلا تغير، ما يؤدي إلى ثبات في قيم التيار الكهربي

بالدائرة الكهربية. أما في حالة وجود جهاز الاستشعار في منطقة ملوثة بالأبخرة الكيميائية، فإن الموصلية الكهربية لهذه الأنابيب تتغير بالنقص أو بالزيادة، ما ينعكس على تغير قيم التيار بالدائرة الكهربية، والذي يكون مؤشرا إلى تلوث المنطقة بالأبخرة الكيميائية.



الشكل (13-1) : رسم تخطيطي يوضح طريقة تركيب إحدى الحساسات النانوية المؤلفة من أنابيب الكربون (أ، ج) حيث يؤدي التصاق جزيئات الغازات الملوثة للهواء بالجدران نانوية الفتحات (ب) إلى تغيير في قيم الموصلية الكهربية لها وبالتالي يمكن التعرف على نوع الغاز الملوث للبيئة الجوية. (المصدر: نُفّذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب)

الحساسات النانوية للحالة الصلبة

ينبغي أن تتمتع الحساسات، ولاسيما الحساسات النانوية المستخدمة في رصد ملوثات الهواء بقدرة عالية على تحمل التأثيرات الحرارية والكيميائية المتلفة التي تتعرض لها أثناء التشغيل. وتأتي حساسات الحالة

الصلبة النانوية Solid State Nanosensors الأكثر مواءمة في الاستخدام الميدانـــي لرصد ملوثات الهواء من الغازات، حيـــث تتفوق على غيرها من الأنواع بحساســـيتها ودقتها العالية في التأثــر بالمتغيرات التي تطرأ على البيئـــة الجوية المحيطـــة بها، خصوصا عند درجات الحـــرارة العالية [8]. وتصنّع تلك الفئة المهمة من الحساســـات بطرق تكنولوجية مبسطة وذلك عن طريق اســـتخدام طبقة حساســـة رقيقة من أكاسيد الفلزات في طلاء قطبي الحســـاس. وتعد الحبيبات النانوية للأكاسيد الفلزية لثاني أكسيد القصدير SnO_2 وأول أكسيد الزنك ZnO وثاني أكسيد التيتانيوم TiO_2 وكذلك ثالث أكســـيد التنجســـتن WO_3، والتي تحمل خواص مواد أشباه الموصـــلات [9]، أبـــرز المواد النموذجية التي تُوظف فـــي صناعة الطبقات النانوية للحساسات الخاصة بمراقبة رصد الغازات بالجو والتي تعمل في درجات حرارة تتراوح ما بين 200 و400 درجة مئوية.

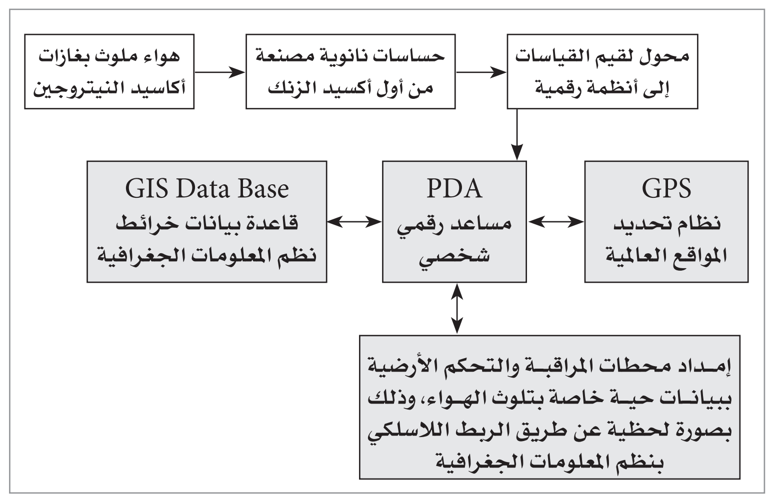
وكما هي الحال في الحساســـات المبنية على أنابيب الكربون النانوية، فـــإن ميكانيكية العمل بحساســـات الحالة الصلبة تعتمـــد على التغير في قيم المقاومة أو الموصلية الكهربية لطبقة الأكســـيد الفلزي حينما تعلق بها جزيئـــات ملوثات الهواء الجوي من الغازات. هذا وتعد حساســـات الحالة الصلبـــة النانوية المعتمدة في عملها علـــى التغير في قيم المقاومة الأفضل وذلك في حالة التشغيل بالتيار المستمر [10].

التكامل بين تكنولوجيا النانو وتكنولوجيا الاستشعار من بعد لرصد تلوث الهواء الجوي

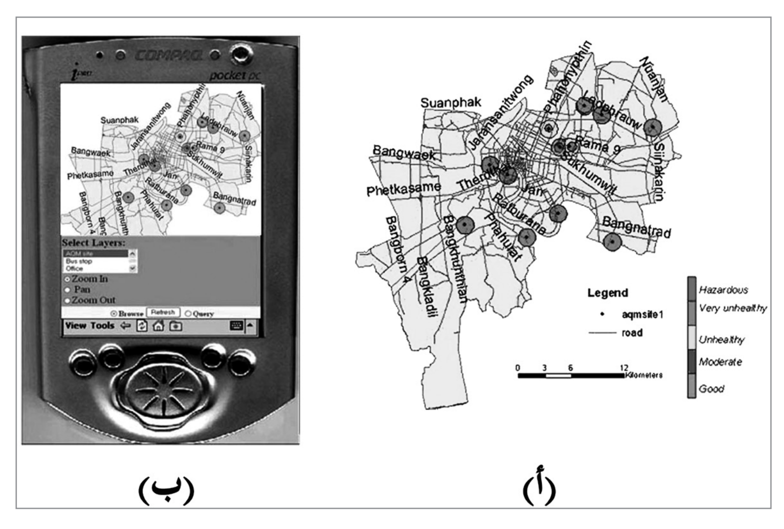
أتاحـــت تكنولوجيا النانو من خلال القياســـات الأرضيـــة التي تجرى بواســـطة اســـتخدام أجهزة قياســـات محمولة مزودة بحساســـات نانوية دقيقـــة، توفير طريقة اقتصادية لرصد مســـتويات تلـــوث الهواء ومتابعته لحظيـــا. ويتم ذلك عن طريق ربط هذه الأجهزة لاســـلكيا بنظم المعلومات الجغرافية (GIS)، Geographical Information Systems. ويتكامل هذا الجهاز المحمول، المحتوي على حساســـات نانوية، لتحقيق المتابعة اللحظية للتلوث الجوي، عن طريق ربطه بالمســـاعد الرقمي الشـــخصي Personal

Digital Assistance (PDA) بواسطة البلوتوث Bluetooth ونظام تحديد المواقع العالمي Global Positioning System (GPS)، ما يسمح بالنشر السريع للمعلومات الخاصة بمستويات التلوث في مواقع مختلفة في وقت واحد. ويلخص الشكل (13 - 2) الإطار العام لكيفية توظيف ودمج تقنيتي تكنولوجيا النانو متمثلة في الحساسات النانوية مع نظم المعلومات الجغرافية والموظفتين لاكتشاف التلوث الجوي في العاصمة التايلندية بانكوك بغازات أكاسيد النيتروجين [11].

هذا ويصور الشكل (13 - 3 «أ») خريطة لمدينة بانكوك التايلندية، التي تعد مخرجا من مخرجات التكامل بين تكنولوجيا النانو ونظم المعلومات الجغرافية، عالية الدقة موزعا عليها نسب وجود غازات أكاسيد النيتروجين في المناطق الصناعية المتاخمة للأحياء السكنية. ويبين الشكل (13 - 3 «ب») الصورة المنقولة إلى جهاز المساعد الرقمي الشخصي الموجود مع أفراد محطات المراقبة الأرضية والمرسلة من خلال الربط بشبكة نظم المعلومات الجغرافية في مدينة بانكوك التايلندية [11].



الشكل (13-2): اندماج مفاهيم تكنولوجيا النانو وتكاملها مع نظم المعلومات الجغرافية لرصد غازات أكاسيد النيتروجين عن طريق استخدام حساسات أول أكسيد الزنك النانوية. (أُعيد تصميم الشكل الموجود بمصدره الأصلي بالمرجع رقم 11)



الشكل (3-13): خريطة مبينة عليها توزيعات غازات أكاسيد النيتروجين في مناطق مدينة بانكوك في تايلند (أ). وفي الشكل (ب) صورة الخريطة الموضحة في (أ) بعد أن أرسلت لاسلكيا عبر الربط بشبكة نظم المعلومات الجغرافية في مدينة بانكوك التايلندية إلى جهاز المساعد الرقمي الشخصي الموجود مع طاقم أفراد المراقبة الأرضية.
(المصدر: نُظّم الشكل الموجود بالمصدر (11) بواسطة مؤلف هذا الكتاب)

تقييم البيئة البحرية بواسطة حساسات النانو

يمثل تقييم البيئة البحرية ورصد الملوثات البحرية ضرورة ملحة تفرض نفسها نظرا إلى ما تمثله تلك البيئة من أهمية بالغة خاصة مع ازدياد التهديدات التي تواجه البحار والمحيطات والمتمثلة في تزايد الملوثات والمخلفات الهيدروكربونية فيها. وقد أدى البحث والتطوير في مجال الحساسات إلى إنتاج أنواع متقدمة من تلك الحساسات النانوية تعرف باسم حساسات الهيدروكربون النانو الكيميائية Nanochemical Hydrocarbon Sensors [12]. وتمثل تلك الحساسات أهمية بالغة ليس فقط في مجال البيئة البحرية والمتمثلة في الكشف عن الملوثات الهيدروكربونية، والتمييز بين مختلف أنواعها بل أيضا في رصد المواد الهيدروكربونية المتسربة من آبار الغاز والبترول غير المستغلة والموجودة في قاع البحار والمحيطات والتفرقة بينها وبين الملوثات العضوية للمياه.

الحساسات النانوية لرصد وتعقب حرائق الغابات

بالإضافة إلى توظيف الحساسات النانوية في رصد ملوثات الهواء الجوي، فقد استخدمت الوكالة الوطنية للملاحة الفضائية ووكالة الفضاء الأمريكية (ناســا) NASA أنواعا متقدمة من الحساســات الحراريــة نانوية التركيب Thermal Nanosensors فــي رصــد وتعقب حرائق الغابــات التي اندلعت بولايــة كاليفورنيا الأمريكية فــي أكتوبر من العام 2007 وذلك باســتخدام تقنيــة التصوير الحراري Thermal-imaging [13]. وقد أقدمت ناســا على هــذه الخطوة المهمة بعد أن عجزت الطائرات التي أقلعت لتحلق فوق مناطق الحرائق المندلعة عن وضع خرائط دقيقة لمواقع اندلاع النيران وتعقب زحفها إلى المناطق المتاخمة، وذلك بســبب ظروف الطقس الســيئة في تلك المناطق المنكوبة التي كان لها الأثر السيئ الذي حال دون إنجاز الطائرات تلك المهمة الصعبــة. لذا فلم يكن أمام مركز الحرائق الوطنــي الأمريكي غير أن يدعو وكالة ناسا إلى استخدام مركبة جوية من دون طيار مزودة بأجهزة استشعار حــراري نانوية متقدمة للمســاعدة في تتبع ورصد تلك الحرائق المســتعرة، واضعــة بذلك التطبيق بعدا مهما للحساســات النانويــة وتحديا جديدا من ضمن التحديات التي تواجه تكنولوجيا النانو يوما من بعد يوم.

وقد استمرت المهمة لمدة ثلاثة أيام كاملة حلَّقت فيها المركبة الجوية فوق مناطق الحرائق المختلفة حيث التُقطت صور الحرائق وعولجت ورُسِــمَت خرائط لمناطق وجودها وزحفها. وقد أُرسلت هذه البيانات والخرائط إلى مراكز المراقبة والمتابعة الأرضية إرسالا حيا مباشرا فور التقاطها ومعالجتها علــى متن المركبة، مما أتاح لمتخذي القرار وفــرق مكافحة الحرائق وضع خططهم الملائمة لمكافحــة وإخماد الحرائق ومحاصرتها بهدف منعها من الامتداد إلى مناطق متاخمة.

وقــد أفاد التقرير النهائي الذي أُعد بواســطة فريق العمل الذي قاد هذه المهمة، وبالتنسيق مع العلماء والباحثين في وكالة ناسا الفضائية، في أنه بالمقارنة مع الحساسات التقليدية المستخدمة في رسم خرائط حرائق الغابات عن طريق تقنية المســح الخطي Line Scanning فإن حساســات النانو الحرارية قد وفرت دقة متناهية وحساسية فائقة في المدى الحراري

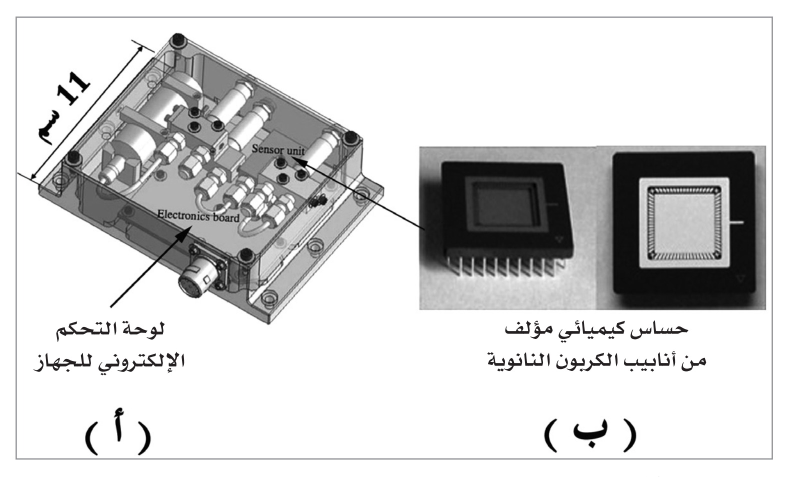
عــلاوة على قدرتها الفائقة في تعقب تلك الحرائق. وقد كان لهذا كله أبلغ الأثــر في تأدية رجال مركز الحرائق الوطنــي الأمريكي مهمتهم الصعبة. يأتي هذا بالإضافة إلــى ما وفرته تلك التقنية الحديثة من مزايا متقدمة تتمثل في القدرة على التقاط ومعالجة الصور وإرسالها إرسالا حيا، وذلك على النقيض من التقنيات الســابقة التي كانت تتطلب كثيرا من الوقت في تحليل البيانات، وبالتالي عدم القدرة على إرســال بيانات موثوق في دقتها بصورة مباشرة وحية.

حساسات النانو في خدمة رحلات الفضاء الخارجي

قامت وكالة ناســا الفضائية في ربيع العام 2007 بخطوة رائدة حيث تمكنــت لأول مرة في تاريخ البشــرية من تصنيع إحدى حساســات النانو الكيميائية واختبارها على متن إحدى المركبات الفضائية [14].

وقــد برهنت التجربة على نجاح تلك الحساســات المتقدمة في العمل في الفضاء الخارجي وقدرتها الفائقة على تعيين وتحليل المقادير الضئيلة لملوثــات الهواء في داخل المركبة الفضائية. ولا شــك فــي أن وجود هذه النســب من ملوثات الهــواء الداخلي للمركبة الفضائيــة، على الرغم من ضآلتها، قد يسبب تهديدا كبيرا لطاقم الملاحة وذلك نظرا إلى تراكم تلك الملوثات وزيادتها في المركبــة الفضائية المغلقة، خصوصا خلال الرحلات الطويلة التي قد تمتد إلى أشهر عدة.

وقــد طُوعت تكنولوجيا النانو متمثلة في تقنية النظم الكهروميكانيكية الصغرى MEMS، Micro Electro Mechanical System في تصنيع هذا الجهاز. ويوضح الشــكل (13 - 4 «أ») رسما تخطيطيا للتركيب الداخلي لجهاز الاستشــعار الذي اســتُخدم في تلك الرحلة الفضائية والمؤلف من مجموعة من الإلكترونيات ترتبط بحســاس نانوي (الشــكل 13 - 4 «أ») مثبت معها بلوحة الإلكترونيات الرئيسية بالجهاز. وقد استخدمت أنابيب الكربون النانوية في تركيب ذلك الحساس الكيميائي وذلك نظرا إلى الدقة المتناهية التي تبديها هذه المواد النانوية المتقدمة في تعيين وتحليل الكميات الضئيلة جدا من الغازات المتسربة في الهواء وتحديد أنواعها.



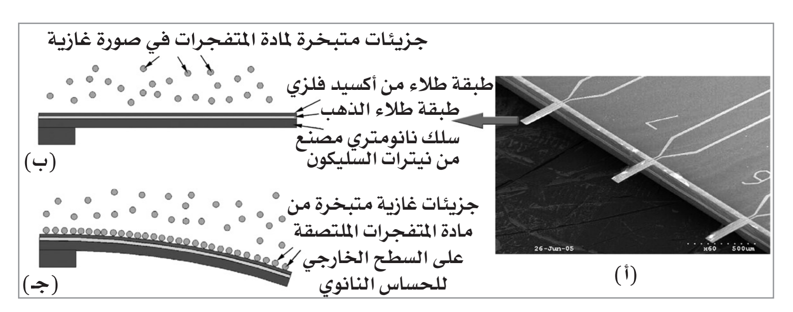
الشكل (13 - 4) : (أ) رسم تخطيطي لجهاز الاستشعار الذي حملته المركبة الفضائية التابعة لوكالة ناسا الفضائية في رحلتها في ربيع العام 2007، مبينا به وحدة الحساس الكيميائي (ب) المخصص لرصد وتعيين الملوثات الغازية للمركبة وتحليلها.
(المصدر: نُظّم الشكل الموجود في المصدر (14) بواسطة مؤلف هذا الكتاب)

حساسات النانو الكيميائية في الكشف عن الألغام والمتفجرات

انتشرت منذ ثمانينيات القرن الماضي العمليات الإرهابية المعتمدة على زرع الألغام والمتفجرات في السيارات والأماكن العامة، حيث تستخدم كشراك موقوتة لاستهداف الضحايا وحصد المدنيين الأبرياء. ونتيجة لتزايد إنتاج أنواع حديثة من تلك القنابل الموقوتة التي تتصف بخفة الوزن وصغر الحجم وارتفاع قدرتها التدميرية، وفي إطار هذا التقدم الهائل في صناعة تلك المتفجرات الفتاكة، أضحت طرق الكشف المتاحة عن تلك المتفجرات ومعرفة هويتها وتركيبها من العمليات المعقدة والمكلفة، وذلك نظرا إلى وجود طائفة واسعة من المواد التي يمكن استخدامها في صنع هذه المتفجرات.

وعلى الرغم من وجود أنواع مختلفة من الحساسات توضع في الأماكن الاستراتيجية والحيوية مثل المطارات وبعض المباني الحكومية بهدف الكشف عن هذه المتفجرات والمفرقعات، فإن كبر أحجامها وانخفاض حساسيتها علاوة على طول الفترة الزمنية التي تتطلبها لأداء مهامها، كل ذلك يجعلها قاصرة عن استيفاء الخواص التي يجب توافرها في حساسات استكشاف

المتفجـرات بشـكل مرض. هذا بالإضافـة إلى صعوبة تكثيـف توزيعها في أماكن مهمة أخرى مثل مواقف السـيارات المنتشـرة الآن في المباني والمراكز التجارية، ودور المسـرح والسينما وشبكات الصرف تحت السطحية، الطرق، الكباري والأنفاق ودور العبادة وغير ذلك من أماكن تجمع المدنيين، والتي تعد هدفـا لتلك العمليات الإرهابية. هـذا بالإضافة إلى صعوبة الربط بين تلك الحساسـات من خلال شبكة أرضية تكون قادرة على رصد واكتشاف أماكن وجود المتفجرات ونوع المادة المسـتخدمة وإرسـال تلـك البيانات لحظيا إلى مركز القيادة والتحكم من خلال ربطها بالشـبكة العنكبوتية لنظم المعلومات الجغرافية الموجود في أي دولة، مما يتيح تلقي تلك البيانات بصورة حية أولا فـأولا. ومن ثم، وفي ظل تلك الصعاب التقنيـة فقد أضحى مجال مكافحة الإرهاب المتمثل في الكشـف عن المتفجرات والقنابل الموقوتة يمثل أحد أكبر التحديات التي يواجهها عالمنا اليوم.



الشكل (13 - 5): (أ) صورة مجهرية باستخدام الميكروسكوب الماسح الإلكتروني لمجموعة من حساسات النانو الكيميائية المستخدمة في استشعار مواد المتفجرات والقنابل الموقوتة، (ب) يوضح الشكل رسما تخطيطيا لإحدى الحساسات الموضحة في الشكل (أ) مبينا عليه التركيب الهيكلي المكون من سلك نانوي على هيئة كابول Cantilever من مادة نيترات السيليكون مغطاة بطبقة نانوية من فلز الذهب النقي المغلف بطبقة نانوية رقيقة من أحد الأكاسيد الفلزية. ويوضح الشكل وجود جزيئات متبخرة للمادة المتفجرة تحيط بالحساس ما يدل على وجود شرك أو لغم متفجر في المنطقة المحيطة بالحساس، (ج) يبين هذا الشكل الانحناء الحادث في كابول الحساس فور التصاق جزيئات بخار المادة المتفجرة على سطحه التي تُمتز. ويؤدي امتزاز تلك الجزيئات الغازية للمادة المتفجرة إلى تناقص في قيمة الطاقة الحرة المسببة للإجهادات السطحية.

ومع اختلاف قيم طاقة الربط المسؤولة عن التصاق الجزيئات المتبخرة بالسطح الخارجي لكابول الحساس بين مادة وأخرى يمكن التعرف على هوية المادة المتفجرة.

(المصدر: نُظّم الشكل الموجود في المصدر (15) وإضافة الشرح والتعليق بواسطة مؤلف هذا الكتاب)

ولا شــك في أن غياب انتشــار حساسات الكشــف عن المتفجرات في الأماكــن المختلفة وفقدان القــدرة على تكثيف توزيعها فــي الأماكن التي عادة مــا تكون هدفا لتنفيذ العلميات الإرهابية يفقد أي دولة مصداقيتها وهيبتهــا في حماية جبهتها الداخلية، ما يعني تشــجيع الإرهابيين بصورة غير مباشرة في مواصلة عملياتهم الإجرامية داخل تلك الدولة. ولم تبخل تكنولوجيا النانو في توفيــر الحلول التقنية الخاصة بتقديم مصغرات من أجهزة الاستشــعار (15) خفيفة الوزن وصغيرة الحجم تنفرد بحساســيتها الفائقة في التمييز بين المواد المتفجرة وتصنيفها بدقة عالية. كما تتميز تلك الحساســات النانوية بانخفاض تكلفتها الصناعية ما يتيح إنتاجها بطريقة اقتصاديــة. وترتكز فكرة عمــل تلك الحساســات الكيميائية على تصيد جزيئات المواد العضوية المســتخدمة في صناعــة المفرقعات، وذلك نظرا إلى أن تلك المواد تكون ذات درجات حرارة غليان منخفضة، ما يعني تبخر نســب ضئيلة من جزيئاتها عند درجة حرارة الغرفة ما يتيح للحساســات الكيميائية تصيد تلك الجزيئات وتحليلها وإرسال إشارات لاسلكية لشبكة نظم المعلومات الجغرافية GIS التي ترســلها إلى الأجهزة المحمولة لنظام تحديد المواقع العالمــي GPS لدى فرق المتابعة والمراقبة الأرضية. وتُصدر هذه البيانات والمعلومات وفقا للإحداثيات الثلاثية الخاصة بكل حســاس، ومن ثم يمكن تحديد موقع وجود اللغم أو الشــرك بسهولة ودقة والتدخل الفوري لإبطاله.



14

النانو بين مؤيد ومعارض

«إن الخطـر الحقيقـي الذي يمكـن أن نتأثـر بـه كـدول ناميـة مـن جـراء تطبيقات تكنولوجيا النانـو هو التخلف عـن ركبها، كما حدث سـابقا في التكنولوجيـا الأخرى التي تخلفنا عن اللحاق بها»

المؤلف

بعـد أن اسـتعرضنا ماهيـة تكنولوجيا النانو والتعرف علـى تطبيقاتها الرائدة في المجـالات المختلفة، أصبح مـن المنطقي أن نتعرف على حجم الاستثمار الحالي والمتوقع في هـذه التكنولوجيا المتقدمة. وعلى الرغم من صعوبـة تحديد المجـالات القائمة على تكنولوجيـا النانو والتي سـوف يكـون لها التأثير الأكبر في الاقتصاد العالمي، فإنه من المرجح أن تهيمن تكنولوجيا النانو بتطبيقاتها المتعـددة علـى الاقتصـاد العالمـي خلال السـنوات العشـر القادمة من هذا القرن. ووفقـا للدراسـات التي أجرتها المؤسسـة الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة الأمريكية National Science Foundation (NSF)، فإن حجم الاسـتثمار القائم على تكنولوجيا النانو سوف يصل إلى تريليون دولار أمريكي

بعد خمس سنوات من الآن، أي في بداية العام 2015، هذا بينما تتوقع الدراسات اليابانية أنه سوف يتخطى هذا الرقم بكثير، حيث ترجح أن يصل إلى نحو 3.5 تريليون دولار في السنة نفسها! وعموما، وبغض النظر عن مدى صحة تلك الأرقام، فإن مجال تكنولوجيا النانو قد استقطب عددا كبيرا من الشركات الصناعية الكُبرى في العالم، اللاهثة وراء تحقيق مكاسب اقتصادية ضخمة لاستعادة أوضاعها المالية وتثبيت نفوذها في بورصات الأوراق المالية، التي أصابها الخمول والتردي نتيجة الكساد والركود اللذين خيما على عالمنا منذ فترة. وفي ضوء كل الدراسات الاقتصادية التي أجرتها كثير من الهيئات البحثية، الصناعية، وحكومات الدول الصناعية الكبرى، فإنه من المنتظر أن يمثل اقتصاد تكنولوجيا النانو قوة هائلة تفوق في حجم استثماراتها مجموع حجم الاستثمارات العالمية في كل الصناعات مجتمعة.

تكنولوجيا النانو وآثارها في المجتمع

كان من الطبيعي أن يؤدي انفراد نجم تكنولوجيا النانو بالسطوع في سماء العلم والتكنولوجيا، وحرص زعماء دول العالم في الحفاظ على بريقه ولمعانه بضخهم مخصصات مالية كبيرة لإدارة وتعزيز البرامج البحثية النانوية، إلى جذب فئات مختلفة ومتناقضة من البشر إلى فلكه، من جميع الاتجاهات والميول والثقافات والتخصصات. فلقد جذب نجم تكنولوجيا النانو إليه كثيرا من المناصرين والمؤيدين من أبناء التخصص، الذين بحدسهم العلمي المتميز وسنوات خبرتهم الطويلة، يرون أن تلك التكنولوجيا تمثل الملاذ الأخير للبشرية في الخلاص من همومها ومشاكلها التي عجزت التكنولوجيات الأخرى عن إيجاد حلول عملية لها. وقد ساءت البعض من خارج التخصص رؤية هذا النجم وهو يستأثر بهذا القدر الضخم من الاهتمام الحكومي والشعبي والإعلامي في كل دول العالم. لذا، فقد صُورَ لهم قرب أفول تخصصاتهم المهمة، وهم بهذا التصور لم يدركوا طبيعة تكنولوجيا النانو المبنية على التعاون والمشاركة البحثية. وقد تبنى فريق منهم حركة لمناهضة تطبيقات تكنولوجيا النانو ومكافحة توظيفها في المجالات المختلفة، محاولين برجمهم لها بسمات وصفات غريبة عليها وعلى فلسفتها، أن يثيروا سخط واستياء رجل الشارع، وأن يكسبوا تأييده، خاصة بعد

أن نسبوا إليها بعدا غير أخلاقي، لم تكن تهدف إليه على الإطلاق. وقد تفرع عن هذا الفريق، جماعة رأت أن تجني مكاسب شخصية عن طريق اقتحامها لهذا المجال، مدعية أحقيتها وأهليتها في ذلك! وبين شد وجذب، ومبدع ومتسلق، وعالم ومبتدئ، وصانع ومستهلك، مضت سفينة النانو، ببحاريها المتخصصين، تصول وتجول في بحار ومحيطات التطبيقات المختلفة.

• دروس مُستفادة من التكنولوجيا الحيوية

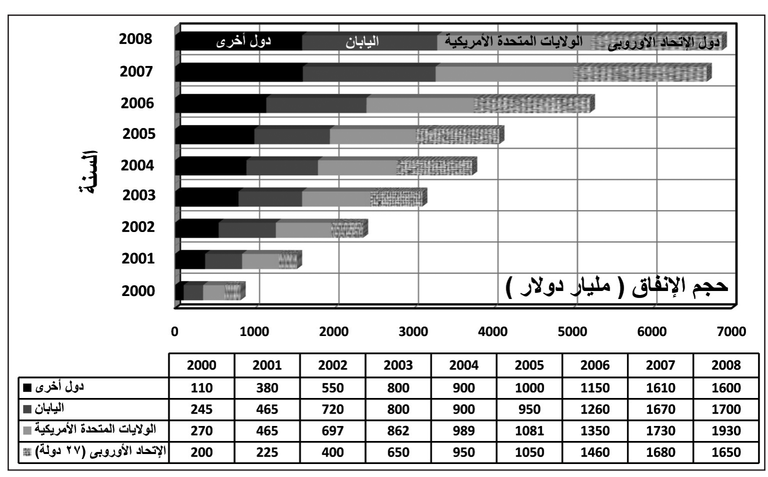
تتعرض تكنولوجيا النانو، ومنذ فترة، لعاصفة من الانتقادات والاتهامات، تذكرنا بما تعرضت له التكنولوجيا الحيوية - البيوتكنولوجي - من جدل حين أظهرت مقدرتها الفائقة على التلاعب في ترتيب جينات الحمض النووي، وإنتاج محاصيل زراعية متميزة، عن طريق تقنية التعديل الجيني الوراثي. ومثلت الاعتراضات في تلك الفترة تخوفا من أن تنتهج التكنولوجيا الحيوية مستقبلا، المنهج نفسه، أو تسير على الخط البحثي عينه بتعديل جينات الحمض النووي في الإنسان والكائنات الحية الأخرى.

وقد أثارت مثل هذه الشكوك بتلك الحقبة السابقة، حفيظة رجال الدين من الديانات المختلفة ومن المذاهب كافة، فأمطروها - أي التكنولوجيا الحيوية - بوابل من الاتهامات، وألصقوا بها كثيرا من الإدانات والانتقادات الدينية العنيفة، وكأن عجلة التاريخ تعود بنفسها إلى عصور أوروبا المظلمة إبان القرون الوسطى.

لذا، فقد واجهت التكنولوجيا الحيوية عقبات ضخمة، تمثلت في انقسام المجتمع المدني تجاهها، ما بين رفض وقبول، الأمر الذي أدى بالمنظمات الدولية وحكومات الدول المعنية - المُنتجة أو المستهلكة - والعلماء المتخصصين، وأفراد المجتمعات المدنية في كل أرجاء العالم، لأن يجتمعوا ويتناقشوا في اجتماعات مطولة، من أجل وضع المعايير الدولية والأطر البحثية الملزمة، من خلال سن مجموعة من القوانين الأخلاقية الصارمة، وذلك لضمان عدم جموح إبداعات علماء التخصص إلى آفاق بحثية أخرى. ويرى كثيرون أن تلك المناقشات الجدلية، قد حرمت البشرية لعهد طويل من جني ثمار التكنولوجيا الحيوية، وكبحت جماح الإبداعات العلمية للباحثين، الرامية إلى تحسين صحة الإنسان من خلال تعظيم موارد غذائه وتطويرها.

الإنفاق الدولي على أنشطة النانو البحثية

لم يأت تصدر الدول المهتمة بمجال تكنولوجيا النانو، والتي وصل عددها اليوم إلى 52 دولــة، لقائمة العالم في المعرفة «النانو تكنولوجية» من فراغ. فقـد تنبهت تلــك الدول منذ محاضــرة فينمان في العــام 1956، لأهمية الدور الحيوي المهم الذي سوف تؤديه تلك التكنولوجيا خلال القرن الحادي والعشرين، وســوف تتحكم في مجرياته وآلياته تلك المواد الدقيقة المتناهية الصغر. لذا، فقد كان لزاما عليها أن تنفق بسخاء على برامج ومراكز التميز لعلــم وتكنولوجيا النانو. ويبين الشــكل (14 - 1) حجم الإنفاق العالمي في دعــم البرامج البحثية الخاصة بتكنولوجيا النانو، والذي وصل خلال الفترة ما بين العامين 2000 و2008، إلى نحو خمسة وثلاثين مليار دولار [(1-5)].



	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008
دول أخرى	110	380	550	800	900	1000	1150	1610	1600
اليابان	245	465	720	800	900	950	1260	1670	1700
الولايات المتحدة الأمريكية	270	465	697	862	989	1081	1350	1730	1930
الإتحاد الأوروبى (٢٧ دولة)	200	225	400	650	950	1050	1460	1680	1650

الشكل (14 - 1): حجم الإنفاق العالمي المخصص لتأسيس برامج ومراكز تميز لعلوم وتكنولوجيا النانو، موزعا على الدول الأكثر إنفاقا، خلال الفترة ما بين العامين 2000 و 2008. (الشكل تم تنفيذه بواسطة المؤلف اعتمادا على البيانات الإحصائية المُستقاة من المراجع 1 - 5).

● النشر العلمي

تتربع تكنولوجيا النانو على قائمة الاهتمامات العلمية والبحثية في جميع دول العالم، حيث قامت 52 دولة خلال الســنوات التسع المنصرمة (2000 - 2009) بتأســيس برامج ووحدات بحثية وأكاديمية، معاهد بحوث ومراكز تميــز، وصل عددها مع نهاية العام 2009 إلى 24468. هذا على الرغم من

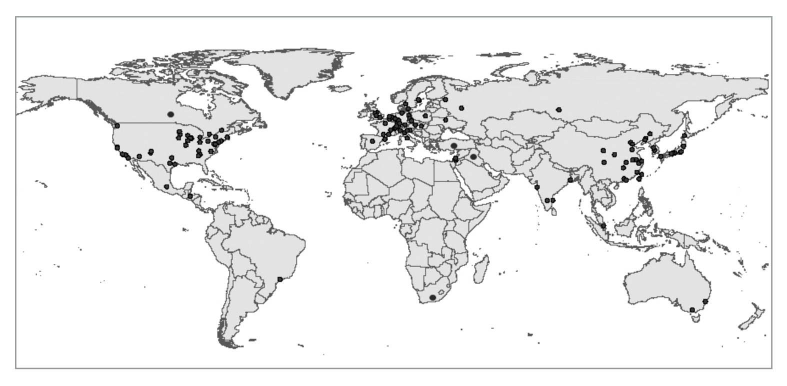
أن عدد الدول المشـــاركة في النشـــر العلمي بالدوريات المتخصصة قد وصل في العام نفســـه إلى 156 دولة، من مجموع الـــدول الأعضاء بالأمم المتحدة وعددها 192 دولة. ومنذ دخول البشـــرية ألفيتهـــا الثالثة وحتى يومنا هذا، تتنافس دور النشـــر العالمية في إصدار دوريـــات جديدة متخصصة في علم وتكنولوجيا النانو، تســـتقطب بها العلماء والباحثين العاملين في هذا المجال مـــن كل أنحاء العالم. هذا بالإضافة إلى ما يشـــهده العالم اليوم من ســـباق بشـــأن تنظيم مؤتمرات دوليـــة، وندوات وورش عمل عـــن تكنولوجيا النانو، بما يقـــرب من ندوة أو مؤتمر يُنظم يوميا! هذا، وقد بلغ عدد تلك الدوريات العلمية والمحافل الدولية حتى ديسمبر 2009 نحو 4175 (6-8). وفي خلال تلك الفترة، نُشر نحو 193475 ورقة بحثية من مختلف أرجاء العالم.

وفـــي إطار ما أُتيح لي من معلومات خاصة بالنشـــر العلمي العالمي في مجـــال علم وتكنولوجيا النانو خـــلال تلك الفتـــرة (8)، يمكننا ترتيب تلك الأبحاث المنشورة وفقا لما حظيت به من اهتمام وتنافس بحثي على مستوى العالم، كما هو مبين في الجدول (14 - 1).

الجدول (14 - 1): ترتيب المجالات التطبيقية لتكنولوجيا النانو وفقا لكثافة النشر العلمي بالدوريات العالمية المتخصصة خلال الفترة ما بين العامين 2000 و2009.
(تم تصنيف المجالات وترتيبها وفقا للبيانات المُستقاة من المراجع 6 - 8).

المجال البحثي	الترتيب	المجال البحثي	الترتيب
الإلكترونيات النانوية	الأول	العمليات الفيزيائية الخاصة بالنانو	السادس
تطبيقات النانو في مجال الطب، اكتشاف الأمراض والأدوية	الثاني	تطبيقات النانو في مجال البصريات	السابع
التصنيع الجزيئي والتجميع الذاتي	الثالث	تطبيقات النانو في مجال التكنولوجيا الحيوية	الثامن
تطبيقات النانو في مجال الطاقة الجديدة والمتجددة	الرابع	تطبيقات النانو في صناعة المُحفزات الكيميائية	التاسع
تصنيع مواد الطلاء نانوية السمك	الخامس	اكتشافات تقنيات جديدة خاصة بإنتاج وتوصيف المواد النانوية	العاشر

وفي ضوء المعلومات نفسها المُستقاة من المراجع السابق ذكرها، رأيت تصميم شكل مبسط يعرض خريطة العالم، مُبينا عليها أكثر الدول اهتماما بالأنشطة البحثية والتكنولوجية المُتعلقة بمجال تكنولوجيا النانو، وذلك خلال نفس الفترة الزمنية السابق التحدث عنها (2000 – 2008). وقد أشرنا إلى تلك الدول في الشكل (14 – 4)، وفقا لحصيلتها من النشر العلمي في الموضوعات العلمية والتقنية المتعلقة بالنانو، التي زادت على 1000 ورقة بحثية منشورة بالدوريات العالمية خلال الفترة المذكورة سلفا.



الشكل (14 – 2): خريطة العالم مبينا عليها الدول الأكثر مساهمة في مجال البحث العلمي ونشر الأوراق البحثية بالدوريات العلمية العالمية المتخصصة، خلال الفترة مابين العامين 2000 و 2008 (تعتمد البيانات الموضحة بالشكل، على ما أُتيح للمؤلف من معلومات مُستقاة من المراجع 6 – 8).

اقتصاد النانو

كما ذكرنا سلفا، فرضت تكنولوجيا النانو نفسها وبقوة على المجتمع العلمي والمدني على حد سواء، وذلك لأنها التكنولوجيا الوحيدة القادرة على دمج العلوم الأساسية، وكثير من التقنيات التكنولوجية المتقدمة وصهرها في بوتقة واحدة. وقد أدى تطبيق تقنيات تكنولوجيا النانو بالقطاعات الصناعية المختلفة إلى تطوير في مفهوم وفلسفة الإنتاج والتصنيع، مما انعكس بالإيجاب على خصال وصفات المُنتَجات والسلع، الأمر الذي أدى إلى ابتكار تطبيقات حديثة لم تكن معروفة من قبل. ولم يكن غريبا أن تحظى تكنولوجيا النانو بهذا الاهتمام المتزايد من قبل متخذي القرار

في حكومات الدول الصناعية الكبرى ومؤسساتها الإنتاجية والبحثية بعد أن ظلـت طويلا ترتبط بأفلام الخيال العلمي التي نُسـجت عنها كثير من الروايات الأسطورية والمعجزات الخيالية طوال العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي.

وقد استخدمت هنا مصطلح «اقتصاد النانو»، للتعبير عن كل الأنشطة التجارية المتعلقة بمُخرجات تكنولوجيا النانو، من إنتاج وبيع أو شراء للسلع والمنتجات النانوية Nano-products. ومما لا شك فيه، أن المُنتجات والسلع النانوية أضحت هدفا اسـتثماريا كبيرا للشركات الصناعية والتجارية في تحقيق نسب هائلة من الأرباح، في سوق عالمية تعاني من الكساد. وأصبح الآن، كل مُنتـج يرتبط اسـمه بكلمـة «نانو Nan»، أو تعتمـد تكنولوجيا تصنيعه عليها، محط أنظار المسـتهلكين مـن كل أنحاء العالم، حيث يلقى رواجا تجاريا منقطع النظير من قبل المستهلك العادي.

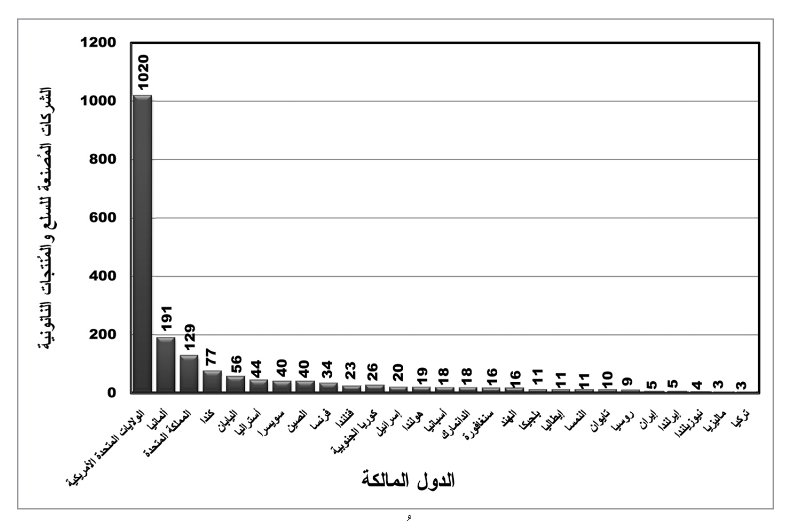
● الاستثمار في تكنولوجيا النانو

دخلت الدول الصناعية وشركاتها منذ مطلع هذا القرن، في منافسات شرسـة حامية الوطيس، تهدف إلى زعامة الأنشـطة البحثية والتطبيقية لتكنولوجيـا النانو، واحتكار مخرجاتها المتقدمـة وذلك عن طريق براءات الاختـراع وقوانـين الملكية الفكريـة الصارمة. ويُخطئ مـن يظن أن هذا الاهتمام قد تولد من منطلق مسـايرة «الوجاهة» أو «الترف البحثي»، لكنه جاء تأكيدا وترسيخا لنظم ومفاهيم اجتماعية جديدة، وخلق مصادر مؤكدة للاستثمار المبني على العلم والتكنولوجيا وليس على تراكم رؤوس الأموال. وقد برهنـت الكبوة الاقتصاديـة التي أطلت بوجهها القبيـح على العالم بأسـره، بعد ظهيـرة يوم تعيس من أيام خريف العام 2008، على فشـل ثقافة الاسـتثمار المبني على المضاربة برؤوس الأموال في تحقيق مكاسب سريعة [9]. كما أكدت تبعيات تلك الكبوة الاقتصادية المريرة، أهمية الدور الـذي تؤديه العلـوم والتكنولوجيا في بناء اقتصاد قـوي ثابت، مبني على المعرفـة التكنولوجية، والتـي تعد «تكنولوجيا النانو» المعول الرئيسـي له، وأداته الاستراتيجية لتشييد صرحه.

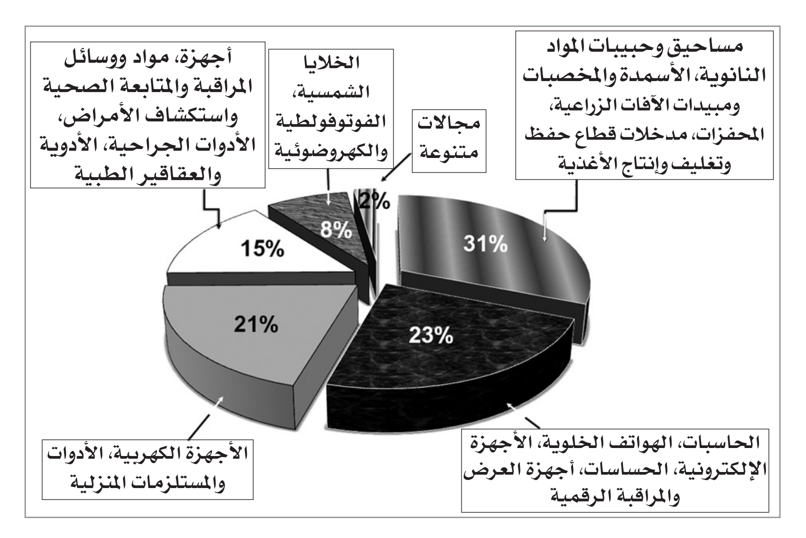
• منتجات النانو بالأسواق

وتمارس اليوم تكنولوجيا النانو، دورا رياديا مهما في إنعاش سوق التجارة العالمي، من خلال طرحها لسلعها ومنتجاتها التي يزداد وجودها في الأسواق يوما بعد يوم، بعد أن غزت كل مجالات الإنتاج. وقد كان لذلك أبلغ الأثر في أن ترتبط المُنتجات النانوية بمعاني الإبداع والانفراد، وأن تحمل في طياتها صفات الجودة والتميز. من منا لم يلاحظ هذا الرواج التجاري الضخم والمتزايد، الذي تحققه مبيعات الأجهزة المحمولة، مثل أجهزة الحواسب، الهواتف المحمولة، وأجهزة تسجيل وتشغيل الموسيقى، الأغاني والأفلام، القادرة على تخزين كم هائل من تلك الملفات في أحجام صغيرة جدا؟

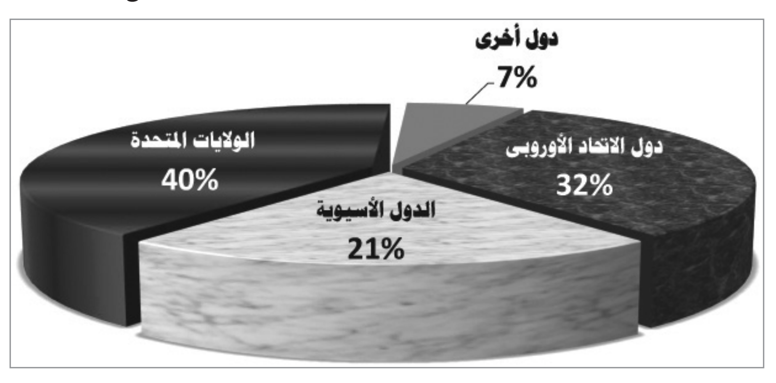
وتقوم اليوم أكثر من 1860 شركة تنتمي لسبع وعشرين دولة من دول العالم (الشكل 14 - 3) بإنتاج سلع ومنتجات نانوية مختلفة، بلغ حجم مبيعاتها في العام 2007 نحو 146 مليار دولار [10]. ويبين الشكل (14 - 4) النسب المئوية لمبيعات الفئات المختلفة من المنتجات النانوية العام 2008 [11]، موزعة وفق المجالات التطبيقية لكل فئة. هذا بينما، يوضح الشكل (14 - 5) النسب المئوية لحصص الدول المُنتجة من تلك المبيعات.



الشكل (14 - 3): توزيع الشركات المُنتجة للسلع النانوية على الدول السبع والعشرين الرئيسية في العالم، المالكة لتلك الشركات. (الشكل تم تنفيذه بواسطة المؤلف اعتمادا على البيانات الإحصائية المُستقاة من المرجع 10).



الشكل (14 - 4): النسب المئوية لمبيعات الفئات المختلفة من المنتجات النانوية التي سُوقت في العام 2008، موزعة وفق المجالات التطبيقية لكل فئة. (الشكل تم تنفيذه بواسطة المؤلف اعتمادا على البيانات الإحصائية المُستقاة من المرجع 11).



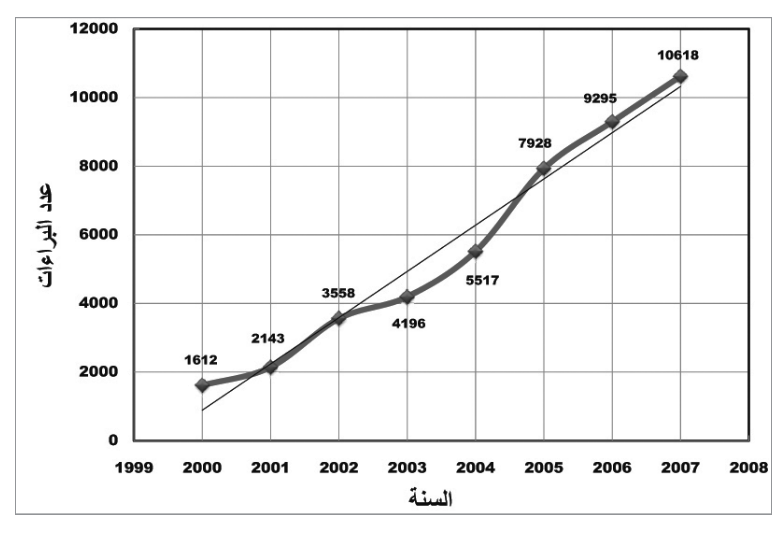
الشكل (14 - 5): النسب المئوية لمبيعات الفئات المختلفة من المنتجات النانوية التي تم تسويقها في العام 2008، موزعة وفق المجالات التطبيقية لكل فئة. (الشكل تم تنفيذه بواسطة المؤلف اعتمادا على البيانات الإحصائية المُستقاة من المرجع 11).

• براءات الاختراع لحماية منتجات النانو

كان من البديهي وسط هذا التنافس العالمي الكبير الخاص بإنتاج السلع والمنتجات النانوية، وابتكار أساليب جديدة في الإنتاج والتوصيف، أن تقوم الجامعات والمعاهدالبحثية، إلى جانب شركات

الإنتـــاج، علـــى حماية مبتكراتهـــا التكنولوجية، وأن تحتكر لنفســـها التفاصيل التقنيـــة الدقيقة المتعلقة بعمليات الإنتاج والتصنيع، وذلك عـــن طريق براءات الاختراع. وقد وصل عـــدد براءات الاختراع التي حصلت عليهـــا تلك الجهات فـــي المواضيع المتعلقة بالمـــواد النانوية والتكنولوجيـــا القائمة عليهـــا، خلال الفترة ما بـــين العامين 2000 و2007، إلى 44867 براءة [(12-15)].

ويبين الشكل (14 – 6) العدد الإجمالي لبراءات الاختراع الممنوحة في مواضيع متعلقـــة بتكنولوجيا وتطبيقات النانو خلال الفترة ما بين العامين 2000 و2007، موزعة على كل ســـنة من سنوات تلك الفترة. ويمكننا من هذا الشـــكل، حســـاب متوســـط معدل النمو السنوي في أعـــداد تلك البراءات في هذه الفترة المذكـــورة، والذي وصل إلى نحو 18 فـــي المائة، مما يعكس نموا مطردا في حجـــم قطاع الإنتاج «النانو تكنولوجـــي»، وازدياد حجم المنتجات النانويـــة القائمة التي تُضخ إلى الأسواق سنويا [(16)].



الشكل (14 – 6): عدد براءات الاختراع الخاصة بتكنولوجيا النانو موزعة على سنوات الفتـرة مـا بـين العامين 2000 و 2007 (الشـكل تم تنفيذه بواسـطة المؤلـف اعتمادا على البيانات الإحصائية المُستقاة من المراجع 12 – 15).

المكاسب العائدة على المجتمع المدني

في إطــار التطبيقات الرائــدة لتكنولوجيا النانــو، ومنتجاتها الفريدة والمتميزة، والتي عرضناها سلفا، فإن دول العالم بأسره، سوف يتحقق لها كثير من المكاسب المختلفة، يمكن إيجازها في النقاط التالية:

- **مجال البيئة**

– معالجة التربة والمياه الجوفية الملوثة.

– تخفيض معدلات استهلاك المواد الخام، من خلال إدخال التحسينات في الصناعات التحويلية القائمة على تكنولوجيا النانو.

– تخفيض مســتويات تركيز الغازات الملوثة للجو، من خلال الاســتفادة الفعلية من الطاقة الشمسية عن طريق تطبيق الخلايا الفوتوفولطية.

- **مجال الطب والرعاية الصحية**

– زيــادة كفاءة ومصداقية التشــخيص الطبي والكشــف المبكر عن الأورام والأمراض.

– تحسين فاعلية الدواء والعقاقير الطبية.

– مكافحة السرطان والأوبئة والأمراض المستوطنة.

– تطوير وزيادة كفاءة العمليات الجراحية.

- **مياه الشرب**

– توفيــر مصادر آمنه لمياه الشــرب، عن طريق معالجــة وتحلية المياه المالحة بواسطة تقنيات النانو.

– رفــع كفاءة تقنيــات تدوير المياه، والحصول علــى ماء نظيف صالح للاستخدام الآدمي.

- **موارد الغذاء**

– رفــع كفاءة التربة الزراعية، واســتصلاح الأراضي الصحراوية، عن طريق استخدام المخصبات النانوية.

- التحكم في ملوحة التربة، ومعالجة الملوثات البيئية الموجودة بها.
- رفع القيمة الغذائية لمنتجات الأطعمة، وإضافة التحسينات.

هل للنانو وجه آخر؟

نظرا إلى أن تقنيات تكنولوجيا النانو تقوم في الأساس على التلاعب بذرات وجزيئات المادة، فقد أثار ذلك حفيظة الكثيرين، الذين قد رأوا أن التاريخ يعود أدراجه مرة أخرى إلى الوراء، حين بزغ فجر التكنولوجيا الحيوية. وقد زادت الأمور صعوبة، في خلال السنوات الخمس الأخيرة، حين تعانقت تقنيات تكنولوجيا النانو مع تقنيات التكنولوجيا الحيوية تحت مظلة «تكنولوجيا النانو الحيوية». فقد كان لهذا التداخل بين التكنولوجيتين آثار سلبية لدى البعض، لذا فقد رأوا الاستفادة من الدروس الماضية الخاصة بالتكنولوجيا الحيوية، خاصة أن تكنولوجيا النانو تمتلك تقنيات متعددة، أوسع بكثير من تلك التقنيات التي تمتلكها التكنولوجيا الحيوية. وهذا يعني - بالنسبة إليهم - زيادة اتساع رقعة الخطورة الأخلاقية المرتبطة بتكنولوجيا النانو، مما يفرض دق ناقوس الخطر، وحتمية التدخل السريع.

ولا شك في أن لكل تكنولوجيا جديدة وجهين: وجها «ناصعا» يتمثل في مجموعة الفوائد والمكاسب التي يمكن أن تعود علينا من جراء تطبيقاتها، ووجها «معتما» يمثل مجموعة من التحديات والمخاطر التي قد تحدث عند التطبيق الفعلي لها. ولعل تكنولوجيا إنتاج الوقود النووي واستخدامات الطاقة النووية السلمية، خير مثال يمكن استخدامه للدلالة على ذلك.

وبالطبع ليس من المنطقي تطبيق القوانين نفسها والأطر المُلزمة الخاصة بالتقنيات والتكنولوجيات الماضية، ونقلها جملة وتفصيلا إلى التكنولوجيات اللاحقة، فلكل تكنولوجيا هويتها، وطبيعتها ومخاطرها الخاصة بها.

وقد تبنت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو UNESCO United Nations Educational ،Scientific and Cultural Organization) من خلال لجنة منبثقة عنها، تضم 36 خبيرا من

جميع التخصصات - أتشــرف بالمشــاركة في أعمالها - أطلق عليها اسم الكومســت «اللجنة العالمية لأخلاقيات المعارف العلمية والتكنولوجية The World Commission on the Ethics of Scientific Knowledge and Technology, (COMEST) عقد سلسلة من اللقاءات الدولية، في مناطق وأقاليــم مختلفة من العالم، كان آخرها في دولــة قطر من العام الماضي، وذلك لمناقشة أبعاد المخاطر والقضايا الأخلاقية المحتمل حدوثها من جراء التطبيقات التكنولوجية للمواد النانوية، وكيفية التصدى لآثارها، من خلال أُطُر وقوانين ملزمة.

وقد تميزت أعمال هذه اللجنة بالحيادية، والموضوعية والشــفافية، المتمثلة في تسمية تلك المخاطر وتحديدها، مع مناقشة أبعادها وآثارها فــي المجتمع. وقد عقدت جلســات على هامش الــدورة العادية الثالثة لاجتماعات «الكومســت» التي انعقدت في ديســمبر مــن العام 2003، في مدينة «ريــو دي جانيرو» بالبرازيل، وكذلك خلال اجتماعات الدورة العادية الرابعة للجنة نفســها، التي انعقدت في مارس من العام 2005 فــي مدينة «بانكوك» في تايلاند، لمناقشــة ضرورة تشــكيل فريق عمل خاص ينبثق عن اللجنة، وتُخول له صلاحية مناقشة أبعاد الآثار السلبية والمخاطر المُتعلقة بتطبيقات تكنولوجيــا النانو، مع تكليفه بمهمة إعداد «مسودة وثيقة توجيهية»، تُعد الإطار العام الملزم للدول الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة. وعقدت اللجنة بعد ذلك دورة استثنائية في مدينة باريس بفرنسا، خلال شــهر يونيو من العام 2006 وذلك لمناقشة تلك الوثيقة، حيث صيغت على الشــكل النهائي، بإضافة بعــض التعديلات وإضافة توصيات إليها.

• مخاطر النانو بين الهاجس والحقيقة

صاحبت مواد وتكنولوجيا النانو منذ منتصف العقد الأول من هذا القرن مجموعة من الهواجس، تتعلق بالمخاطر المُحتملة والآثار السلبية المترتبة على تطبيقاتهــا في المجالات المختلفة. ولعل من أبرز تلك المخاطر التي يمكن أن توصم بها مواد وتطبيقات تكنولوجيا النانو تلك المتعلقة بالقضايا التالية:

- قضايا أخلاقية.
- قضايا اجتماعية.
- قضايا اقتصادية.
- قضايا بيئية.
- قضايا متعلقة بسُمية Toxicology المواد النانوية.

ويـزداد الموقف تعقيدا وغموضا، نظرا إلى ما تتسـم به المواد النانوية وتكنولوجيتهـا بخواص تنفـرد بها، الأمر الذي يثيـر مجموعة أخرى من الهواجس لدى كثيرين، والتي من بينها:

- هواجس متعلقة بالطبيعة غير المرئيـة للمواد النانوية المُخلّقة معمليا، وعدم القدرة على متابعتها في أثناء التشغيل بالعين المُجردة. وهذا يثير احتمال فشل أي محاولة للسيطرة عليها وإبطال فاعليتها إذا ما احتاج الأمر إلى ذلك. وقد رأى البعض أن يربط بينها وبين طبيعة التفاعلات التسلسلية الانشطارية بالمفاعلات النووية، التي يصعب إيقافها، إلا من خلال استخدام تقنيات خاصة.
- ارتفـاع المعدلات الإنتاجية للمواد النانوية، وظهور عائلات جديدة منها بصورة شـبه يومية. وهذا يمثل عند البعض خطورة نابعة من هاجس عدم ضمان أهلية تلك المواد الناشئة للاستخدمات الآمنة.
- هواجـس تتعلق بهذا التعتيم الكامل الذي تفرضة الدول المُنتجة للمواد النانوية التي تُسـتخدم في الأغراض والتطبيقات العسكرية، وصناعة أسلحة الدمار الشامل.
- هواجس أمنية تولدت عند حكومات الدول التي لم تشـارك بعد في وضع خطط وبرامج بحثية وتطبيقية لتكنولوجيا النانو. ولتلك الدول كل الحق في أن تشـعر بهذا القلق، خاصة وهي تشـعر بالندم على عدم مشـاركتها في النشـاط النووي العالمي في مهده، في منتصف القرن الماضي.
- هواجـس تتعلق بالمسـتقبل العلمي والاقتصادي الـذي تنتظره الدول المتخلفة عن ركـب تقنيات النانو التكنولوجية، وزيـادة احتمال تعميق الفجوة التكنولوجية بينها وبين رواد سفينة تكنولوجيا النانو وبحاريها.

تكنولوجيا النانو والعالم النامي

أدت النتائج الواعدة والمشجعة لتطبيقات تكنولوجيا النانو في المجالات الحياتية التي تمس القضايا المتعلقة بالبيئة، الغذاء، الدواء، والطب والرعاية الصحية إلى أن يضعها البرنامج الإنمائي للألفية الثالثة التابع لهيئة الأمم المتحـــدة United Nations Millennium Development Goals MDGs فـــي تقريره للعـــام 2005 كتقنية أولى ومعول أساســـي لتحقيق الأهداف الإنمائيـــة للألفية الثالثة الخاصة بالتنميـــة والتعمير والتخفيف من حدة المشـــاكل الناجمة عن الفقر والمرض، ولم يقتصر «المد النانوي» على الدول المتقدمـــة تكنولوجيا فقط، بل امتد ليصل إلى العالم كله، من غني وفقير، وبدأت تلك التكنولوجيا الواعدة تنال كثيرا من الاهتمام من قبل عديد من دول العالم النامي، مثل الصين، كوريا الجنوبية، الهند، إسرائيل، البرازيل، الأرجنتـــين، إيران، تركيا، تايوان، جنوب أفريقيا، ســـنغافورة، المكســـيك، إندونيسيا، ماليزيا، وعدد آخر تجاوز الثلاثين دولة. ومن الجدير بالإشارة، أن الصناعـــات القائمة على الثورات التكنولوجية التي ســـبقت ثورة النانو مثل صناعة الحديد والصلب، الصناعات المرتبطة بقطاع السكك الحديد، الغزل والنســـيج، صناعة الســـيارات، صناعة الأجهزة والمعدات الكهربية والإلكترونيـــة، تحتاج دائما إلـــى بنية تحتية صلبة هائلـــة، وتوافر رؤوس أمـــوال ضخمة تعجز دولنـــا النامية عن توفيرها. هـــذا بالإضافة إلى أن تلـــك الصناعات قـــد احتكرت بالفعل من قبل الـــدول الصناعية الكبرى، أو مـــن بعض الـــدول النامية التي في طريقها للتحـــول إلى مصاف الدول العظمى، مما يُصعّب من مهمة الدول الناشـــئة في المنافســـة وإيجاد سوق عالمي لتسويق منتجاتها.

وقد وجـــدت دولنا النامية في هذه التكنولوجيا، الســـبيل من أجل حل كثير من مشاكلها المتعلقة بمجالات الصحة، البيئة، المياه والطاقة، تلك المشاكل التي عجزت عن إيجاد حلول لها المواد والطرق التقليدية. ومن المؤكد أن تؤدي تطبيقات النانو إلى المســـاهمة الفعالة في القضاء على ظاهـــرة البطالة بين الخريجين الجـــدد، وتوفير فرص عمل في المشروعات البحثية والإنتاجية القائمة على تطبيقاتها المتقدمة.

هـــذا، وتتفوق تكنولوجيا النانـــو في كونها التكنولوجيـــا الوحيدة ذات الوظائـــف والاســـتخدامات المتعددة، حيث يمكن توظيـــف منتج واحد من منتجاتهـــا النانوية في أكثر من مجال تطبيقي. وبطبيعة الحال، يؤدي هذا إلـــى تخفيض تكلفة الإنتاج. لذا، فمن المرجح أن تضاعف تكنولوجيا النانو مـــن القدرة الإنتاجية في البلدان النامية، وذلك من خلال تقديمها ســـبلا جديـــدة لعمليات تصنيعيـــة مُبتكرة ورخيصة، ممـــا يضمن الحصول على منتجات تكنولوجية عالية القيمة، منخفضة السعر، تُستخدم في تطبيقات متنوعة، لا يتخلف عنها إلا قدر هامشـــي من الملوثـــات البيئية التي يمكن السيطرة عليها ومعالجتها.

- **تكنولوجيا النانو في الدول العربية والشرق أوسطية**

علـــى الرغم مما يُظهره الشـــكل (14 - 2) من غيـــاب لدولنا العربية عن ســـاحة النشـــر العلمي المُكثف الخـــاص بعلم وتكنولوجيـــا النانو، فإن هـــذا لا يعني غياب الأنشـــطة العلمية والبحثية المُتعلقـــة بهذا المجال عن منطقتنا العربية. وكما ذكرنا ســـلفا، فإنه وللمرة الأولى، منذ دخول العالم فـــي ثوراته الصناعية الكبـــرى في أوائل القرن الثامن عشـــر، أن تتواكب الاهتمامات التقنية والأنشطة العلمية والبحثية لكثير من الدول العربية مع تلـــك الاهتمامات والمجالات التي توليها الدول الصناعية المتقدمة اهتماما كبيـــرا. فقد بـــادرت بعض من دولنـــا العربية في منطقـــة الخليج العربي (الســـعودية، الكويت، قطر)، والنطاق العربي بالشـــمال الأفريقي (مصر) خلال سنوات العقد الأول من القرن الحادي والعشرين في تأسيس برامج ومراكز تميز لعلم وتكنولوجيا النانو. وقد انضمت حديثا إلى هذا النشاط البحثي العربي في المجال نفســـه، دول عربية شقيقة أخرى، مثل الجزائر، المغرب، تونس، الإمارات، الأردن، وفلســـطين. وإن دل هذا على شيء، فإنه يدل على تعاظم الحس العربي بأهمية دور التكنولوجيات المتقدمة في دعم وتعزيز الاقتصاد العربي، وتوظيف أدوات تكنولوجيا النانو لحل مشـــاكلنا المســـتعصية، وتحســـين معيشـــة المواطن العربي وتوفير الرعاية الصحية والخدمات الطبية له.

وبالطبع، لا نستطيع القول إننا قد حققنا كل ما نريده ونطمح إليه كعلماء وباحثين في هذا المجال البحثي المهم، فالطريق ما زال أمامنا طويلا وشاقا، والمنافسة العالمية على أشدها. وقد وحدت تكنولوجيا النانو بين الاهتمامات البحثية في الدول الغنية والفقيرة، المُتقدم منها والنامي، وفي الوقت ذاته، فهي قد أشعلت حلبة المنافسة العلمية الشريفة، وعززت معاني الاستثمار القائم على العلم والمعرفة، كما أنها أبرزت أهمية الملكية الفكرية وبراءات الاختراع، وحق الفرد في أن يحتكر نتاج أنشطته الإبداعية، وأن يجني ثمرات كفاحه ومثابرته في تحصيل وإنتاج العلم. والأمة العربية بعلمائها وشبابها الواعد، قادرة على مواجهة هذا التحدي، والمضي في تحسين أوضاعها بالقدر الذي يتناسب مع تاريخها العريق.

وقد يتفق القارئ الكريم معي في الرأي، بشأن أهمية معرفة ما يدور من أنشطة بحثية متعلقة بعلم وتكنولوجيا النانو، في بعض الدول المتاخمة لنا في منطقة الشرق الأوسط، مثل إيران وتركيا وإسرائيل، ومقارنة أنشطتها البحثية في هذا المضمار مع الأنشطة البحثية الجارية في منطقتنا العربية. وسوف تعتمد هذه المُقارنة على حصيلة النتاج العلمي، المتمثل في نشر الأوراق البحثية المتعلقة بالنانو في الدوريات العلمية العالمية منذ سنة 2000 وحتى نهاية العام 2008، مع إسقاط تلك الأوراق المنشورة في ورشات العمل والندوات، أو في المجلات العلمية المحلية، من الحسبان.

● قضايا النشر والمنافسة العلمية

يوضح الجدول (14 - 2) مقارنة بين عدد الأبحاث المنشورة بالدوريات العالمية في مجال علم وتكنولوجيا النانو، التي شاركت بها الدول العربية، وبعض من الدول النامية الأخرى الواقعة في منطقة الشرق الأوسط أو في قارة آسيا، وذلك خلال الفترة ما بين العامين 2000 و 2008.

الجدول (14 - 2): مؤشر التميز العلمي في مجال تكنولوجيا النانو المعتمد على كثافة نشر الأوراق البحثية بالدوريات العلمية العالمية للدول العربية، مقارنة ببعض من الدول الشرق أوسطية والنامية في قارة آسيا. (بيانات مُستقاة من المراجع 5 - 7).

الدولة	عدد الأبحاث المنشورة	نسبة المساهمة العالمية (%)	المقارنة بإيران	المقارنة بتركيا	المقارنة بإسرائيل
أولا: الدول العربية					
مصر	589	0.300	0.43	0.58	0.18
الجزائر	182	0.090	0.13	0.18	0.05
تونس	171	0.088	0.12	0.17	0.05
المغرب	122	0.060	0.09	0.12	0.04
السعودية	98	0.050	0.07	0.10	0.03
الأردن	69	0.040	0.06	0.07	0.02
دول عربية أخرى(*)	32	0.02	0.02	0.03	0.01
المجموع	1263	0.650	0.92	1.25	0.38
ثانيا: بعض الدول الشرق أوسطية					
إيران	1385	0.76			
تركيا	1017	0.53			
إسرائيل	3363	1.74			
المجموع	5765	2.98			
ثانيا: بعض الدول النامية بقارة آسيا					
الصين	34825	18.00			
النمور	23217	12.00			
الهند	7720	4.00			
المجموع	65762	34.00			

(*) *الكويت، الإمارات، العراق، سورية، قطر، البحرين، ولبنان.*

وبفحص البيانات المدونة بالجدول السابق تتضح لنا عدة أمور مهمة، هي:

- تدني مؤشر النشر العلمي بالدول العربية - 13 دولة - في مجال تكنولوجيا النانو، حيث بلغت مساهمتها في الإنتاج البحثي العالمي نحو 0.65 في المائة.

- الإنتاج العلمي العربي المنشــور عالميا في هذا المجال خلال فترة ثمانية أعوام (1263 ورقة)، لا يعادل ما نشــرته إيران من أوراق علمية خلال الفترة نفســها (1385 ورقة). هــذا بينما يتدنى إلــى نحو ثلث عدد الأوراق التي نشرتها إسرائيل خلال الفترة نفسها (3363 ورقة).
- على الرغم من الحصار الشامل المفروض على إيران منذ عقود عدة، فإنها تحتل الترتيب الثاني بعد إســرائيل في ما يتعلق بمسألة النشر العلمي الخاص بدول منطقة الشــرق الأوســط المهتمــة بتكنولوجيا النانــو. وهي في ذلك، تتفوق على تركيــا المتاخمة لقارة أوروبا، وما لهــذا الجوار من مزايا تتعلق بالتعــاون العلمي والتكنولوجي مع دول هذه القارة المتقدمة.
- ارتفاع مؤشــر النشــر العلمي في مجال تكنولوجيــا النانو في الدول الصاعدة من قارة آســيا، إلــى الحد الذي شــاركت فيه بعض منها بنحو ثلث المنشور من أبحاث نانوية على مستوى العالم، خلال الفترة موضع المقارنة.

وأود التأكيــد هنــا، أنه لم يكــن الهدف مُطلقا مــن وراء عرض تلك البيانات هو تثبيط الهمم أو قطع الطريق أمام جهودنا البحثية في مجال تكنولوجيــا النانو، التي تزداد يوما بعد يوم فــي منطقتنا العربية، لكنني قصــدت بهذا العــرض أن أؤكد ضرورة مواصلة مســيرتنا البحثية، وأن نضاعف جهودنا العلمية والإنتاجية، لا ســيما أن لدينا الآن في منطقتنا العربية علماء وباحثين متخصصين في هذا المجال التكنولوجي الحيوي. وبالإضافة إلــى هذا، فإن تلك الجهود الراهنة التــي تقوم بها حكومات البلــدان العربية، والمتمثلة في إرســال طلابها لنيل درجات الماجســتير والدكتــوراه في مجال علم وتكنولوجيــا النانو، بالإضافة إلى تخصيصها ميزانيات جيدة موجهة إلى تعزيز مراكز وبرامج التميز النانوية، ســوف تؤتي ثمارها خلال الســنوات الخمس المقبلة على الأكثر. ومن المؤكد أنه ســوف يزداد ضخ هذه الأموال ويزداد عــدد المبعوثين، مع زيادة جهودنا البحثية وارتفاع حصيلة إنتاج المخرجــات الابتكارية والإبداعية لعلمائنا في هذا المجال التكنولوجي المهم.

• اتساع فجوة المعرفة

تمثل اتســاع الفجوة المعرفية في علم وتقنيــات تكنولوجيا النانو، بين دول الشــمال المتقدمة ودول الجنوب النامية، أحد أخطر الآثار الســلبية المترتبة على تطبيقات تكنولوجيا النانو والتقدم البحثي في مجالاتها، وهو ما حذرت منه «الكومســت». فعلى الرغم مما يبينه الجدول (14 - 2) من مشاركة بحثية جيدة تمارسها الدول النامية، فإن أغلبية المخرجات البحثية الخاصة بدولنا النامية في هذا المجال ما زالت دون المستوى العالمي، حيث تعاني أغلبيتها إما من عدم التحديث والسير على وتيرة واحدة، أو محاكاة أبحــاث الغير التي أُجريت منذ فترة بعيدة. ويمكننا هنا أن نوجز المعوقات التي تواجهها مســيرة البحث العلمي في علم وتكنولوجيا النانو في الدول الناميــة عامة وفــي المنطقة العربية على وجه الخصــوص - يلاحظ أنها تتحد مع المعوقات البحثية نفســها التي تواجهها أفرع العلوم الأخرى - في عدة نقاط:

- ضعــف مســتوى التمويل الحكومــي الموجه لتعزيز شــراء أجهزة تحضير وتوصيف المواد النانويــة (قلت حدة تأثير هذا العامل في بعض مــن بلدان العالم العربي بعد أن ضخــت حكومات تلك البلدان ميزانيات جيدة تستخدم في تأســيس مراكز تميز لتكنولوجيا النانو، لكن ما زالت المشكلة متفاقمة في كثير من البلدان العربية والبلدان النامية).

- غياب دور الشــركات وقطاع الأعمال الخــاص عن تمويل البحوث العلميــة الخاصــة بتكنولوجيا النانو، وعدم الاســتفادة مــن المخرجات البحثية للعلماء الوطنيين.

- عــدم توافر العلمــاء والباحثين المتخصصين في علــم وتكنولوجيا النانــو، ودخول فئة غير متخصصة إلى هــذا المجال، من باب «الوجاهة الأكاديمية» أو لربما من أجل مسايرة «التقاليع والموضة» لما هو جديد.

- التشــكيك في ما يمكن أن تــؤدي تكنولوجيا النانو في دعم وتعزيز الاقتصاد الوطني.

- عدم اكتراث أفراد المجتمع المدني بما يجري من بحوث علمية داخل مؤسساته البحثية الوطنية.

- غياب ثقافة العمل بروح الفريق الواحد.
- غياب ثقافة الإبداع والاختراع عن الباحثين.
- هجرة العقول إلى دول العالم المتقدم في الأنشطة البحثية المتعلقة بتكنولوجيا النانو وتطبيقاتها.
- عدم إدراج علم وتكنولوجيا النانو ضمن المناهج التي تُدرس في مراحل التعليم الأساسية.
- انتكاب مجتمع البحث العلمي في الدول النامية بأنصاف المثقفين من خارج التخصص الدقيق.

وتكمن آليات التغلب على تلك العقبات في ثلاثة حلول هي:

- توجيه العلماء والباحثين العاملين في مجال علم وتكنولوجيا النانو إلى تركيز جهودهم البحثية ونتاج نشاطهم العلمي في إيجاد حلول علمية، تتميز بالابتكار والإبداع، لما تواجهه دولهم من مشاكل، فشلت التكنولوجيات السابقة في وضع حلول عملية لها.
- قيام الباحثين في تلك الدول بجذب قطاع الأعمال الخاص للشراكة في تمويل المشاريع البحثية الجادة ذات المردود الاقتصادي والعلمي الجيد.
- التعاون الدولي مع دول الشمال المتقدمة، أو الجنوب الصاعدة في تنفيذ مشاريع بحثية تهم البلدين. وتعد هذه المشاركة الدولية إحدى أهم الآليات الخاصة في التغلب على تدني مستوى التجهيزات المعملية، وانخفاض الدعم الحكومي الموجه لتمويل مشاريع تكنولوجيا النانو، التي غالبا ما تتسم بارتفاعها.

• التغيرات الاجتماعية المصاحبة

لقد تغيرت مفاهيم المجتمع المدني ونظرته إلى العلوم والتكنولوجيا تغيرا جذريا منذ منتصف القرن العشرين، فأصبحت العلاقة بين الثالوث: العلم والتكنولوجيا والمجتمع، علاقة وطيدة ومهمة تمثل في جوهرها ترابطا وتكافلا مهما بحيث لا يمكن عزل أحدهم عن الآخر. وقد أضحت التطبيقات الخاصة بالعلوم المعرفية والتطورات التكنولوجية المصاحبة

العوامل الرئيســـية في تقييم مدى ازدهار أي مجتمع وتعيين مقدار تقدمه ونمـــوه. هذا ما دلت عليه دروس الماضي من التغييرات الاجتماعية المعقبة للثـــورات الحضارية والصناعيـــة بدءا من عصر ما قبـــل الصناعة مرورا بالثورات الصناعية الكبرى التي شـــهدتها البشـــرية خلال القرون الثلاثة الماضيـــة والتي توجت بثـــورة الهندســـة الوراثية والتكنولوجيـــا الحيوية، وكذلك ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات التي ما زلنا نعيش نتائجهما وتأثيرهما في الحياة الاجتماعية حتى اليوم.

وتُعد ديناميكية التغييرات الاجتماعيـــة المصاحبة للعلوم والتكنولوجيا فـــي مجتمعات البلـــدان النامية، وعلى الأخص في دولنـــا العربية والعالم الإســـلامي عملية معقدة وذلك لارتباطها بنســـيج وثقافة المجتمع وبالنظم الاجتماعيـــة والعادات والتقاليد الموروثـــة. ولا يقتصر طول الفترة الزمنية المرتبطة باستجابة المجتمع للثورات التكنولوجية على مجتمعاتنا فقط، بل إنها تشـــمل مجتمعات العالم كله، ولكن بنسب متفاوتة. فإذا ما نظرنا إلى الفتـــرات الزمنية المطلوبة في مجتمعات العالـــم الغربي لإحداث تغييرات تكنولوجية واجتماعية مبنية على الاختراعات والاكتشـــافات، فسنجد أنها قد تطلبت مـــددا زمنية طويلة، وذلك نظرا إلى حاجة أي نظام اجتماعي، شـــرقي أو غربي، نام أو متقدم، إلى الوقـــت الكافي للرد لتعديل الأنماط الاجتماعية المصاحبـــة للثورات العلمية، ومحاولة إيجـــاد توازنات جديدة فـــي نســـيجه وهيكله الداخلي تقوم أساســـا على ضبط إيقـــاع العلاقات الاجتماعية المواكبة للثورات التكنولوجية والاكتشافات العلمية.

وبطبيعة الحال فإن هذه التغييرات الاجتماعية سوف تتكرر، وإن كانت بصورة أعمق وبشـــكل شـــمولي عندما تهيمن تكنولوجيا النانو (تكنولوجيا التصنيع الأولى في القرن الحادي والعشـــرين) علـــى مجريات الأمور في القطاعات الصناعية والاقتصادية في العالم أجمع. ونود التأكيد أنه ليس بالضرورة أن تتم هذه التغييرات المصاحبة لتطبيقات تكنولوجيا النانو على النمط نفسه الذي تمت به عقب الثورات الصناعية السابقة، وذلك نظرا إلى تمتـــع هذه التكنولوجيا بقدر كبير من المرونة التي تؤهلها لإحداث تغييرات تدريجية في طرق الصناعة المستخدمة عن طريق إدخال تعديلات مطردة

ومتلاحقة مما يُعطي مجتمعات العالم الفرصة للاستيعاب التكنولوجي. وقد يشاركني القارئ الكريم الرأي بأن الخطورة تكمن في تخلف بعض الدول عن مواكبة هذه التكنولوجيا الحديثة، والارتضاء بما هي عليه اليوم وعدم الرغبة في تطوير منتجاتها المحلية، مما يجعلها صيدا سهلا وسوقا مفتوحة لفيضان السلع النانوية القادمة إليها من جميع أرجاء العالم.

● القضايا الأخلاقية المتعلقة بتكنولوجيا النانو

كما ذكرنا من قبل، أثارت القدرات التقنية التي تتمتع بها تكنولوجيا النانو، الخاصة بالهيمنة على المادة من خلال التلاعب بذراتها وجزيئاتها وإعادة ترتيبها بشكل جديد، أثارت حفيظة حكومات الدول، ورجال الدين وأفراد المجتمع المدني. خاصة، أن العالم لم يفق بعد من واقعة ما حدث في مؤتمر «أسيلومار» في العام 1975 حين أعلن أحد العلماء توصله إلى طريقة تمكنه من التلاعب بجينات الحمض النووي للنبات والحيوان، ونقلها من فصيلة إلى فصيلة أخرى بهدف تخليق كائنات جديدة تتمتع بتركية جينية متميزة. وقد أثار إعلان هذه النتائج المعملية جدلا كبيرا، وانتقادات عنيفة، مما دعا حكومات الدول المعنية إلى وضع ضوابط لما يجريه الباحثون داخل المعامل. وقد انطبعت تلك الواقعة في أذهان المجتمع المدني بجميع طوائفه وخلفياته العلمية والثقافية، لذا فهم ينظرون إلى تكنولوجيا النانو بعين الحذر، خشية تكرار الكارثة نفسها على نطاق أوسع، وحدوث فوضى في التركيبات الجينية للكائنات والخلط بينها، مما قد ينجم عنه تولد كائنات جديدة لم تكن معروفة من قبل، تصعب الهيمنة عليها وترويضها، مما يعرض الحياة على الكرة الأرضية للدمار والفناء.

وفي إطار ما تقوم به حكومات الدول من توجيه الباحثين والضغط عليهم تارة، أو إغرائهم بميزانيات ضخمة لدعم أنشطتهم البحثية، انصب تركيز علماء النانو والتكنولوجيا الحيوية على الأنشطة والمشاريع البحثية الموجهة نحو إنتاج العقاقير الطبية الجديدة، وأجهزة الروبوت نانوية الأحجام، وإيجاد سبل ووسائل فعالة للكشف المبكر عن الأورام

والأمراض، وذلك من أجل دحر السرطان ومكافحة ودحر فيروس مرض الإيدز، وذلك بدلا من ممارسة المغامرات المعملية بجينات الكائنات الحية، غير المضمونة العواقب.

وهناك هاجس آخر يشغل الحكومات وهو ما يتعلق بقضايا الإرهاب وإمكان استخدام المجموعات الإرهابية للمعلومات ونتائج البحوث المنشورة، الخاصة بتخليق المواد النانوية وكيفية توظيفها في تصنيع جيل جديد من المواد الكيميائية والأسلحة الفتاكة الأخرى.

في الواقع هناك قضايا كثيرة، وهواجس مختلفة ومتعددة، بعضها حقيقي وأكثرها مبالغ فيه. وعلى المستوى الشخصي، وبكل تواضع، فإني أرى أن الخطر الحقيقي الذي يمكن أن نتأثر به كدول نامية من جراء تطبيقات تكنولوجيا النانو، هو التخلف عن ركبها، كما حدث سابقا في التكنولوجيات الأخرى التي تخلفنا عن اللحاق بها. وأرى أن الخطر الحقيقي الذي سوف تواجهه الشعوب الفقيرة والنامية، هو خطر اقتصادي في المقام الأول. إن التزايد المطرد في حجم المبيعات والمنتجات النانوية، لأمر مقلق نظرا إلى أن تلك المنتجات الاستهلاكية تجد سوقا ضخمة لها في مجتماعاتنا العربية، وهذا يعني استنزاف المال العربي وإهداره. وأخشى من مجيء ذلك اليوم القريب، الذي تتحول فيه العقاقير والأدوية الفعالة إلى منتجات نانوية، لا يستطيع شراءها إلا كل قادر، وبذلك تترسخ في العالم مفاهيم غير أخلاقية، فيصبح العلاج من الأمراض الفتاكة والمزمنة حقا للغني، أما المرضى من الفقراء فعليهم التحلي بالصبر وتعاطي العقاقير التقليدية!





الهوامش

withe

هوامش الفصل الأول

(1) ربمـــا تكون هذه الكلمة هي أصل كلمة «نَنووس» المســتخدمة في مصر لتصغير الأشياء بغرض تدليل الطفل الصغير أو أحيانا للسخرية وتقليل شـــأن شـــخص ما. وربما تكون قد وردت في اللغـــة الفرعونية القديمة نتيجـــة للانفتاح القائم بين الحضارتين القديمتـــين المصرية والإغريقية آنذاك وتوارثها المصريون بعد ذلك لتدخل في قاموس اللغة العامية.

(2) السنتيمتر cm = 100/1 (جزء من مائة من المتر).

المليمتر mm = 1000/1 (جزء من ألف من المتر).

الميكرومتر μm = 100000/1 (جزء من مليون من المتر).

النانومتر nm=1000000000/1 (جزء من مليار من المتر).

(3) تعـــد ذرة عنصر الهيدروجين أصغـــر ذرات العناصر المعروفة حيث يبلغ مقيـــاس قطرها نحو 0.075 نانومتر ويتم تقريب هذه القيمة في معظم المراجع إلى0.1 نانومتر.

(4) تم تنفيذ الشكل بواسطة المؤلف.

(5) M. Sherif El-Eskandarany, J. Saida, and A. Inoue, Acta mater. Vol. 51 (2003) pp. 1481-1492.

(6) يتفق معنا في هذا الرأي الأســتاذ الدكتور فؤاد زكريا في كتابه «التفكير العلمي» الصادر عن عالم المعرفة، العدد الرقم 3 العام 1978 الصفحات 131، 132. كمـــا يتوافق الدكتور أنطونيوس كـــرم معنا وذلك في كتابه الصـــادر تحت عنوان «العرب أمام تحديات التكنولوجيا»، سلســـلة عالم المعرفة، العدد 59، العام 1982، الصفحات 11 ، 25.

(7) أســـتاذ دكتور محمد شريف الإسكندراني: تكنولوجيا النانو، نصف قرن بين الحلـــم والحقيقة. مجلة العربي - وزارة الإعـــلام في دولة الكويت، العدد الرقم 607، يونيو 2009، الصفحات -152 159.

(8) أستاذ دكتور محمد شريف الإســـكندراني: التقانة النانوية لدفع قاطرة التنمية، مجلة التقدم العلمي - مؤسســـة الكويـــت للتقدم العلمي، العدد 66، أكتوبر 2009، الصفحات 25 - 33.

(9) المرجع السابق.

(10) لقراءة نص المحاضرة الكامل، أقترح زيارة الموقع التالي:

http://www.aps.org/publications/apsnews/200012/history.cfm

(11) Binning, G, and H. Rohrer, Helvetica Physica Acta, Vol. 55 (1982) pp. 726-735.

(12) Eric Drexler, Proc. Natl. Acad. Sci. USA, Vol. 78 (1981) pp. 5275-5278.

(13) M. Sherif El-Eskandarany, Satoru Ishihara, Wei Zhang and A. Inoue, Met. Trans.36 A (2005) pp. 141-147.

(14) http://www.zurich.ibm.com/nano/themes_history.html

هوامش الفصل الثاني:

(1) علم المواد هو ذلك العلم الذي يعتني بدراسة خواص المواد واستنباط العلاقة بين تلك الخواص وبنية المادة وتركيبها وأثر العلميات الصناعية في تحسين تلك الخواص. وتتحدر جذور هذا العلم إلى العلوم الأساسية للفيزياء والكيمياء والرياضة.

(2) للقارئ المتخصص في تكنولوجيا النانو وكذلك القارئ المثقف المهتم بقراءة مزيد عن المادة من وجهة نظر الفيزياء الكلاسيكية وميكانيكا نيوتن، المعروفة باسم الميكانيكا النيوتينيةNewtonian Mechanics ، أُرشح مرجعا مهما ورشيقا جاء تحت عنوان «الفيزياء الكلاسيكية للمادة» ألفته نخبة متميزة من علماء الفيزياء وعلوم المواد من مختلف الجامعات البريطانية.

John Bolton and Others: Classical Physics of Matter, Institute of Physics Publishing, London, UK (2000). P 62-73.

(3) لا تفوتني فرصة دعوة القارئ المهتم بمعرفة أسماء كثير من الفلاسفة والعلماء الأوائل وإنجازاتهم العلمية التى أدت إلى اكتشافات كبيرة غيَّرت مسيرة البشرية خلال القرون الأربعة الماضية، إلى مطالعة كتاب مهم وشائق، تأليف العالم الأمريكى البروفيسور «توماس كون» والذى ترجمه الأستاذ شوقي جلال:

«بنية الثورة العلمية» عالم المعرفة، تأليف «توماس كون» وترجمة شوقي جلال. العدد رقم 168 العام 1992، الصفحات من 261 إلى 288، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت.

(4) نال «طومسون» جائزة نوبل في الفيزياء العام 1906 عن مجمل أبحاثه الرائدة في مجال الذرة. وتتأكد عبقريته وقوة مدرسته العلمية ومدى ثرائها وخصوبتها حين نبت من تربتها العالم الشهير «راذرفورد» الذي يُعد أحد تلاميذ طومسون. وقد نال راذرفورد أيضا الجائزة نفسها ولكن في العام 1908. للاطلاع على قائمة الفائزين بجائزة نوبل في المجالات المختلفة منذ العام 1901 وحتى العام 1906، يرجى مراجعة الموقع الرسمي للجائزة وهو موجود على الشبكة العنكبوتية تحت عنوان:
http://nobelprizes.com/nobel

(5) من منا لم يتنبه إلى وحدة الخالق فيما أبدع وصنع من تشابه كبير بين نظام تركيب البنية الداخلية لأصغر ما في الوجود وهو الذرة، التي تجذب إليها جسيمات أدق منها بكثير لتسبح حولها في مدارات تلتف حول نواتها، وبين نظم أضخم النجوم في كوننا المادي هذا؟

(6) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(7) عالم ألماني شهير في علم الفيزياء حصل على جائزة نوبل فى الفيزياء العام 1918، على يديه حُلت مشكلة الصندوق الأسود حيث حسم الجدل العلمي الناشئ إبان القرن التاسع عشر بشأن مصداقية الفيزياء الكلاسيكية في حل كل المشكلات والظواهر الكونية والفيزيائية، وذلك من خلال صياغته لنظرية جديدة عُرفت باسم ميكانيكا الكم التي تعد أساس علم النانو. ولمعرفة مزيد عن هذا العالم الكبير، يرجى الاطلاع على الصفحة الرقم 268 من المرجع الرقم 3 السابق المُدون في هوامش هذا الفصل. أما القارئ المهتم بمعرفة أدق التفاصيل عن حياة وإنجازات «بلانك»، فأرشح له الاطلاع على أحد المراجع التالية:

Max Planck, Scientific Autobiography and Other Papers. Philosophical Library, New York, 1949.

Nobel Lectures, Physics 1901-1921, Elsevier Publishing Company, Amsterdam, 1967.

(8) لسنا فى حاجة إلى التعريف بعالم الفيزياء والرياضيات الفذ البروفيسور ألبرت آينشتاين، حاصد جائزة نوبل في الفيزياء العام 1921 وغيرها من الجوائز العالمية، ولكني أود أن أشير هنا إلى

كتاب رشيق كتبه آينشتاين بنفسه عن نظريته المعروفة باسم النظرية النسبية، حيث أوضح فيه كيف تلاحمت تلك النظرية مع ميكانيكا الكم التي أسسها ورسخها العالم الفيزيائي «ماكس بلانك» ليكونا معا حجر الزاوية الأول في صرح الفيزياء الحديثة. وعلى المستوى الشخصي فإني أعرف – شأني في ذلك شأن الجميع – آينشتاين كعالم فيزيائي ورياضي فذ، ولكن بعد قراءة الكتاب التالي عرفت أيضا أنه فيلسوف وعالم اجتماع من العيار الثقيل ! الكتاب يأتي بأسلوب مبسط ليستفيد منه كل من القارئ المثقف والمتخصص.

Albert Einstein, The World as I see it. A division of Lyle Stuart Inc, New Jersey, The U.S.A. (1949) .

(9) كتاب «فلسفة العلم في القرن العشرين» عالم المعرفة. تأليف الدكتورة يُمنى طريف الخولي. العدد الرقم 264 العام 2000، الصفحات من 173 إلى 203، الناشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – دولة الكويت.

هوامش الفصل الثالث:

(1) G. Bums, Solid State Physics ,Academic Press ,San Diego ,1985.

(2) C. Kittel, Introduction to Solid State Physics, 7th ed., John Wiley & Sons, Inc., New York, 1996.

(3) K. Boer, ed., Semiconductor Physics, Vols.1 and 2, Wiley, New York, 2001.

(4) قد يجد القارئ الكريم متسعا من الوقت يُمكنه من الاطلاع على تفاصيل النظم البلورية التي توجد عليها المواد، وذلك من خلال تناوله أحد أو كلا المرجعين التاليين:

William D. Callister, Jr, Fundamentals of Materials Science and Engineering, John Wiley & Sons, Inc., New York, 2001, ISBN 0-471-39551, pp. 30-75.

M. Sherif El-Eskandarany, Materials Science: An Introduction, DAR AL-FIKR AL-ARABI, Cairo 1999, ISBN 977-19-9716-5, pp.35-62.

(5) ما لـم تحـدث أي متغيـرات خارجيـة أو ظروف تشـغيل ميكانيكي أو حــراري تفـوق قـدرة تلـك الـذرات فــي المحافظـة علـى هذا الترتيب النموذجي.

(6) لولا هذا الاختلاف لما كان في قدرتنا أن نُفرق بين مادة وأخرى.

(7) M. Sherif El-Eskandarany, Journal of Nanoparticles, Vol. 2 (2009) 14-22.

(8) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(9) لمزيد من الاطلاع على سـلوك المواد الأمورفيـة في توزيع ذراتها توزيعا عشوائيا، قد يكون المرجع المبين أدناه مناسبا لهذا الغرض.

M. Sherif El-Eskandarany, J. Saida, and A. Inoue, Acta mater., Vol. 51 (2003) pp 4519-4532.

(10) M. Sherif El-Eskandarany, J. Saida, and A. Inoue, Acta mater. Vol. 51 (2003) pp. 1481-1492.

(11) من أرشيف النتائج البحثية لمؤلف هذا الكتاب التي لم تُنشر بعد.

(12) محمد شـريف الإسـكندراني: التقانة النانوية لدفـع قاطرة التنمية، مجلة التقدم العلمي – مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، العدد 66، أكتوبر 2009، الصفحات 25– 33.

(13) M. Sherif. El-Eskandarany, J. of Alloys Comp. Vol. 391 (2005) pp. 228-235.

(14) Michael U. Niemann, et al,. Nanomaterials for Hydrogen Storage Applications: A Review. Journal of Nanomaterials. Vol. 10 (2008) Article ID 950967, pp. 1-9.

(15) Nam-Jung Kim et al., Current Applied Physics. Vol. 9 (2009) pp. 643-646.

هوامش الفصل الرابع

(1) للقـارئ المهتـم وكذلك المتخصص، قد يكون مـن المفيد الاطلاع على أحـد الكتب المعنية بالمواد من حيث الخواص والفئات، وهي كثيرة جدا ومنهـا ما هو مكتوب بالعربية أو بلغات أخرى. ولعل المرجع التالي يفي بهذا الغرض:

Raymond A. Higgins, The Properties of Engineering Materials. Edward Arnold Publishing, Inc, London, U.K. (2004), ISBN 0-340-60033-0. P. 230-382.

(2) يختلط الأمر عند كثير منا فى التفرقة بين «الفلز» و «المعدن»، للدرجة التـــي اعتقدنا فيها أن كلمــة معدن تعني الحالة النقيــة للعنصر، كأن نقول مثلا، معدن الألومنيوم النقى، كدلالة عن عنصر الألومنيوم النقي وسـبائكه المســتخدمة في حياتنا المعاصرة. وهذا في الواقع خطأ نقع فيــه جميعا، حتى كثير من الكتــب والصحف لم تراع الدقة في اختيار المســمى الصحيح، حيث تقع أيضا في نفس الخطأ الشــائع. وأود هنا أن أقــول إنه إذا ما قصدنا التعبير عــن الحالة العنصرية النقية لخام مــا وليكن خام الألومنيوم، بعد تخليصه من الشـــوائب والعوالق والمواد الأخرى الداخلة في تركيب مكوناته، فلا بد أن نســميه فلز الألومنيوم، أما إذا كان الغرض من التسمية الإشارة إلى خام الألومنيوم الموجود في الطبيعة على هيئة أكســيد الألومنيوم المحتوي على شوائب من أكاسيد أخــرى مثل الحديد والتيتانيوم والســيليكون، فلنا فــي هذه الحالة أن نســميه معدن أو خام الألومنيوم. لذا فإنــه من غير المُتصور أن نصف معــدن الألومنيوم بالبريق أو بقدرته على التوصيل الكهربي والحراري، لأن ذلك مناف للحقيقية، وذلك لأن أكســيد الألومنيوم رديء التوصيل، هــذا على العكس من فلز الألومنيوم جيد التوصيل. ولســت أدرى ماذا نفعل أمام المثل القائل «الناس معادن»! كما ترى عزيزي القارئ أن المثل هنا يصنف الناس إلى فلزات، فمنهم من يمتلك ســمات مرتفعة وقيمة، ومنهم المتردي في السلوكيات والقيم الأخلاقية. أو لعل المثل هنا يقصد أن الناس معادن حيث يختلفون في نســب الشوائب الداخلة في تكوين ســماتهم وشــخصياتهم. أعتقد أن هذا القصور في تحديد المســمى الصحيح لا تقع مسؤوليته على اللغة العربية الثرية، ولكن تقع المسؤولية الأولــى والأخيرة على من لم يراع الدقة فــي التعبير والوصف الدقيق باستخدام كلمة عربية موجودة بالفعل في قاموس لغتنا الجميلة.

(3) M. Sherif El-Eskandarany: Mechanical Alloying for Fabrication of Advanced Engineering Materials. William Andrew Publishing, Inc, New York 13815, the U.S.A. (2001), ISBN 0- 8155-1462-x, p. 12.

(4) M. Sherif El-Eskandarany and others: Advances in Materials Research: Methods for the Production of Amorphous and Nanocrystalline Materials and Their Unique Properties, Spring Publishing, Swiss (2000) ISBN 3-540-67271-0, p. 76.

(5) M. Sherif El-Eskandarany, Journal of Nanoparticles, Vol. 2 (2009) 14-22.

(6) M. Sherif El-Eskandarany and A. Inoue, Physical Review B, Vol. 75 (2007) pp. 224109 - 1 to 224109-9.

(7) M. Sherif El-Eskandarany, Satoru Ishihara, Wei Zhang and A. Inoue, Met. Trans., Vol. 36 A (2005) pp. 141-147.

هوامش الفصل الخامس

(1) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(2) من أرشيف النتائج البحثية لمؤلف هذا الكتاب غير المنشورة.

(3) من أجل عقد مقارنة صحيحة ودقيقة بين حبيبات العينتين، التُقطت الصور المجهرية بنفس قوة التكبير.

(4) M. Attarian Shandiza, et al. , Journal of Physics and Chemistry of Solids. Vol. 68 (2007) pp.1396-1399.

(5) تُعرف الصلادة في المواد بأنها الخاصية التى تتمتع بها المادة لمقاومة الخدوش الحادثة على سطحها جراء تعرض هذه الأسطح لأي إجهادات خارجية.

(6) يُقصد بمقاومة المادة مدى صمودها في مواجهة الإجهادات المختلفة التي تتعرض لها في أثناء التشغيل، سواء كانت هذه الإجهادات ساكنة أو ديناميكية متحركة ومتغيرة القيمة والاتجاه من دون وقوع انهيار بها.

(7) M. Sherif El-Eskandarany and A. Inoue, J. Mater. Res., Vol. 21 (2006) pp. 976-987.

(8) المتانة هي خاصية تُمكن المادة من استيعاب الإجهادات الخارجية للأحمال الديناميكية الواقعة عليها، مثل إجهادات الصدم والطرق، من دون أن تنهار أو تظهر عليها أي تغيرات في أبعادها وأحجامها.

(9) يُقصــد بالقصافة عجز المادة عن اســتيعاب إجهادات الأحمال الديناميكية، التي تتعرض لها بشكل مباغت، من دون أن تنهار أو يحدث بهيكلها أي عيوب أو شــروخ نتيجة تعرضها لتلك الإجهادات. فمثلا، لا تُبدي فناجين القهوة أو الشاي أي استعداد لتقبل الصدمات الواقعة عليها جراء تعرضها للوقوع من ارتفاعــات عالية أو نتيجة الطرق عليها. ويؤثــر الترتيب الذري والروابطة الأيونية التى تربط بين ذرات أغلب المواد السيراميكية في تعزيز وتأصيل هذه الصفة التي تجعلها مواد غير قابلة للتشكيل عن طريق الطرق والسحب.

(10) قابلية المادة للتشكيل صفة تتمتع بها كل الفلزات وسبائكها مما يجعلها قابلة لأن تُسحب إلى أسلاك رفيعة، مثل أسلاك النحاس المستخدمة في التطبيقات الكهربية، أو شرائح ورقائق، مثل رقائق الألومنيوم المستخدمة في أغــراض إعداد الأطعمــة والأغراض الأخرى. وعلــى النقيض من الرابطة الأيونية في المواد السيراميكية، فإن الرابطة الفلزية التي تربط بــين ذرات الفلزات المُختلفة قد أضفت عليها القابلية للتشــكيل، وذلك نظرا إلى تواجد إلكترونــات هذه المواد الفلزية في صورة حرة غير تلك الصورة المُقيدة التي توجد عليها بالرابطة الأيونية.

(11) M. Sherif El-Eskandarany, J. of Alloys Comp., Vol. 296 (2000) pp. 175-182.

(12) M. Sherif El-Eskandarany, J. of Alloys Comp., Vol. 305 (2000) pp. 219-224.

(13) M. Sherif El-Eskandarany, Amir A. El-Mahdy, H.A. Ahmed and A.A. Amer, J. of Alloys Comp., Vol. 312 (2000) pp. 315-325.

هوامش الفصل السادس:

(1) يُطلق على هذه الطريقة أيضــا، طريقة الرش بالفتات الكاثودي، وذلك وفقا لترجمة مصطلــح Sputtering الواردة فــي معجم المُصطلحات العلمية والفنية والهندسية الجديد، إعداد الأستاذ أحمد شفيق الخطيب، إصدار العام 2008، الناشر «مكتبة لبنان ناشرون»، صفحة 764.

(2) وذلــك من أجل حماية المــواد الفلزية المراد إنتــاج حبيباتها أو طبقاتها النانوية من الأكسدة وتحولها إلى أكاسيد فلزية بدلا من الحصول عليها في صورة نقية.

(3) M. Sherif El-Eskandarany, K. Sumiyama, K. Aoki and K. Suzuki, Mater. Sci. Forum, Vol. 88 (1992) pp. 801-808.

(4) M. Sherif El-Eskandarany: Mechanical Alloying for Fabrication of Advanced Engineering Materials, William Andrew Publishing Inc, New York 13815, the U.S.A. (2001) pp. 1-2.

(5) C. Suryanarayana: Mechanical Alloying and Milling, Marcel Dekker Publishing Inc, New York, the U.S.A. (2004) P. 45.

(6) تمتلــك طواحين الكرات القدرة علــى التعامل مع مختلف المواد الصلبة، ســواء كانت فلزية أو غير فلزية والوصــول بمقاييس حبيباتها الداخلية إلــى أبعاد نانوية لا تتجاوز 5 نانومترات في أغلب الأحيان، وذلك إذا ما تم ضبــط العملية والهيمنة على جميــع العوامل المؤثرة في عملية فصل الحبيبات بعضها عن بعض وتصغير أبعادها، بصورة مُثلى.

(7) تعمل هذه الكرات على تكســير كتل الجسيمات الكبيرة، لذا فهي تُعرف باســم الوسط الطاحن Milling Media ويراعى في اختيار هذه الكور أن تكون بأبعاد مناســبة تتلاءم مع حجم أســطوانة الطحن، وألا تشغل حيزا حجميا يزيد على 40% من الحجم الداخلي للأسطوانة. كما يجب أن تكون تلك الكرات مُصنعة من مادة الأســطوانة نفســها، وذلك بهدف تقليل نســبة معدلات البــري الناجمة عن احتكاك الكرات مع الســطح الداخلي لإناء الطحن.

(8) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(9) M. Sherif El-Eskandarany, K. Aoki and K. Suzuki, J. Less-Common Met., Vol. 167 (1990) pp. 113-118.

(10) M. Sherif El-Eskandarany, K. Aoki, H. Itoh and K. Suzuki, J. Less-Common Met., Vol. 169 (1991) pp. 235-244.

(11) M. Sherif El-Eskandarany, K. Aoki, K. Sumiyama and K. Suzuki, Met. Trans. Vol. 30A, (1999) pp. 1877-1880.

(12) M. Sherif El-Eskandarany, Satoru Ishihara, Wei Zhang and A. .Inoue, Met. Trans. Vol. 33A (2005) pp. 141-148

(13) المتر الواحد يساوي مليار نانومتر، ومن ثم فإن 220 ألف نانومتر (220 ميكرومتر) تعني 0.00022 من المتر، أي 0.22 من المليمتر الواحد.

(14) M. Sherif El-Eskandarany, J. of Alloys Comp., Vol. 305 (2000) pp. 219-224.

(15) M. Sherif El-Eskandarany, M. Matsushita, and A. Inoue, J. of Alloys Comp. Vol. 329 (2001) pp. 239-252.

(16) M. Sherif El-Eskandarany, Wei Zhang, and A. Inoue, J. Mater. Res., Vol. 17 (2002) pp. 2447-2456.

(17) M. Sherif El-Eskandarany and A. Inoue, Met. Trans., Vol. 37 A (2006) pp. 2231-2238.

(18) القالـــب والغطاس الموضحان في الشـــكل، اســـتُخدما من قبل مؤلف الكتاب في كبس ودمج عدد من مســـاحيق الحبيبـــات النانوية لمجموعة متنوعة من المواد.

(19) M. Sherif El-Eskandarany, M. Omori, M. Ishikuro, T. J. Konno, K. Takada, K. Sumiyama, T. Hirai and K. Suzuki, Met. Trans., Vol. 27A (1996) pp. 4210-4213.

(20) M. Sherif El-Eskandarany, Satoru Ishihara, and A. Inoue, J. Mater. Res., Vol. 18 (2004) pp. 2435-2445.

(21) M. Sherif El-Eskandarany, M. Omori, K. Sumiyama, T. Hirai and K. Suzuki, J. of Japan Society of Powder and Powder Metallurgy, JSPM, Vol. 44 (1997) pp. 1143-1147.

(22) M. Sherif El-Eskandarany, J. of Alloys Comp., Vol. 279 (1998) pp. 263-271.

(23) M. Sherif El-Eskandarany, Journal of Nanoparticles, Vol. 2 (2009) pp. 14-22.

(24) Courtesy of Xintek, Inc., Nanotechnology Innovations, North Carolina, U. S.A. (2009)

(25) الأصل في استخدام هذه الإبرة هو تلمس الذرات والجزيئات الموجودة على الســـطح الخارجي لمادة ما يُراد تحديد طوبوغرافيتها وبيان مقدار ثخانتها وتركيبها الكيميائي وتوزيع العناصر الداخلة في تركيبها.

(26) Eric Drexler, Proc. Natl. Acad. Sci. USA, Vol. 78, No. 9, September 1981, pp. 5275-5278, Chemistry Section.

(27) Eric Drexler, Nanosystems: Molecular Machinery, Manufacturing, and Computation, John Wiley & Sons, New York ? USA (1992).

(28) M. F. Crommie, C. P. Lutz, and D. M. Eigler, Nature, Vol. 363 (1993) pp. 524-527.

(29) M. F. Crommie, C. P. Lutz, and D. M. Eigler, Science, Vol. 262 .(1993) pp. 218 ? 222

(30) نص ماقاله البروفيسور ريتشارد فينمان باللغة الإنجليزية هو:

«The principles of physics, as far as I can see, do not speak against the possibility of maneuvering things atom by atom».

لقراءة نص المحاضرة الكامل، أقترح زيارة الموقع التالي:

http://www.aps.org/publications/apsnews/200012/history.cfm

(31) Marvin L. Minsky, Virtual Molecular Reality, in Prospects in Nanotechnology: Toward Molecular manufacturing, (eds. Markus Krumenacker & James Lewis) Wiley, 1995 ISBN 0-471-30914-1.

(32) G. M. Whitesides and M. Boncheva, PNAS, Vol. 99 (2002) pp. 4769 - 4774.

(33) Duhua Wang and Gordon. P. Bierwagen, Progress in Organic Coatings, Vol. 64 (2009) pp. 327-338.

(34) C.J. Brinker and G.W. Scherer, Sol-Gel Science: the Physics and Chemistry of Sol-Gel Processing, Academic Press, San Diego, CA, USA, 1990.

(35) Alain C. Pierre, Introduction to Sol-Gel Processing, Kluwer, Boston, MA, USA, 1998.

(36) للقارئ المهتم بالتطبيقــات التكنولوجية العامة لمنتجات المواد النانوية، أقترح الاطلاع على الكتاب أدناه، رغم قدمه النسبي:

J.D. Wright and N.A.J.M. Sommerdijk, Sol-Gel Materials: Chemistry and Applications, Gordon and Breach Science Publishers, Amsterdam, 2001.

(37) الهــلام هو مادة جيلاتينية لزجة، تجمع في الشــكل بين خواص المواد الصلبة من حيث التجمع، وخواص المواد السائلة من حيث الميوعة. ويتمتع

الهلام بتماسكه، فهو لا يسيل مادام لم يُعرَّض لظروف خارجية تؤثر في استقراره، كتعريضه للحرارة مثلا. ولعل «الكريمات» و«الجيلاتينات» المستخدمة في تجميل وترطيب البشرة، أو لتصفيف الشعر، أمثلة حية وتطبيقية للهلام.

(38) G. Binnig, C.F. Quate, Ch. Geber, Phys. Rev. Letters, Vol. 56 (1986) pp. 930-934.

(39) Y. Martin, C.C. Williams, H.K. Wickramasinghe, J. Appl. Phys. Vol. 61(1987) pp. 4723-4726.

(40) C.F. Quate, Surface Science, Vol. 299/300 (1994) pp. 980-995.

هوامش الفصل السابع:

(1) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(2) الغرافيت كلمة يونانية قديمة تعني «يكتب أو يرسُم» وقد عُرف بهذا الاسم منذ أواخر القرن السابع عشر. ويوجد خام الغرافيت في الطبيعة على صورة عروق Veins أفقية رقيقة السمك (Horizontal Thin Sheets) Layers.

(3) يعمل الآن أستاذا للكيمياء بمركز كاليفورنيا للتكنولوجيا، بالولايات المتحدة الأمريكية.

(4) يعمل الآن باحثا علميا في شركة تكساس للأجهزة، بالولايات المتحدة الأمريكية.

(5) Fuller, R. Buckminster. «Introduction», Critical Path, First Edition (in English), New York, N.Y.: St. Martin's Press, p. xxv. (1981), ISBN 0-312-17488-8. «It no longer has to be you or me. Selfishness is unnecessary and hence-forth unrationalizable as mandated by survival. War is obsoleteس.

(6) Fuller, R. Buckminster. Critical Path. New York: St. Martin's Griffin, (1981), p. 124. ISBN 0312174918.

(7) Hanying Li, Joshua D. Carter and Thomas H. La Bean, Materials Today, Vol. 12 (2009) pp. 24-32.

(8) Vicky V. Mody, Mohamed Ismail Nounou and Malavosklish Bikram, Advanced Drug Delivery Reviews, Vol. 61 (2009) pp. 795-807.

(9) Du Jing, Zeng Pan, European Journal of Mechanics - A/Solids, Vol. 28, (2009) pp. 948-954.

(10) Chun-Ru Wang, et al., Current Applied Physics, Vol. 2, Issue 2, April 2002, Pages 141-143.

(11) Michal Zalibera, Peter Rapta and Lothar Dunsch, Electrochemistry Communications, Vol. 10(2008) pp. 943-946.

(12) S. Iijima, Nature, Vol. 354 (1991) pp. 56 - 58.

(13) يتــم تعيين مقاومة الشــد لمادة ما، عن طريــق تعريضها لحملين Loads متضادين في الاتجاه ومتســاويين فــي المقدار، بحيث يكون اتجاههما عموديا على مســاحة مقطع Cross-sectional Area العينة، وفي الوقت نفســه على اتجاه محــور Axial Direction وينشــأ عن تعريــض العينة لتلــك الأحمال، تولد إجهادات تســمى إجهادات الشد Tensile Stresses وتُعد اجهادات الشد من أخطر الإجهادات التي يمكن أن يتعرض لها هيكل أي منشأ، حيث تؤدي في البداية إلى خضوع المنشــأ لها، وظهور تشوهات Deformations دائمة به، الأمر الذي يدفع به إلى حافة الانهيار أو السقوط Failure or Rupture.

(14) الإدارة الوطنية للملاحة الفضائية والفضاء National Aeronautics and Space Administration.

(15) تم إهداء التقرير النهائي إلى مؤلف هذا الكتاب

Bradley C. Edwards, , NIAC Phase II Final Report, NASA Institute for Advanced Concepts Phase II, USA, 2003.

(16) M. Popov et al., Phys. Rev. B, Vol. 65 (2002) 033408. doi:10.1103/PhysRevB.65.033408

(17) S. Hong, S. Myung, Nature Nanotechnology, Vol. 2 (2007) pp. 207 - 208.

(18) Erik Thostenson, C. Li and T. Chou, Composites Science and Technology, Vol. 65 (2005) pp. 491 - 516.

هوامش الفصل الثامن:

(1) E. Keidel, Farben-Zeitung, Vol. 34 (1929) pp. 1242-1253.

(2) P. Sawunyama, A. Fujishima and K. Hashimoto, Langmuir, Vol. 15 (1999) pp. 3551-3559.

(3) H. Honda, A. Ishizaki, R. Soma, K. Hashimoto and A. Fujishima: J. Illum. Eng. Soc. (1998) pp. 42-48.

(4) K. Sunada, Y. Kikuchi, K. Hashimoto and A. Fujishima, Environ. Sci. Technol., Vol. 32 (1998) pp. 726-734.

(5) K. Sunada, T. Watanabe and K. Hashimoto, Environ. Sci. Technol., Vol. 37 (2003) pp. 4785- 4791.

(6) Z.D. Bolashikov and A.K. Melikov, Building and Environment, Vol. 44, (2009) pp. 1378-1385.

(7) مع تقديري الشـــخصي لجهود هذه الشـــركات، وثقتى في أمانة فرقها البحثية، بيد أننى لا أطمئن دائما إلى تلك النتائج السريعة التي توصلت إليهـــا، حيـــث لم تؤكدها بعد النتائـــج البحثية المُجراة مـــن قبل الهيئات الأكاديمية العريقة ومراكز البحوث العلمية الشـــهيرة، أشـــفق فعلا على حال إنســـان القرن الحادي والعشرين، فهو تارة يقع فريسة لأحد الأوبئة الناتجة عنه وعن أنشـــطته الشرعية وغير الشرعية، ومرات عديدة يقع تحت براثن منتجات تكنولوجية هلامية!

(8) R. Wang, N. Sakai, A. Fujishima, T. Watanabe and K. Hashimoto, J. Phys. Chem. B , Vol. 103 (1999) pp. 2188-2195.

(9) T. Shibata, H. Irie and K. Hashimoto: J. Phys. Chem. B Vol. 107, (2003) pp. 10696-10702.

(10) تم تصميم وتنفيذ الشكل بواسطة مؤلف هذا الكتاب.

(11) Akira Fujishima, Kazuhito Hashimoto, Toshiya Watanabe, TiO_2 Photocatalysis: Fundamentals and Applications, BKC Inc., Tokyo-Japan, 1st Edition, May 1999, P.32. ISBN : 493905103X 9784939051036.

(12) Kazuhito Hiroshi, et al., Japanese Journal of Applied Physics, Vol. 44, (2005) pp. 8269 - 8285.

(13) R. Rossetti, S. Nakahara and L. E. Brus, J. Chem. Phys., Vol. 79, (1983) pp. 1086-1088.

(14) الفصل السابع من هذا الكتاب

(15) L. DiCarlo, et al., Nature, Vol. 460, (2009) pp. 240-244.

(16) السبيكة هي مزيج بين فلزين أو أكثر مذابين بعضهما في بعض إذابة كاملة، وذلك عند درجات حرارة تفوق نقط انصهار الفلزين. وتعد سبائك البرونز الناتجة عن إذابة عنصر الزنك في النحاس، وكذلك سبائك الصلب المكونة من مجموعة من العناصر الفلزية، مثل الكروميوم والنيكل، المُذابة في الحديد، نماذج شهيرة للسبائك الفلزية.

(17) الفصلان، الثالث والخامس من هذا الكتاب.

(18) M. Sherif El-Eskandarany: Mechanical Alloying for Fabrication of Advanced Engineering Materials, William Andrew Publishing Inc, New York 13815, the U.S.A. (2001) P. 34 - 44.

(19) H. Gleiter, Prog. Mat. Sci., Vol. 33 (1989) pp. 223-265.

(20) J.L. McCrea et al., Rev. Adv. Mater. Sci., Vol. 5 (2003) pp. 252-258.

(21) M. Amparo et al., Acta Biomaterialia, Vol. 5 (2009) pp. 181-192.

(22) Krzysztof Jozwik and Anna Karczemska, Diamond and Related Materials, Vol. (2007) pp. 1004-1009.

(23) Christopher Loo et al. Technology in Cancer Research & Treatment, Vol. 3 (2004) pp. 33-37.

(24) Yaohui Lv et al., Journal of Membrane Science, Vol. 331 (2009) pp. 50 - 56.

(24) الفصل الرابع من هذا الكتاب.

(25) M. Sherif El-Eskandarany, J. of Alloys Comp., Vol. 279 (1998) pp. 263-271.

(26) الصورة الموجودة في الشكل (ب) التُقطت بواسطة مؤلف هذا الكتاب خلال زيارته لمعبد الأقصر الكائن في مدينة الأقصر جنوب مصر، وذلك في العام 1998.

(27) يطلق مصطلح المعالجة الحرارية Heat Treatment على تلك العمليات التى تُجرى على السبائك الفلزية بغرض إزالة ما بها من عيوب وإجهادات داخلية بهدف تحسين خواصها وصفاتها المختلفة. هذا بينما يستخدم مصطلح المعالجات الميكانيكية Mechanical Treatment للتعبير عن تلك العمليات التى يُوظف فيها عُدد أو آلات يُعامل بواسطتها الصلب والسبائك الفلزية من أجل تحسين خواصها الميكانيكية. وتعد عمليات الطرق والتسخين باستخدام المطارق أو المكابس من أقدم وأكفأ هذه العمليات. وقد استخدم القدماء تعبير تسقية الصلب Quenching للتعبير عن مسار معالجته حيث تتم بتسخين الصلب في درجات حرارة عالية تصل إلى نحو 75 % من نقطة انصهاره - ينصهر الصلب في درجات حرارة تتراوح بين 1536 - 1539 درجة مئوية - ثم طرقه ومباغتته بعد ذلك بالتبريد المفاجئ في الماء أو الزيت. ويتم تكرار هذه العملية عشرات المرات.

(28) Journal of Metals, TMS Society, Vol. 50, No. 10 (1998) page cover.

(29) Journal of Metals, TMS Society, Vol. 54, No. 9 (2002) page cover.

(30) الفصل السادس من هذا الكتاب.

(31) كثيرا ما يُطلق على هذه الأسلاك النانوية، أسماء أخرى، مثل العصي النانوية Nanorods، وذلك نظرا إلى استقامتها وانتصابها. وتسمى كذلك بالأسلاك الكمومية Quantumwires، رجوعا إلى تجلي خاصية التأثير الكمي على سمات وسلوك تلك الأسلاك.

(32) نتائج بحثية من أعمال غير منشورة لمؤلف هذا الكتاب.

(33) M. Law, et al., Annu. Rev. Mater. Sci., Vol. 34 (2004) pp. 83-92.

(34) S. De Franceschi, et al., Appl. Phys. Lett., Vol. 83 (2003) pp. 344-347.

هوامش الفصل التاسع:

(1) Ronald N. Kostoff, Raymond G. Koytcheff and Clifford G. Y. Lau. Current Science, Vol. 92 (2008) 1492-1499.

(2) Emma Marris. Nature, Vol. 444 (2006) 985-991.

(3) يستخدم مصطلح التوافر الحيوي Bioavailability للدلالة على مقدار نسبة وجود الجرعة الدوائية - جزيئات المادة الفعالة للدواء - في بلازما الدم بعد تعاطيها. وكلما زادت هذه النسبة واقتربت من الواحد الصحيح، دل ذلك على كفاءة الدواء وارتفاع قدرته العلاجية.

(4) تقوم جزيئات ناقلات الإرسال العصبية Neurotransmitters Molecules بتوصيل الرسـائل والإشارات العصبية من وإلى المخ عبر ما يعرف باسم المشابك Synapses العصبية.

(5) تُعـرف تلك الفئة مـن الحبيبات النانوية المُسـتخدمة في علاج حالات الاكتئاب باسم مضادات الاكتئاب الذكية Intelligent Antidepressant Nanoparticles.

(6) يقوم الحاجز الدماغي الدمـوي Blood Brain Barrier بحجب ومنع أي مـواد غريبـة من الذهاب إلى المخ، وهو يمثل فـي ذلك مصفاة للدم الواصل إلى مخ الإنسان.

(7) Christopher Loo et al. Technology in Cancer Research & Treatment, Vol. 3 (2004) 33-36.

(8) Mathias Schulenburg. Nanoparticles - small things, big effects, Cologne Federal Ministry of Education and Research, Berlin - Germany 2008, page 28.

(9) M.S. Eberhart et al. Morbidity and Mortality Weekly Report, Vol. 53 (2007) 1066-1072.

(10) John Mongillo. Nanotechnology. Greenwood Press, London, 2007.

(11) R. L. Jones. Soft Machines: Nanotechnology and Life. Oxford, UK: Oxford University Press, 2004.

(12) H.J. Lee, et al. J. Mater. Sci., Vol. 38 (2003) 2199-2205.

هوامش الفصل العاشر:

(1) John Mongillo. Nanotechnology. Greenwood Press, London, 2007.

(2) Toni Tarver. Foodtechnology, Vol. 11 (2006) pp. 22.

(3) Emma Marris. Nature, Vol. 444 (2006) 985.

(4) U.S. FDA. 2007. Nanotechnology: A Report of the U.S. Food and Drug Administration Nanotechnology Task Force. July 25, 2007.

(5) G. Asadi and M. Mousavi. IUFoST (2006). DOI: 10.1051/IUFoST:20060739, page. 799.

(6) Jennifer Kuzma and Peter VerHage. Nanotechnology in Agriculture and Food Production: Anticipated Applications. Washington, DC: Woodrow Wilson International Center for Scholars, Project on Emerging Nanotechnologies, September 2006.

(7) يستخدم مصطلح «ناقل» في الهندسة الوراثية حيث يفسر نقل جزيء يحمل الجين الغريب الذي يراد زرعه فى خلية أخري، حيث يقوم الناقل بمهمة توصيل هذا الجزيء إلى المكان المناسب داخل الخلية المضيفة التي تتعامل معه وكأنه أحد جيناتها الأصلية.

(8) J. Bath and A. Turberfield. Nature Nanotechnology, Vol. 2 (2007) pp. 275-283.

(9) Amparo Lopez-Rubio, et al. Food Hydrocolloids, Vol.23 (2009) pp. 1940-1948.

(10) Avelina Fernández, et al. Food Research International, Vol. 42 (2009) pp. 1105-1112.

(11) Christopher Thellen, et al. Journal of Membrane Science, Vol. 340 (2009) pp. 45-53.

هوامش الفصل الحادى عشر:

(1) توجد أكاسيد النيتروجين بالحالة الغازية فى صور عدة على هيئة مركبات هى: أكسيد النيتريك NO، ثانى أكسيد النيتروجين NO_2، أكسيد النيتروس N_2O، ثلاثي أكسيد ثنائي النيتروجين N_2O_3، رباعي أكسيد ثنائي النيتروجين N_2O_4 وخماسي أكسيد ثنائي النيتروجين N_2O_5 وتحتوي المياه الملوثة عادة على مجموعة من هذه المركبات التي يرمز لها كيميائيا بـ NO_x.

(2) Hemda Garelick and Huw Jones. Chemistry International, Vol. 30 (2008) pp. 312-319.

(3) S.R. Kanel, et al. Environmental Science and Technology, Vol. 39 (2005) pp. 1291-1299.

(4) T John Mongillo. Nanotechnology. Greenwood Press, London, 2007.

(5) D.B. Vance, «Arsenic - chemical behavior and treatment», http://www. 2the4.net/arsenicart.htm

(6) G.N. Manju, C. Raji and T.S. Anirudhan. Water Res., Vol. 32 (1998) 3062.

(7) Jing Feng, Teik-Thye Lim. Chemosphere, Vol. 66 (2007) 1765.

(8) Yon Ju-Nam, Jamie R. Lead. Science of The Total Environment, Vol. 400 (2008) pp. 396-405.

(9) T. Pradeep, Anshup. Thin Solid Films (2010) In Press.

(10) P.K. Stoimenov et al. Langmuir, Vol. 18 (2002) pp. 6679-6687

(11) Z.D. Bolashikov, A.K. Melikov. Building and Environment, Vol. 44 (2009) pp. 1378-1386.

(12) Jérôme Taranto et al. Separation and Purification Technology, Vol. 67 (2009) pp. 187-195.

(13) Richard Cox et al. Atmospheric Environment, Vol. 43 (2009) pp. 5128-5137.

(14) Daria Kibanova et al. Applied Clay Science, Vol. 42 (2009) pp. 563-569.

هوامش الفصل الثالث عشر:

(1) Kourosh Kalantar-zadeh and Benjamin Fry. Nanotechnology-Enabled Sensors. Springer Science+Business Media Publisher, New York, The U.S.A. 2008.

(2) BCC Research Annual Report, IAS027A. MEMS, Biosensors and Nanosensors, Wellesley, MA, The U.S.A. 2008.

(3) R. W. Miles, K. M. Hynes, and I. Forbes. Progress in Crystal Growth and Characterization of Materials, Vol. 51 (2005) pp. 1-12.
(4) Paolo Bondavalli, Pierre Legagneux and Didier Pribat. Sensors and Actuators B: Chemical, Vol. 140 (2009) pp. 304-311.
(5) M. Penza et al. Sensors and Actuators B: Chemical, Vol. 127 (2007) pp. 168-175.
(6) Tarushee Ahuja Rajesh and Devendra Kumar. Sensors and Actuators B: Chemical, Vol. 136 (2009) pp. 275-283.
(7) J. Zhang, et al. Applied Physics Letters, Vol. 88 (2006) Article ID 123112.
(8) E. Comini, et al. Sensors and Actuators B-Chemical, Vol. 84 (2002) pp. 26-32.
(9) S. J. Ippolito, et al. Sensors and Actuators B-Chemical, Vol. 117 (2006) pp. 442-449.
(10) I. Simon et al. Sensors Actuators B , Vol. 73 (2001) pp. 1-9.
(11) O. Pummakarnchana, N. Tripathi, J. Dutta. Science and Technology of Advanced Materials, Vol. 6 (2005) pp. 251-259.
(12) www.csiro.au/news/newsletters/0609_oceans/index.htm
(13) www.technologyreview.com
(14) NASA Nanotechnology Space Sensor Test Successful in Orbit Report Release : 07-140v(2007). Beth Dickey/Melissa Mathews Headquarters, Washington, U.S.A.
(15) Larry Senesac and Thomas G. Thundat. Materialstoday, Vol. 11 (2008) pp. 28-30.

هوامش الفصل الرابع عشر

(1) Wiwut Tanthapaichaoon et al., Journal of Metals, Materials and Minerals. Vol. 13 (2003) pp. 23-30.
(2) N. Kostoff Ronald, et al., Current Science Vol. 92 (2007) pp. 1492-1499.

(3) The National Nanotechnology Initiative : Research and Development Leading to a Revolution in Technology and Industry. National Nanotechnology Coordination Office, The U.S.A. Government, 2008.

(4) Fritz Allhoff and Patrick Lin. Nanotechnology & Society, Springer Science, New York, 2008. ISBN: 978-1-4020-6208-7

(5)William A. Goddard III, Donald W. Brenner, Sergey E. Lyshevski and Gerald J. Lafrate, Handbook of nanoscience Engineering and Technology, Second Edition. CRC Press, Taylor & Francis Group, New York, 2007. ISBN 0-8493-7563-0

(6) A.L. Porter and J. Youtie, J. Nanoparticle Research, 2010. In press.

(7) تم استقاء البيانات الخاصة بالأنشطة البحثية الأصيلة بعلم وتكنولوجيا النانــو، من خلال زيارة مواقع كبرى دور النشــر العالمية، التي تنشــر تلك البحوث باللغة الإنجليزية، ومنها على سبيل المثال وليس الحصر، المواقع التالية:

www.springerlink.com

www.sciencedirect.com

www.nature.com

www.tms.org

www.mrs.org

www.jnanobiotechnology.com

www.cambridgescientificpublishers.com

(8) Thomson Reuters Science Citation Index Expanded, Report of World's Leading Citation Databases, 2009.

(9) اســتخدم الأســتاذ أحمد الســيد النجار، مصطلح «الربح من دون عمل» للتعبير عن هذا النوع من الاستثمار، وذلك في مقاله المنشور بمجلة العربي، في عددها الرقم 614 الصادر في يناير 2010، صفحات 126 - 133.

(10) Market Report Catalog: MEMS/Nanotechnology, Global Information, Inc. Tokyo-Japan, 2010. (web: www.the-infoshop.com)

(11) Jan Youtie , et al., J. Nanopart. Res., Vol. 10 (2008) pp. 981-986.

(12)World Intellectual Property Organization (WIPO)

www.wipo.int

(13) United States Patents and Trademark Office (USPTO)

www.uspto.gov/

(14) Japan Patent Office (JPO)

www.jpo.go.jp

(15) European Patent Office

www.epo.org/

(16) هــذا إذا مــا افترضنا أن كل هــذه البراءات قد تُرجمــت بالفعل إلى منتجات سلعية وتكنولوجية.



المؤلف في سطور

البروفيسور أ. د. محمد شريف الإسكندراني

* ولد في القاهرة في سبتمبر 1956.
* تخرج في كلية الهندسة - جامعة الأزهر عام 1981.
* نال درجتي الماجستير (1988) والدكتوراه (1992) في المواد المتقدمة وتكنولوجياتها من جامعة طوهوكو باليابان.
* يعمل منذ عام 2007 باحثا أول ومستشارا علميا في مكتب المدير العام لمعهد الكويت للأبحاث العلمية.
* عمل بروفيسورا مساعدا ثم بروفيسورا لتكنولوجيا النانو والمواد المتقدمة بمعهد بحوث المواد - بجامعة طوهوكو باليابان حتى عام 2002.
* عمل بروفيسورا (أستاذا) بكلية الهندسة جامعة الأزهر حتى عام 2005.
* عمل نائبا لرئيس أكاديمية البحث العلمي والتكنولوجيا في مصر - وكيل أول وزارة البحث العلمي - حتى عام 2007.
* انتخب نائبا لرئيس مركز العلوم والتكنولوجيا التابع لحركة دول عدم الانحياز لدورتين، وحتى عام 2007.
* حصل على جائزة الدولة (مصر) في العلوم الهندسية في عامي 1994 و2003.
* حصل على الميدالية الذهبية وتكريم جمعية الفلزات وتكنولوجيا المساحيق التابعة للحكومة اليابانية في عام 1997.
* ألف 124 بحثا منشورا باللغة الإنجليزية في المجلات العلمية العالمية المتخصصة في علوم المواد وتكنولوجيا النانو بالولايات المتحدة الأمريكية، وإنجلترا، وهولندا.
* حصل على أربع براءات اختراع في مواضيع متعلقة بإنتاج مواد النانو وتطبيقاتها التكنولوجية.



سلسلة عالَم المعرفة

«عالم المعرفة» سلسلة كتب ثقافية تصدر في مطلع كل شهر ميلادي عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت - وقد صدر العدد الأول منها في شهر يناير العام 1978.

تهدف هذه السلسلة إلى تزويد القارئ بمادة جيدة من الثقافة تغطي جميع فروع المعرفة، وكذلك ربطه بأحدث التيارات الفكرية والثقافية المعاصرة. ومن الموضوعات التي تعالجها تأليفا وترجمة:

1 - الدراسات الإنسانية: تاريخ. فلسفة - أدب الرحلات - الدراسات الحضارية - تاريخ الأفكار.

2 - العلوم الاجتماعية: اجتماع - اقتصاد - سياسة - علم نفس - جغرافيا - تخطيط - دراسات استراتيجية - مستقبليات.

3 - الدراسات الأدبية واللغوية : الأدب العربي - الآداب العالمية - علم اللغة.

4 - الدراسات الفنية: علم الجمال وفلسفة الفن - المسرح - الموسيقى - الفنون التشكيلية والفنون الشعبية.

5 - الدراسات العلمية: تاريخ العلم وفلسفته، تبسيط العلوم الطبيعية (فيزياء، كيمياء، علم الحياة، فلك) . الرياضيات التطبيقية (مع الاهتمام بالجوانب الإنسانية لهذه العلوم)، والدراسات التكنولوجية.

أما بالنسبة إلى نشر الأعمال الإبداعية . المترجمة أو المؤلفة . من شعر وقصة ومسرحية، وكذلك الأعمال المتعلقة بشخصية واحدة بعينها فهذا أمر غير وارد في الوقت الحالي.

وتحرص سلسلة «عالم المعرفة» على أن تكون الأعمال المترجمة حديثة النشر.

وترحب السلسلة باقتراحات التأليف والترجمة المقدمة من المتخصصين، على ألا يزيد حجمها على 350 صفحة من القطع المتوسط، وأن تكون مصحوبة بنبذة وافية عن الكتاب وموضوعاته

وأهميتـــه ومدى جدته. وفي حالة الترجمة ترســـل نســـخة مصورة من الكتاب بلغته الأصليـــة، كما ترفق مذكرة بالفكرة العامة للكتاب، وكذلك يجب أن تدوّن أرقام صفحات الكتاب الأصلي المقابلة للنص المترجم على جانب الصفحة المترجمة، والسلســـلة لا يمكنها النظر في أي ترجمة ما لم تكن مستوفية لهذا الشـــرط. **والمجلس غير ملزم بإعادة المخطوطات والكتب الأجنبية في حالة الاعتذار عن عدم نشرها**. وفي جميع الحالات ينبغي إرفاق ســـيرة ذاتية لمقترح الكتاب تتضمن البيانات الرئيســـية عن نشاطه العلمي السابق.

وفـــي حال الموافقة والتعاقد على الموضوع ـ المؤلف أو المترجم ـ تصرف مكافأة للمؤلف مقدارها ألف وخمســـمائة دينار كويتي، وللمترجم مكافأة بمعدل عشـــرين فلســـا عن الكلمـــة الواحدة في النـــص الأجنبي، أو ألف ومائتي دينار أيهما أكثر (وبحد أقصى مقداره ألف وستمائة دينار كويتي)، بالإضافة إلى مائة وخمســـين دينـــارا كويتيا مقابل تقـــديم المخطوطـــة ـ المؤلفـة والمترجمـة ـ من نسختين مطبوعتين.



على القراء الذين يرغبون في استدراك ما فاتهم من إصدارات المجلس التي نشرت بدءا من سبتمبر 1991، أن يطلبوها من الموزعين المعتمدين في البلدان العربية:

الكويت:
شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع
الشويخ - المنطقة التجارية الحرة - شارع الموفنبيك - مبنى D14 - الدور الأول
ص. ب 29126 - الرمز البريدي 13150
ت: 24613535 - فاكس 24613536

الإمارات:
شركة الإمارات للطباعة والنشر والتوزيع
دبي، ت: 97142666115 - فاكس: 2666126
ص. ب 60499 دبي

السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع
الإدارة العامة - شارع الملك فهد (الستين سابقا) - ص. ب 13195 - جدة 21493 ت 6530909 - فاكس 6533191

سورية:
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
سورية - دمشق ص. ب 12035 (9631)
ت 2127797 ـ فاكس 2122532

مصر:
دار الأخبار
6 ش الصحافة ـ الجلاء ـ القاهرة
ت 0020225806400 - فاكس 0020225782632

المغرب:
الشركة العربية الأفريقية للتوزيع والنشر والصحافة (سبريس)
70 زنقة سجلماسة الدار البيضاء
ت 22249200 ـ فاكس 22249214 (212)

تونس:
الشركة التونسية للصحافة - تونس - ص. ب 4422
ت 322499 ـ فاكس 323004 (21671)

لبنان:
شركة الشرق الأوسط للتوزيع
ص. ب 11/6400 بيروت 11001/2220
ت 487999 ـ فاكس 488882 (9611)

اليمن:
القائد للتوزيع والنشر - ص. ب 3084

الأردن:
وكالة التوزيع الأردنية
عمان ص. ب 375 عمان - 11118
ت 5358855 ـ فاكس 5337733 (9626)

البحرين:
مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف
ص. ب 224/ المنامة - البحرين
ت 294000 - فاكس 290580 (973)

عُمان:
المتحدة لخدمة وسائل الإعلام
مسقط ص. ب 3305 - روي
الرمز البريدي 112
ت 700896 و788344 ـ فاكس 706512

قطر:
دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع
الدوحة ص. ب 3488 - قطر
ت 4661695 ـ فاكس (974) 4661865

فلسطين:
وكالة الشرق الأوسط للتوزيع
القدس/ شارع صلاح الدين 19 - ص. ب 19098 ت 2343954 - فاكس 2343955

السودان:
مركز الدراسات السودانية
الخرطوم ص. ب 1441 ـ ت 488631 (24911)
فاكس 362159 (24913)

نيويورك:
MEDIA MARKETING RESEARCHING
25 - 2551 SI AVENUE LONG ISLAND CITY
NY - 11101 TEL: 4725488 FAX: 1718 - 4725493

لندن:
UNIVERSAL PRESS & MARKETING LIMITED
POWER ROAD. LONDON W 4SPY.
TEL: 020 8742 3344 - FAX: 2081421280

تنويـــه

للاطـــلاع على قائمـــة كتب السلســـلة انظر عدد ديســـمبر (كانون الأول) من كل ســـنة، حيث توجد قائمة كاملة بأســـماء الكتب المنشورة في السلسلة منذ يناير 1978.

قسيمة اشتراك في إصدارات
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

البيان	سلسلة عالم المعرفة		الثقافة العالمية		عالم الفكر		إبداعات عالمية		جريدة الفنون	
	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار	د.ك	دولار
مؤسسات داخل الكويت	25		12		12		20		12	
أفراد داخل الكويت	15		6		6		10		8	
مؤسسات دول الخليج العربي	30		16		16		24			36
أفراد دول الخليج العربي	17		8		8		12			24
مؤسسات خارج الوطن العربي		100		50		40		100		48
أفراد خارج الوطن العربي		50		25		20		50		36
مؤسسات في الوطن العربي		50		30		20		50		36
أفراد في الوطن العربي		25		15		10		25		24

الرجاء ملء البيانات في حالة رغبتكم في: تسجيل اشتراك ☐ تجديد اشتراك ☐

الاسم:	
العنوان:	
اسم المطبوعة:	مدة الاشتراك:
المبلغ المرسل:	نقدا / شيك رقم:
التوقيع:	التاريخ: / / 20م

تسدد الاشتراكات والمبيعات مقدما نقدا أو بشيك باسم المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مع مراعاة سداد عمولة البنك المحول عليه المبلغ في الكويت، ويرسل إلينا بالبريد المسجل.

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص. ب 23996 الصفاة - الرمزي البريدي 13100
دولة الكويت
بدالة: 22416006 (00965) - داخلي: 196/ 195/ 194/ 153/193/ 152

هذا الكتاب

يتردد على مسامعنا منذ فترة وجيزة مصطلح «تكنولوجيا النانو» وتطبيقاتها الفريدة في جميع المجالات بلا استثناء. ونظرا إلى الدور الرئيسي المتوقع أن تؤديه تلك التكنولوجيا المتقدمة للنهوض بالاقتصاد العالمي، ودورها الرائد في تطوير الصناعات الرئيسية ومنتجاتها المختلفة، فقد لقبت باسم «تكنولوجيا القرن الحادي والعشرين» الذي نحن على مشارف بداية عقده الثاني.

ويُعد هذا الكتاب، الذي يزخر بعشرات المراجع العلمية لنخبة وافرة من العلماء المتميزين، بمنزلة مدخل ميسر لعلم وتكنولوجيا النانو، حيث يعطي القارئ العربي المثقف من جميع التخصصات العلمية والميول الفكرية والثقافية، فكرة عامة وشاملة عن ماهية تلك التكنولوجيا وكيفية إنتاجها. كما يعرض الكتاب، في صورة مبسطة، التطبيقات الحالية والمستقبلية لتلك التكنولوجيا في المجالات الصناعية والحياتية المختلفة، وكذلك دورها الرائد في تعزيز الاقتصاد المبني على المعرفة، ويناقش المردود الاقتصادي والاجتماعي لها، وكيفية الاستفادة من مخرجاتها المبتكرة في البلدان العربية.

ISBN 978 - 99906 - 0 - 306 - 4
رقم الإيداع (2010/006)